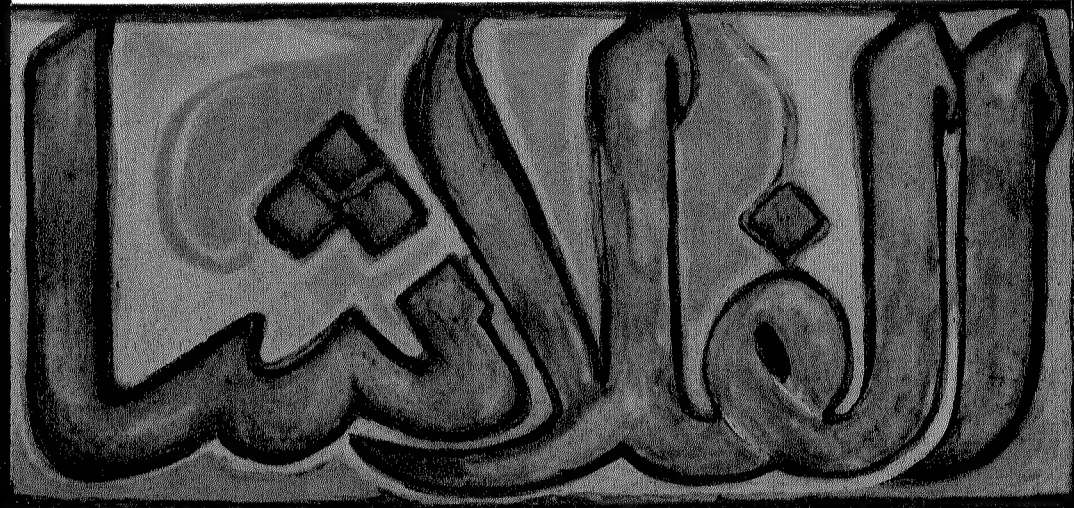


صلاح عبد اللطيف



الخيانة والمحاکمة

الناشر
مكتبة مدبولي - القاهرة



الغلاش

الخيانة والمحكمة

الأفلاشا

الخيانة والمحاکمة

صلاح عبد اللطيف

الناشر
مكتبة مدبولي - القاهرة

جميع حقوق النشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٦

﴿ الفهرست ﴾

صفحة

٧	مقدمة ٠٠ بقلم البروفيسور محمد عمر بشير
١٣	مقدمة للمؤلف

الجزء الأول

الخيانة

١٩	الفصل الأول — الفلاشا أو اليهود الاثيوبيين
٣١	الفصل الثاني — أشباح في الظلام
٤٧	الفصل الثالث — في داخل جهاز الأمن السوداني
٦٣	الفصل الرابع — عملية الشرق
٨١	الفصل الخامس — الضوء الأخضر في حفل الشاي
٩٣	الفصل السادس — في مقر رئاسة المخابرات المركزية الامريكية
١٠٤	الفصل السابع — طائرات الصباح المبكر

الجزء الثاني

المحاكمة

١١٥	الفصل الثامن — شهادة الفريق أول سوار الذهب
١٢٦	الفصل التاسع — المواجهة
١٤٤	الفصل العاشر — الاعتراف
١٥٩	الفصل الحادي عشر — النطق بالحكم
١٧٥	الفصل الثاني عشر — وضع الفلاشا داخل إسرائيل

﴿ مقدمة ﴾

بقلم : د . محمد عمر بشير

لم تكن قضية الفلاشا وهى موضوع هذا الكتاب والتي اتهم فيها جعفر نميري ونائبه عمر محمد الطيب — قضية مثلها مثل القضايا العديدة الاخرى التي كانت تعقد لها المحاكم في السودان بعد سقوط نظام آيار (مايو) في نيسان (ابريل) ١٩٨٥ .. إنها تختلف عن كل تلك القضايا في العناصر المكونة لها والمشاركة فيها من ناحية ، ومن ناحية اخرى في الابعاد السياسية والاقتصادية والفساد الذي ترتب عليها الأمر الذي جعل الكثيرين من داخل وخارج السودان يطلقون عليها « قضية العصر » .

لقد جلس آلاف السودانيين وأكثر من ثلاثة اشهر يشاهدون كل ليلة المسلسل المثير وهم لا يكادون يصدقون بان الخيانة والفساد قد وصلت إلى هذه الدرجة العالية برئيس دولتهم « الديمقراطية » ونائبه . وهم أيضاً لا يصدقون بأن الذين كانوا يشاركونهم الحكم من الوزراء والحكام في الأقاليم والمستشارين وسفراء السودان في امريكا واوروبا واثيوبيا وكينيا حيث كانت تجرى وقائع الجريمة لم يكونوا على علم بالذي يحدث على مدى خمسة اعوام ، ولم يكونوا مصدقين بأن السفراء المعتمدين في الخرطوم لم يكونوا يعلمون . وحتى اولئك الذين سمعوا عن الفلاشا أو قرأوا عنهم وعن نقلهم من السودان إلى اسرائيل عبر اوروبا في الصحف الاجنبية وبعض الصحف العربية لم يصدقوا ماشاهدوه وما نقله اليهم التلفزيون السوداني .

ومهما كان حجب الحقائق بأن ماكان يجري لم يكن غائباً عن كثير من السودانيين ، خاصة أولئك الذين كانوا على صلة مع بعض رجال الخدمة المدنية ومع بعض رجال ونساء المعارضة ومع بعض الصحفيين الأجانب .. كثيراً ماكان هؤلاء يتحدثون عما همساً من البداية وفيما بعد تحول الهمس إلى الحديث بصوت عال .

ومما يلفت النظر أن عملية نقل الفلاشا وتهجيرهم عن طريق السودان وبمعاونة وكالة المخابرات المركزية الاميركية والسفارة الاميركية قد جاءت في وقت الغي جعفر نميري اتفاقية أديس أبابا وفرض القوانين المسماة بـ « الشريعة الاسلامية » الأمر الذي أدى إلى انفجار الحرب مرة أخرى في جنوب السودان وإلى حالة من الفرع والخوف لم يعرفها السودانيون من قبل ، واصبح السودانيون يسمعون كل يوم ويقرأون اخبارا عن قطع الايدي وجلد النساء نتيجة لتطبيق القوانين التي اسمها كثير من علماء الاسلام وقادة المسلمين « قوانين نميري » واكدوا أنها تنافي الاسلام .

ومن الغريب ايضاً أن كثيراً من الصحفيين والصحفيات العرب قد هرعوا للسودان في هذا الوقت بالذات يهللون ويصفقون لاعلان حالة الطوارئ وللمحاكم الاستثنائية التي شكلت ولم يذكر واحد من هؤلاء كلمة حول ماكان يجري من نقل للفلاشا وماكان يحدث من فساد وقد كانوا يعلمون . لقد كنت واحداً من الذين سمعوا قصة تهجير الفلاشا من خلال الاهتمام بموضوع اللاجئين في السودان ، ومن خلال الدراسات والبحوث التي كان يقوم بها الباحثون بمعهد الدراسات الآسيوية الافريقية . بالاضافة إلى الحوار مع بعض الهيئات الاجنبية التي لها صلة بالمعونات والمساعدات التي تقدم للسودان . وبالرغم من كل هذا لم اكن احسب أن عملية نقل الفلاشا وتهجيرهم قد بلغت هذا الحد من الفساد والخروج على كل القيم ، الأمر الذي جعل توجيه تهمة ارتكاب جريمة الخيانة العظمى لجعفر نميري وعمر الطيب امراً لاثير شفقة ، لقد اثارت محكمة الفلاشا موجة من الكراهية للمتهمين والمتعاونين معهم وللولايات المتحدة الاميركية أكثر من أى محكمة من قبل في تاريخ السودان أو تلك التي كانت تجري في تلك الايام مثل محكمة بهاء الدين أو محكمة التهامي أو محكمة « مايو » .

والكراهية التي نشير اليها كراهية بسبب الفساد والرشوة . وأورد الاتهام أن الوثائق ذكرت أن اربعين مليون دولار تسلمها نميري وعمر الطيب والمتعاونون معهم ثمناً لتنفيذ العملية ، والفساد لا يعني فقط أن يطلب عمر الطيب مالاً كيفما كان يشاء ، ولكن أن يدفع له الممثلون الرسميون للولايات المتحدة الاميركية في سفارتها بالخرطوم والتي كان يعمل فيها جيري ديفر وميلتون وكلاهما مسؤول في المقام الأول عن كل ماحدث .

والصحافة الاميركية التي وصفت القضية بأنها قضية العصر ونقلت جزءاً منها لم توضح تفاصيل المبالغ التي دفعت وتفاصيل الذين تسلموا المبالغ الضخمة التي جمعها الصهاينة في امريكا وفي السودان وفي بلاد اخرى .

ومن ناحية اخرى اغفلت الصحافة الاميركية وغيرها شعور رجل الشارع السوداني وهو يجلس الساعات الطويلة كل ليلة يشاهد المحكمة والمتهمين والدفاع والاثام وهو يعلم أن بطل القصة غير موجود في المحكمة وأن يد العدالة لم تمتد اليه بعد . وقد تخلى الشريك الاقوى والاهم في الجريمة عنهم اجمعين بعد أن ادوا المهمة التي طلب اليهم أن يؤدوها بكفاءة واقتدار وقبضوا الثمن .

ولقد غضب كثيرون عندما قال الدفاع بأن المتهم لم يكن يعرف بأن هؤلاء اللاجئين هم من الفلاشا اليهود المسافرين إلى اسرائيل وإنما هي تعليمات الرئيس يقوم بتنفيذها ، وغضبوا أكثر عندما نفى عمر الطيب رئيس جهاز الأمن القومي أن يكون للمخابرات الاميركية أى دور ، وانكر أنه يعرف شيئاً عن بعض التفاصيل التي جاء ذكرها في المحكمة ، كان الشعور بالازدراء والاحتقار شاملاً لكل الذين جاء ذكرهم في المحاكمة ، وعندما اصدر القاضي حكمه لم يصفق له كثيرون لأنهم كانوا يعتقدون بأن الجريمة التي ارتكبت والتي اشتملت على خيانة عظيمة وفساد كبير كانت تستحق عقاباً أكبر وأن ملف القضية يجب ألا يقفل حتى يحاكم المتهم الأول .

إن عملية نقل الفلاشا أو محاولة تهجيرهم من اثيوبيا إلى اسرائيل عبر السودان والتي تمت خلال الاعوام ١٩٨٢ — ١٩٨٥ لم تكن الأولى من نوعها في السودان فقد اقترح يهودي يدعى رابورت عام ١٩٠٠ أن ينقل اليهود الاثيوبيون إلى السودان ، ورابورت هذا كان قد زار اليهود الاثيوبيين نيابة عن العصبة اليهودية العالمية لكي يتفقد احوالهم وينصح بما يمكن عمله لتلك الطائفة التي كان يقدر عددها في القرن الثامن عشر بمائة الف يهودي . ولما كان رابورت — وهو من اصل اوكراني — قد تحصل على الجنسية البريطانية عام ١٨٩٨ وكان يسكن القاهرة فقد رأى أن يتقدم باقتراحه أولاً إلى اللورد كرومر خاصة وأنه كان يعلم بأن الجماعات الصهيونية الاخرى لم تكن لترضى باقتراحه لأنها لا ترى في غير اسرائيل وطناً لليهود . وقد ذكر رابورت في خطابه إلى كرومر بأن الذى يرشح السودان لهذا سعة اراضيه وخصوبتها وصغر حجم سكانه وأن انتقال اليهود الاثيوبيين اليه لم يكن يمثل انتقالاً إلى بيئة تختلف عن بيئتهم .

ولقد اهتم كرومر بما اقترحه رابورت وتساءل عن الدوافع الأخرى التي كانت وراء الاقتراح ، وهل كان يعني محاولة للسيطرة على مصر من خلال السيطرة على مجرى النيل من السودان ، ولما لم يجد الاقتراح حماساً من كرومر أو من العصبة اليهودية العالمية التي كان

يعمل معها ارسله إلى إحدى المنظمات اليهودية ذات الاهتمام بالبحث عن وطن لليهود في افريقيا ، وبرز الاقتراح مرة أخرى عام ١٩٠٧ في تقرير كتبه يهودي آخر يدعى ابراهام جالانت إلى المنظمة اليهودية الاقليمية التي يرأسها ابراهام زانجويل ، وكان جالانت يعيش في تركيا ويتجول في انحاء الامبراطورية العثمانية وانتهى به المطاف أخيراً إلى مصر . ومرة أخرى ولنفس الاسباب فقد اقترح نقل اليهود الغالاشا من اثيوبيا وإقامة وطن لهم في السودان . ولقد صادف هذا قرار المنظمات الصهيونية بعدم الاستمرار عن البحث عن وطن لليهود بديلاً عن فلسطين .

وعندما تحقق حلم الصهيونية عام ١٩٤٨ بإقامة دولة اسرائيل بدأت تعد للمرحلة الجديدة وهي مرحلة تجميع يهود الشتات في « أرض الميعاد » . لقد أصبح تجميع يهود الشتات هو الهدف الاسمي لدولة اسرائيل منذ ذلك الحين وتؤكد هذا في برنامج القدس الذي وضع عام ١٩٥١ واشتمل على مبدأ وحدة الشعب اليهودي واستمراره اينما كان وعلى الدعوة إلى تجميع الشتات في اسرائيل (جيروزاليم بوست ٢٣ / ٧ / ١٩٥١) .

وكان هذا يعني اعطاء اسبقية كبرى لمسألة تجميع « يهود الشتات » وهجرتهم إلى اسرائيل كما أن علاقات اسرائيل مع الدول التي تعيش فيها جماعات يهودية أصبح يحدها تنفيذ الهجرة ، ولقد قالت غولدماير في ذلك الوقت بأن العلاقة بين اسرائيل والدول التي تعيش فيها جماعة يهودية تقررهما امكانية الاتصال مع هذه الجماعة .

وهكذا أصبحت الحركة السياسية الدولية لاسرائيل تستمد جانباً أساسياً من دوافعها وتحديد اتجاهها من وجود الجاليات اليهودية وانتقالها ، ونتيجة لهذه السياسة انتقل عدد كبير من الجاليات اليهودية في عدد من البلدان الافريقية خاصة من جنوب افريقيا ، وزمبابوي وكينيا وزائير إلى اسرائيل حتى بلغ عددهم حسب احصاء عام ١٩٧٠ حوالي ١٥ بالمئة من مجموع السكان .

وقد كرس اسرائيل ، كما يقول مجدي حماد ، جزءاً كبيراً من تحركها السياسي والاقتصادي والعسكري في افريقيا نحو اثيوبيا سواء تحت حكم الامبراطور هيلا سيلاسي أو بعد سقوطه (د . مجدي حماد ، اسرائيل وافريقيا — دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٦ . ص ٢٠٠) .

ويعود اهتمام اسرائيل باثيوبيا إلى عدة عوامل ، اهمها القرب الجغرافي ، وأنها تطل على البحر الأحمر المنفذ الجنوبي لاسرائيل ، وأن لها علاقات تاريخية مع اسرائيل بالإضافة إلى وجود مجاعة اليهود الفالاشا الذين يمثلون واحداً من جماعات « يهود الشتات » الذين لابد من تجميعهم .

وتقول الدكتورة سوزان جيلسن استاذة الدراسات الافريقية في الجامعة العبرية إن لكل من اسرائيل واثيوبيا هدفاً استراتيجياً واحداً هو ابعاد الاتحاد السوفياتي عن البحر الأحمر ، وكلا البلدين متعاطف ومتفهم لمشكلات البلد الآخر مع جيرانه — اسرائيل مع الدول العربية ومشكلات اثيوبيا مع الصومال والسودان وجبهة التحرير الاثيوبية (نفس المصدر) وتقول الدكتورة جيلسن ايضاً إن كلا من اسرائيل واثيوبيا يلتقيان في هذه الاستراتيجية بالمصالح الاميركية ولقد تم التعبير عملياً عن تخوف اثيوبيا واسرائيل وامريكا من النفوذ السوفياتي في البحر الأحمر بقيام تحالف امريكي اسرائيلي بهدف التغلغل العسكري والاقتصادي في اثيوبيا ، وحصلت اسرائيل في مقابل تدريب بعض القوات الاثيوبية على محاربة ثوار ارتيريا على عدد من الجزر المقابلة لساحل ارتيريا .

ولقد حاولت اسرائيل في عهد الامبراطور هيلا سيلاسي واثناء حكم الجنرال عبود (١٩٥٨ — ١٩٦٤) أن تنقل بعضاً من يهود الفالاشا إلى منطقة « الفتقة » على الحدود الاثيوبية — السودانية وتوطينهم هناك مستفيدة من الصلات الحسنة التي كانت قائمة بين النظامين .

وبالرغم من طرد البعثة العسكرية الاسرائيلية من اثيوبيا في السنوات التي اعقبت سقوط الامبراطور فإن الدور الاسرائيلي في اثيوبيا مازال مستمراً نتيجة للأهمية الكبرى التي تنظر بها اسرائيل إلى مصالحها في اثيوبيا ، ولقد أكد هذا موسى دايان اثناء مؤتمر صحفي عقده في سويسرا في شباط (فبراير) ١٩٧٨ حين قال « إن التعاون العسكري والمساعدات التي كانت تقدمها اسرائيل لاثيوبيا في عهد الامبراطور هيلاسيلاسي لازالت مستمرة ، ومع استمرار هذه المساعدات استمر الاهتمام بقضية ترحيل الفالاشا خاصة في ظروف المجاعة التي عاشتها اثيوبيا ، وكانت المنظمات اليهودية تأتي بالمساعدات للفالاشا حتى قراهم دون سواهم وتنشئ لهم المدارس والعيادات وتقدم الادوات الزراعية ، وعندما طلبت اثيوبيا ايقاف برنامج المساعدات هذه وطلبت إلى المنظمات اليهودية مغادرة اثيوبيا تبين للحكومة اسرائيل أن لاختيار لها في أن تمر عبر السودان بمعرفة السلطات الاثيوبية وكذلك

بمعرفة الحكومة السودانية وهذا ما لم ينكره عمر الطيب في مقابلة له نشرتها « الجيروزايم بوست » ، وهكذا شأت عملية نقل الفالاشا عبر السودان على مدى عامين (١٩٨١ — ١٩٨٢) ، وبلغ عدد الذين وصلوا إلى اسرائيل خلال هذين العامين زهاء ثلاثة آلاف ، ومع الاستمرار في عمليات الترحيل في عام ١٩٨٥ تم نقل ثلاثة عشر ألفاً من الفالاشا . وفي هذه الاثناء ، تم الاعتراف بيهودية الفالاشا من جانب السلطات الدينية .

ولما وصل الفالاشا إلى اسرائيل واجهوا كثيراً من المشاكل خاصة من جانب الحاخامات الذين كانوا ومازالوا يصرون على تنقيتهم من خلال عمليات تغطيس رمزية قبل الاعتراف بهم يهوداً انقياء .

ولقد ذكر عمر الطيب في مقابلة له اعادت نشرها جريدة « جيروزايم بوست » بأن حكومة السودان لا تمنع في ترحيل الفالاشا لاسباب انسانية ، ولكنه لم يذكر أن العملية تمت في سرية تامة وبتخطيط من المخابرات المركزية الامريكية ومن الموساد الاسرائيلي وأن عملية ترحيل الفالاشا كانت طريق نميري لتوثيق صلاته مع امريكا وتأكيد تبعيته لها ، ودفع السودان الثمن غالباً من سيادته وكرامته وقبض نميري وعمر الطيب وآخرون الثمن . .



مقدمة المؤلف

شغلت قضية تهريب اليهود الفلاشا إلى إسرائيل عبر السودان في اواخر عام ١٩٨٤ واولئل عام ١٩٨٥ اهتمام الرأى العام العربي بدرجة وصلت إلى حد أن مجموع المقالات التي كتبت في الصحف العربية احتجاجا على هذه العملية في خلال شهرى يناير وفبراير ومارس ١٩٨٤ بلغت أكثر من اربعين مقالة وعقد مجلس الجامعة العربية جلسة خاصة لبحث هذا الموضوع في تونس خلال شهر مارس ١٩٨٥ وجهت فيها الدول العربية الاتهامات إلى السودان التي كان يحكمها في ذلك الوقت نظام الفرد برئاسة جعفر نميري وانتهت باتهام الولايات المتحدة الامريكية والتنديد بدورها في هذه العملية . ذلك أن الظروف التي احاطت بهذه العملية اساءت إلى النضال العربي في قضيته العادلة في الصميم واصبح التناقض العربي واضحا للعيان ففي الوقت الذي كان ينادي فيه الرئيس السوداني بعودة اليهود السودانيين إلى بلادهم الاصلية كان في نفس الوقت يساهم في عملية تهجير يهود اثيوبيا إلى إسرائيل وفي الوقت الذى كانت الدول العربية تندد بسياسة الاستيطان الاسرائيلي واستجلاب اليهود من هنا وهناك لزراعهم مكان السكان العرب في الضفة الغربية المحتلة كانت الحكومة السودانية تساعد على دعم هذه السياسة فشاركتها في تهجير اليهود الفلاشا إلى إسرائيل .

وكتب سلامة أحمد سلامة في صحيفة الأهرام القاهرة بعددها الصادر في ١٤ يناير ١٩٨٥ حول هذا الموضوع يقول « سواء اكانت حكومة السودان على علم بها أو لم تكن فإنه ينبغي أن توضع في سياقها الصحيح وهى أن إسرائيل نجحت في اذاعتها على الصورة التي نشرت بها لافساد العلاقات بين الدول العربية بعضها ببعض ولإفساد العلاقات بين الدول العربية وعدد من الدول الأوروبية والتغطية على المقاومة الشديدة التي وجه بها يهود الفلاشا السود البشرية في مجتمع اسرائيلي تغلفه روح العنصرية مهما بدا عكس ذلك » .

والواقع أن فكرة تهجير اليهود الفلّاتشا إلى ارض فلسطين ليست وليدة السنوات الأخيرة فهي واردة في ذهن السياسة الصهيونية منذ عام ١٩٠٨ أى منذ بدأت سياسة استيطان فلسطين تمهيدا لطرد سكانها الاصليين ، ولأسباب عنصرية واسباب تتعلق بأولويات نوعية اليهود الذين يراد تهجيرهم إلى فلسطين تأحل نقل اليهود الفلّاتشا الانثوييين سبعين عاما . وليست عملية نقل اليهود الفلّاتشا هي أول العمليات السرية التي لجأت اليها اسرائيل بمعاونة اجهزة المخابرات الغربية ولن تكون الأخيرة ، ففي عام ١٩٥٠ تم نقل يهود اليمن عبر جسر جوي بين عدن وتل اييب بمساعدة المخابرات البريطانية وفي عام ١٩٥١ أقيم جسر جوي مماثل سمى البساط الطائر لنقل مئات الآلاف من يهود العراق إلى اسرائيل عن طريق قبرص ، وتم في اوائل الستينات نقل عشرات الآلاف من يهود المغرب إلى اسرائيل بمساعدة المخابرات الفرنسية .

وفي تقديري أن عملية ترحيل اليهود الانثوييين عبر السودان إلى اسرائيل تم في مرحلة سادت العالم العربي يمكن وصفها بمرحلة التسبب السياسي وهي مرحلة اعقبت زيارة الرئيس المصري الراحل انور السادات إلى القدس المحتلة وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد ، بعدها سادت منطقة الشرق الأوسط حو من التخلخل القومي والفوضي السياسية والعسكرية انعكست على احداث لبنان بالدرجة الأولى ثم في منطقة الخليج باندلاع الحرب العراقية الايرانية في ديسمبر ١٩٨٠ ، وتم تصاعد الحرب في لبنان ومحاولة تصفية المقاومة الفلسطينية وارتكاب مذبحه صبرا وشاتيلا بمساعدة اسرائيل وتشجيعها على ارتكاب هذه الجريمة التاريخية البشعة .

في هذا المناخ الذي اتسم باللامعقولية وظهور المد الامريكى والاسرائيلي بصورة أو بأخرى في المنطقة جرت عمليات تهريب اليهود الفلّاتشا ، وماكان يمكن للحكومة السودانية أن تساهم بدور في هذه العمليات لولا ظاهرة التسبب السياسي والقومي في المنطقة العربية .. واذكر انني التقيت باللواء عمر الطيب في يوم ٢٢ مارس ١٩٨٥ في مبنى مجلس الشعب اثناء انعقاد اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وكانت عملية سباً قد تمت وكشفت عنها صحيفة لوس انجلوس تايمز ، وعندما بادرت بالسؤال عن حقيقة هذه الانباء فوجئت به وقد فقد اعصابه وهو يلعن العرب وكل من يثير مثل هذه الروايات عن السودان قائلا إننا لم نصل بعد إلى الدرجة التي يصورونها بها لقد وصل بهم الحد اهم يقولون إننا نؤجر السودان لدفن النفايات الذرية ..

لكن الوقائع كانت تقول غير ذلك ، وأنه فقد اعصابه بسبب افتضاح السر للمرة

.. الثانية ..

ثم سرعان ما تلاحقت الاحداث في السودان لتطوي في عواصفها كل نظام حكم الفرد ورموزه بما فيها عمر الطيب ، وسارعت نقابة عمال ومهندسي مطار الخرطوم لتكشف بالوثائق تورط جهاز أمن الدولة في نقل اليهود الفلاشا عبر مطار الخرطوم وذلك من خلال كشف رحلات الطائرة البلجيكية التي قامت بنقل ٢٨ رحلة جوية في جناح الظلام عقب منتصف الليل في حماية جهاز أمن الدولة واعاد موظفي المطار وموظفي الجمارك والمراقبة الصحية عن مكان الطائرة التي كانت توصف بطائرة السلاح ..

ثم تشكلت لجنة تحقيق استمرت في عملها ثلاثة اشهر زارت مناطق اللاجئين في القضايف شرق السودان وعاينت ورصدت كل المواقع التي منها تم تهريب اليهود الاثيوبيين والتقت بنحو مائة شاهد من وزراء وضباط أمن دولة وضباط عسكريين ورجال شرطة وموظفين وسائقين وأمر النائب العام بتشكيل محكمة أمن دولة سرعان ما وافق عليها المجلس العسكري ، واستمرت محاكمة المتهمين بتهريب اليهود الفلاشا اربعة أشهر .

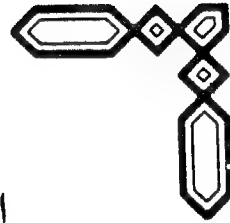
وقد عكفت على دراسة هذه القضية المثيرة التي شغلت اهتمام الرأى العام العربي والدولى .. تابعت وقائع المحكمة جلسة بجلسة ورجعت إلى ماكتبته الصحف العربية والعالمية حول هذه العملية كما أطلعت على ما اخرجته المطابع الاجنبية من كتب ومن أهمها كتاب الدكتور ثودور بارفينت مدرس اللغة العبرية والدراسات اليهودية الحديثة في جامعة لندن وهو يبدو صهيونيا واضحا مبهورا سلوكيات اسرائيل ، في هذا الكتاب نقل وجهة النظر الصهيونية والاسرائيلية وخلا كتابه من الموضوعية واحتوى على معلومات غير دقيقة كما بالغ في تصوير الفساد في السودان وتهافت السودانيون على حفنة من الدولارات مقابل تنفيذ أى شئ يطلب منهم ، — كما يقول — وهذا إن كان ينطبق على الحكومة السابقة فهو لا ينطبق على الشعب السوداني الذي ثار في يوم وليلة وانهى هذه الحكومة باصرار عنيد شهد به العالم كله .

وفي هذا الكتاب الذي عكفت على اعداده حرصت أن يكون صورة دقيقة واشبه بالسناريو الكامل لعملية تهريب اليهود الفلاشا إلى اسرائيل وهى في الواقع قصة مثيرة تضاف إلى قصص اجهزة المخابرات التي تخطط على ارضنا العربية لخدمة اهداف اسرائيل ، ولذلك

لجأت إلى الأسلوب القصصي الذي يكون ملائماً لتصوير مثل هذه الروايات بما فيها من غموض وإثارة .. كذلك حرصت أن أنقل إلى القارئ صوراً كاملة من المحكمة تعبر عن أهم المواقف فيها مثل الالتزام بالعدالة في المحاكمة والحقائق التي أفضى بها كل من المتهم الثاني والثالث اللذين تحولوا إلى شهود اتهام ، وأقوال عدد من قيادات جهاز أمن الدولة وكيف أن هذه العمليات أخفيت عنهم ، وكذلك شهادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب إلى المحكمة ، وقد حرصت على الالتزام بدقة وحرفية الأسئلة والاجوبة امانة والتزاماً بالحقائق ..

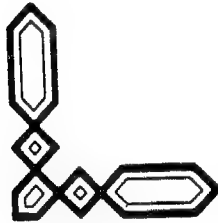
وارجو أن أكون قد وفقت في ماسعيت اليه ..

صلاح عبد اللطيف



الجزء الأول

الخيانة



الفصل الأول

الفلاشا أو اليهود الاثيوبيون

.. الفلاشا ..

كلمة بدت غريبة على اسماع الناس عندما جاء ذكرها في خبر صغير نشرته احدى المجلات العربية عام ١٩٨٣ ، كان الخبر من ثلاثة اسطر جاء فيه : إن مائتين من اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم الفلاشا وصلوا إلى اسرائيل عن طريق السودان وبدأوا يشاركون في الحملة الانتخابية الاسرائيلية ..

لم يلفت الخبر يومها الانظار .. اكتفت وزارة الخارجية السودانية بنفى الخبر الخاص بعبورهم إلى السودان في طريقهم إلى اسرائيل ، ولم يتنبه أحد اليه .. فالمعارك الدائرة في لبنان بين القوات الاسرائيلية والفلسطينيين واللبنانيين كانت تشغل اهتمام الجميع ، وكانت اسرائيل تستعد لانتخابات ساخنة في منافسة حارة بين حزب الليكود وحزب العمل .

وهكذا من بين المعارك والاحداث الساخنة والتسيب السياسي سمع العالم العربي بكلمة « الفلاشا » ، وراحت تتسلل إلى حيز الاهتمام ، وبدأ المهتمون يبحثون عن معنى هذه الكلمة وأصل هؤلاء الناس القادمين من المجهول وسط آلاف اللاجئين الاثيوبيين عبر الصحاري والتلال .

« الفلاشا » كلمة اثيوبية تعني المهاجرين أو العرباء ، وهم اليهود الاثيوبيون الذين اقاموا في منطقة جونددار في المناطق الاثيوبية المتاخمة لحدود السودان ويقدر عددهم بحوالي ٣٠ ألف نسمة ..

تختلف الروايات حول أصل الفلاشا ، فتذكر بعض المصادر أن تاريخهم يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وهم من اتباع مينليك ابن الملكة بلقيس ملكة سبأ من النبي سليمان ، بينما يرجع بعض علماء الاجناس البشرية اصولهم إلى انهم من ابناء حام بن نوح وانتشرت اليهودية بينهم عن طريق يهود الجزيرة العربية أو يهود مصر أو يهود اثيوبيا ، وقد عاشوا حول بحيرة تانا منبع النيل الأزرق شمال غربي اثيوبيا ، وشمالا في جبال « سيمين » وفي مقاطعات لاستا وتيجراي واولو ، وتقول روايات اخرى انهم ينتمون إلى الشعوب التي سكنت اثيوبيا قبل أن تحتلها القبائل السامية القادمة من جنوبي شبه الجزيرة العربية .

كما تذكر بعض الدراسات العربية أن الفلاشا اعتنقوا اليهودية في القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، وتختلف طقوسهم الدينية عن الطقوس التي يتبعها اليهود عامة حيث أن طقوسهم توراتية وليست حاخامية .

وهم يميلون إلى العزلة والبعد عن المجتمعات الأخرى ، ولذلك فإن الصفة العامة التي كانت تميزهم عن غيرهم في مواقع اللاجئين بمناطق الاقليم الشرقي السوداني أن خيامهم مقفلة ، يتجسسون من الغير ويهربون منهم .. الهدوء يسيطر على أماكنهم حتى أن مكانهم يبدو مهجورا .. ذلك لأنهم كانوا لا يتحركون إلا في الليل فهم لا يثقون بأحد .. طوال القامة يتكلمون الامهرية ولغتهم الأصلية هي الاجاو « Agau » المعروفة باسم كوارنيا ، ويسمون أنفسهم « بيتا اسرائيل » أى بيت اسرائيل .. ينتمون في اثيوبيا إلى الطبقات الاجتماعية الفقيرة جدا ويمتهنون الحدادة وصناعة الفخار ودباغة الجلود والنسيج وصناعة السلال من القش ، وكانوا في الماضي يعملون في الهناء .

وحياتهم تشبه حياة الغجر ، فهم يعيشون خارج القانون وفي مناطق الحدود كسائر الطوائف اليهودية التي ترفض الاندماج في المجتمعات التي تعيش فيها مثلها في ذلك مثل بن اسرائيل « Bene Israel » شرق الهند أو يهود « كاي فنج فو » « Kaifeng Fu » في الصين ، وليس لهم علاقات مع العالم الخارجي .

والروايات المؤكدة أن الفلاشا تعيش في اثيوبيا منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وأول من كتب عنهم رحالة يهودي في القرن التاسع عشر يدعى الداد « Eldad » زعم في كتابه الذي يحمل اسمه أن الفلاشا قبيلة مفقودة كانت معروفة باسم قبيلة « دان » ، ومن هنا جاء اسمهم « الغرباء » ، وكتب عنهم الرحالة اليهودي بنيامين توديل « Benjamin of Tudela » أنهم جاءوا أصلا من اليمن ومن مصر ، وقالت عنهم جريدة التايمز أنهم إحدى القبائل العشر اليهودية المفقودة بعد الغزو الاشوري عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، أما البروفيسور جوزيف فويتانا المهتم بشعوب الحضارة الافريقية فقال إن الفلاشا ليسوا قبيلة ضائعة من اسرائيل وإنما هم شعوب من شمال اثيوبيا أصبحوا يهودا في ظروف غامضة .

وقد توصلت مراجع يهودية تضيف على الفلاشا صفة يلجأ إليها اليهود عادة لكسب العطف وهي صفة الاضطهاد . ووفقا لذلك تقول هذه المراجع إنهم تعرضوا للاضطهاد المسيحي في القرن الرابع عشر بعد نهضة المسيحية وتمسكوا بيهوديتهم منسحبين من المناطق

الساحلية إلى مناطق جواندار حيث بقيت مقرا لهم حتى الآن .. ومن الذين يروج لهذه الفكرة المكتشف الاسكوتلندي جيمس بروسي في كتابه « رحلات لاكتشاف منابع النيل » في القرن الثامن عشر ، وقد به هذا المكتشف يهود اوروبا إلى الحالة الصعبة التي يعيشها يهود اثيوبيا الذين لم يكن يعرفون عنهم شيئا في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي اواسط القرن التاسع عشر تدخل يهود اوروبا للاتصال بيهود اثيوبيا « الفلاشا » لكن هذه الاتصالات لم تسفر عن شيء إلا على يد حاك فيتلو فتش . بطل الفلاشا الأكبر عام ١٩٠٥ .

قبل هذا التاريخ كانت هناك شكوك حول مصداقية أن تكون هذه القبيلة الاثيوبية المعروفة باسم الفلاشا من اليهود ، ولازال بعض اليهود في اسرائيل وامريكا يرفضون الاعتراف بان الفلاشا يهود ، لكن غالبية اليهود يتفقون الآن أنهم يهود ، بينما يحرص الفلاشا على أنهم اليهود الذين جاءوا إلى اثيوبيا مع الملك منليك الأول الذي هو من ابناء الملك سليمان والملكة سبأ .. وتقول بعض الروايات إن العبريين عندما تركوا مصر وقت الخروج انفصل جماعة منهم عن الباقين ووجدوا انفسهم في الطريق إلى اثيوبيا حيث اسسوا هناك مملكتهم .

هكذا اختلفت الروايات حول اصل الفلاشا ، هل هم من اتباع منليك أم قبيلة مفقودة من قبائل اسرائيل ، أم من يهود مصر والجزيرة العربية الذين هاجروا إلى الجنوب ، أم انهم حاميون سكوا مناطقهم منذ ابناء نوح واعتنقوا اليهودية فيما بعد ..

روايات لم تحسم اصل الفلاشا ولم يقدم كل صاحب رأى دليلا على صحة أقواله لكن الذي نستطيع أن نتفق عليه انهم يهود اثيوبيون ، ربما تختلف ممارستهم للديانة اليهودية عن غيرهم من يهود اوروبا وفي أى مكان آخر بسبب عزلتهم وابتعادهم عن الغير وهم لا يعرفون اللغة العبرية . ويميل إلى هذا الرأي الساحت الغربي وولف لسيلا (Wolflesella) .

استقرت الآراء اذن على انهم يهود وتبنى هذه الدعوة ودافع عنها جاك فاتلوفيتش عام ١٩٠٥ حيث قام بزيارات لهم وراح يدعو لاقامة علاقات بينهم وبين يهود اوروبا وامريكا وتقديم المساعدات والمنح الدراسية لهم ودعمهم في الحركة الصهيونية .. واستجاب له افراهم كوك وهو حاخام في فلسطين عام ١٩٢١ دعا بدوره يهود العالم إلى انقاذ الفلاشا وكان عددهم يصل إلى ٥٠ ألف نسمة ، لكن هذه الدعوات لم تجد استجابة من اليهود .. كان الاهتمام أولا بيهود اوروبا ثم يهود الغرب ثم يهود اليمن وبعدهم يهود العراق والدول العربية ، أما الفلاشا فلم يتوقف اليهود عندهم كثيرا وسرعان ما ينسونهم .

وجاك فيتلوفيتش هذا وهو من أصل بولندي ، كان تلميذا لجوزيف هاليقي في معهد الدراسات العليا في باريس الذي يعتبر أول من أدخل قضية الفلاشا في ملف التحالف الصهيوني العالمي في باريس عام ١٩٦٧ بدعم من اودلف كريمبو وزير العدل الفرنسي آنذاك ، وقد وجد هاليقي في فايتلوفيتش حماسا لكل ماهو يهودي فاقنعه بدراسة اللغة الامهرية وأن يضع كل مواهبه في خدمة يهود اثيوبيا . وفي عام ١٩٠٥ سافر إلى الحبشة من أجل هذه المهمة بهدف اخراج هؤلاء الفلاشا من عزلتهم وبث الثقافة الحديثة فيهم تمهيدا لتهجيرهم إلى فلسطين في اطار خطة الهجرة اليهودية ، وقد نجح في ارسال اثنين منهم هما « تمرات ايمانويل وجيتي جيرمياس » لتلقي العلم على نفقة التحالف الصهيوني ، كما نجح في اقناع ادمون دي روتشيللا بأن يقف إلى جانبه وكذلك الحاخام صادق كاهان اللذين امدها بالدعم المادي والمعنوي لكنه فوجيء بأن هؤلاء الفلاشا غير راغبين في الهجرة وانهم يفضلون البقاء في مناطقهم بالحبشة . ويقول فايتلوفيتش في مذكراته التي استولت عليها اسرائيل بعد وفاته في تل ابيب عام ١٩٥٥ « إنه لما وصل إلى المنطقة التي يسكنها الفلاشا فوجيء بأنهم لايعترفون بالعودة » إلى فلسطين ، وأن لهم ديانة خاصة بهم فقرر الإقامة بينهم لاقتناعهم بالانضمام إلى الشعب اليهودي ، وظل يرسل رسائله إلى الوكالة اليهودية التي لم تكن مطمئنة لها فالتحق به عام ١٩٠٨ الحاخام حايم ناحوم ليقف بنفسه على حقيقة مايقوله إذ اتضح له أنه لافائدة من جلب هؤلاء الفلاشا الذين لايعترفون بأرض اسرائيل وعاد إلى باريس ليعلن أن هؤلاء الفلاشا ليسوا يهودا وأن الدم اليهودي لايجري في عروقهم ، ونصح بالتخلي عنهم وتركهم يعيشون حيث هم مع المبشرين المسيحيين الذين يؤدون لهم خدمات حليلة وهم سعداء بذلك .

اكتفت الوكالة اليهودية ازاء رفض الفلاشا ترك مناطقهم بافتتاح المدارس اليهودية حتى بلغ عددها في عام ١٩٥٥ سبعة وعشرين مدرسة في اثيوبيا ، وقد نقل من تلاميذ هذه المدارس ٢٧ منهم إلى قرى الاطفال في كوتانيا في « زاعتانا » وقد طلب هيلاسلاسي عودة هؤلاء الطلاب إلى اثيوبيا فغادر عدد منهم وبقي عدد آخر في اسرائيل ساروا في جنازة فايتلوفيتش عام ١٩٥٥ وكان عددهم ٢٢ طالبا .

حاولت اسرائيل أن تستمر علاقة الصداقة بينها وبين الامبراطور هيلاسلاسي لتهجير الفلاشا فكان يماطل في الموافقة رغم أن اسرائيل كانت تؤمن له المديرين العسكريين وتمده بالاسلحة والمساعدات الفنية . وقد سعت اسرائيل أن تقيم مستعمرة في شمال اسرائيل

تخصصها لليهود الفلاشا بعد حلهم من اثيوبيا كى يكونوا رأس جسر لعلاقتها مع اثيوبيا وكانت اسرائيل تنظر بعين الاعتبار إلى هذه العلاقة بحيث تستطيع أن تؤمن اثيوبيا لها تسهيلات على مواني البحر الأحمر . ويروي ديفد كسلر مؤلف كتاب « الفلاشا يهود اثيوبيا المشيعون » أنه سأل الامبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٧٠ عما إذا كان يجذب إقامة قرية للفلاشا في اسرائيل تقوم بدور المبر بين البلدين فحابه الامبراطور : « يمكن مناقشة هذه الفكرة وليس عليها اعتراض » .

ومن حسن حظ الامبراطور أن اسرائيل لم تكن جادة في طلبها بتهجير اليهود الفلاشا اليها بسبب عدم ثقة الحاخامين في انتماء هؤلاء الفلاشا إلى اليهودية ، بالإضافة إلى اهم قد يتيرون الكثير من المشاكل الاجتماعية داخل اسرائيل مع اعتبار انهم من الافارقة السود الأمر الذي يثير الحساسية العنصرية لدى اليهود البيض (الاشكناز) في اسرائيل ، لكن المنظمة اليهودية ظلت تسعى لجلب هؤلاء حتى بعد وفاة هيلاسلاسي عام ١٩٧٥ مستخدمة في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والتشخيصات البارزة من الفلاشا انفسهم مثل « هازان باروخ » الذي يعتبر أول يهودي اثيوبي يموت في اسرائيل عن ٨٤ عاما عام ١٩٧٧ . لقد قام باروخ بدور هام بعد وفاة هيلاسلاسي حيث أجرى اتصالات سرية مع الحاخام الاسرائيلي « اوفاديا يوسف » واقنعه بضرورة الدفاع عن يهود الحبشة ، وسافر إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ تاركا في اديس ابابا اثنين من ابنائه هما اوليفيا وبائير ، وكانت الخطة أن ينسق الوالد من تل ابيب مع ولديه في اديس ابابا عملية نقل جميع افراد الفلاشا البالغ عددهم ٣٠ ألف شخص في نفس الوقت تكوت في امريكا وكندا عام ١٩٧٤ جمعيات تسمع الجمعية الأمريكية لانقاذ يهود الحبشة ، وكانت مهمتها توريث الادارة الامريكية في عملية نقل اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى اسرائيل بالضغط على حكومة هيلاباريام .

لم تتوقف علاقات اسرائيل مع اثيوبيا حتى بعد أن قطع هيلاسلاسي علاقاته معها عام ١٩٦٧ بل أن هذه العلاقات ظلت قائمة بعد قيام حكومة مانجستو هيلاماريام الثورية رغم تأكيدات « بالنضال ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية » وكشفت معلومات نقلتها الصحافة الغربية « أنه خلال عامي ٧٦ و ٧٧ قام خبراء اسراييليون عسكريون بتدريب الجيش الشعبي على حرب العصابات في اثيوبيا كما أن المستشارين الاسراييليين دربو طواقم اتيوبية على دبابات سوفيتية غنمتها اسرائيل من مصر وسوريا عامي ٦٧ ، ٧٣ كما قدموا خدمات لصيانة طائرات اف ٥ » .

وعندما تولى مناحم بيجس السلطة عام ١٩٧٧ اتصل بالزعيم الاثيوبي مانجستو وطلب منه لاعتبارات انسانية السماح بهجرة اليهود الفلاشا ولم يرد عليه مانجستو لكن اسرائيل كثفت اتصالاتها مع الحكومة الاثيوبية ملوحة بامدادها بالسلاح مقابل تهجير الفلاشا اليها . كان بيجن من المتحمسين لاستجلاب اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل ووضع هذا في برنامج اهدافه واستطاع خلال فترة وجيزة نقل ١٢١ شخص من اليهود الاثيوبيين مباشرة من اديس ابابا إلى تل ابيب عام ١٩٧٧ ، كانت الطائرات الاسرائيلية تصل إلى اديس ابابا عليها اسلحة لتعود إلى اسرائيل عليها اعداد قليلة من الفلاشا وبدأت الحملات في اسرائيل تضغط على حكومة بيجن لجلب اكبر عدد من اليهود الفلاشا من اثيوبيا وتمثلت هذه الحملات في مظاهرات قام بها اليهود الفلاشا الموجودون في اسرائيل أمام الكنيسة تدعو الحكومة « لعدم ترك اخوانهم اليهود يعانون الاضطهاد » ، واستقبل بيجن اربعة منهم قائلا لهم : إن الحكومة تعتبرهم يهودا عليها التزام بمساعدتهم وأنها ستدعو الحكومة الاثيوبية لأن تتركهم يهاجرون الينا » وراحت الصحف الاسرائيلية تدعو وتشجع استجلاب اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل وكتبت « نيوريبلك » **New Republic** في فبراير ١٩٧٩ مقالا بعنوان « الفلاشا الضحايا السود » زعمت فيه أنه يتم تصفيتهم وانهم سيختفون تماما في القريب العاجل . ومقالات اخرى تصورهم أنهم يقتلون ويستبعدون ، وكتبت جويش كرويكال : « انقذوا الفلاشا من القتل » وكتبت جيروزالم بوست : « الفلاشا اهملوا ، وهذا الاهمال لابد أن يكون مميتا » .

ازاء هذا الضغط شكلت لجنة وزارية واصدرت بيانا تضمن ضرورة استيعاب اليهود الاثيوبيين ورأت أنه لابد من المخاطرة باجراءات على مستويات عليا .

في مكان آخر كانت هناك حملات ضغط من نوع آخر ، فقد تشكلت في الولايات المتحدة منظمات ولجان من اليهود وكان للوفى الصهيوني دور كبير .. لقد طرح الموضوع لأول مرة في المجلس الاتحادي اليهودي الذي عقد بمدينة سان فرانسيسكو عام ١٩٧٨ ويومها اثار رئيس الطلاب الكنديين اليهود ويدعى ستيفن يومان هذه المسألة . وقوبلت محاولته بالاعتراض ومنع من توزيع منشورات تحث على نقل الفلاشا ، لكنه وجد نصيرا له هو ستيف مونتاج المسئول عن الشبكة العالمية لاحياء الهولاكوست ، واختير مونتاج رئيسا للجنة المكلفة بمتابعة موضوع اليهود الفلاشا وهي لجنة تضم اسرائيليين وامريكيين ، كما اتصل ثلاثة شيوخ في الكونجرس عرفوا بتأييدهم الأعمى لكل القضايا التي

تخص الصهيونية ، وهم رودي بوشنتير ، ستيفن سولريز ، توم لانجوس ، وشرع الثلاثة في تشكيل نواة حركة سياسية داخل الكونجرس لنصرة الفلاشا ، وتعهد مونتاغ باثارة الموضوع مع السفير الاسرائيلي في واشنطن ومع الضغوط القائمة في اسرائيل جاءت هذه الضغوط القادمة من الولايات المتحدة الامريكية لتلتقي جميعها مع استعداد مناحم بيغن ووعوده التي قطعها لنقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ، فكانت ردوده لكل هؤلاء سريعة ومشجعة ، بل أنه ارسل إلى الولايات المتحدة الامريكية مساعدة « يهودا افنر » المكلف بشئون المهاجرين للاتصال بالوكالة اليهودية وابلغها أن الحكومة تجري محادثات سرية بشأن انقاذ قبيلة الفلاشا ونقل افرادها إلى اسرائيل ، وبقلت « نيويورك تايمز » أن مبعوث يبجن ابلغ الوكالة اليهودية بخقيقة الوضع الاجتماعي الذي يعاني منه افراد هذه القبيلة في مقاطعة حوشار الاثيوبية وادعى بأن الميجور ميلانكو الحاكم العسكري الاثيوبي للمنطقة هو الذي يقود بنفسه حملة الاضطهاد ضد افراد الفلاشا ..

عقدت بعد ذلك عدة اجتماعات شاركت فيها جميع المنظمات اليهودية الامريكية وانبثق عنها منظمتان الأولى تضم مجموعات كندية ، والثانية تتألف من قوى مختلفة داخل امريكا ، وقد كشفت الخلافات في وجهات النظر بين المنظمتين عن جزء كبير من النشاطات السرية التي قام بها ستيفن يومان رئيس الجابب الكندي وجراتوم برجر رئيس الجمعية الامريكية لانقاذ يهود الحبشة التي تأسست عام ١٩٧٤ وعقدت سلسلة محاضرات بهدف توريط الادارة الامريكية في عملة تهجير اليهود الفلاشا .

صاحب هذا النشاط في الولايات المتحدة الأمريكية نشاط آخر في مواقع الفلاشا سواء في مناطق معسكرات اللاجئين أو مقاطعة جونددار وجبل سيمين في اثيوبيا حيث انتشر مندوبو الوكالة اليهودية والجمعيات الصهيونية التي تبنت مسألة تهجير اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ، وكان من بين هؤلاء جراتوم برجر نفسه الذي ظل يبعث إلى الجمعية الامريكية لانقاذ يهود الحبشة التي يرأسها بتقارير متصلة عن اوضاعهم في المعسكرات وفي المناطق الجبلية الاثيوبية ، من بين ماقاله في هذه التقارير أن هذه المخيمات سواء الموجودة في السودان أو الصومال أو جيبوتي تضم مايزيد عن ٢٥٠٠ شخص من الفلاشا . وتدل التقارير التي ارسلها إلى جمعياته أن أول دفعة من يهود الفلاشا وصلت إلى اسرائيل عام ١٩٧٧ وكانت تضم ٦٢ فردا ثم توقفت لأنهم لم يجدوا ترحيبا من الاسرائيليين .

كشف وصول الدفعة الأولى من يهود الفلاشا إلى اسرائيل وجود انقسام بين

الاسرائيليين حول بقاء هؤلاء السود القادمين من جبال افريقيا بينهم ، وكان موشى ديان من انصار الاتجاه بعدم تهجيرهم إلى اسرائيل حتى لايشكلون عبئا على المجتمع الاسرائيلي الملىء بالتناقضات الاجتماعية بينما كان مناحم بيغن من انصار استقبالهم في اسرائيل والمتحمس لتهجيرهم من اثيوبيا ارضاء لمطالب الجماعات والمنظمات الصهيونية في امريكا وتنفيذا لوعود كان قد قطعها قبل نجاحه في انتخابات عام ١٩٧٧ ، لذلك مأن تولى سلطة الحكم في اسرائيل في هذا العام حتى كان موضوع تهجير اليهود الفلاشا على رأس قائمة القضايا التي تشغله واستطاع أن يعقد اتفاقات سرية مع الرئيس الاثيوبي مانجستو هيلاماريام لاستجلاب هؤلاء اليهود من اثيوبيا مقابل مد اثيوبيا بأسلحة والتوسط لدى الولايات المتحدة الامريكية لمد اثيوبيا بقطع غيار وصيانة الأسلحة القديمة ، حيث أن طبيعة العلاقات الودية بين مانجستو والادارة الامريكية لم تكن تسمح أن يطلب مانجستو من الامريكيين ذلك مباشرة فتولى مناحم بيغن هذه المهمة ليضمن وصول الفلاشا إلى اسرائيل ، لكن موشى ديان كشف سر هذه الصفقة في مؤتمر صحفي عقده في جنيف عام ١٩٧٨ الأمر الذي دعا مانجستو إلى إلغاء الصفقة على الفور بعد أن تولى ديان فضح اسرارها ، وقد اثارت تصريحات موشى ديان ردود فعل في الأوساط اليهودية وأمام موقف الحكومة الاثيوبية بإيقاف الصفقة اضطرت هذه الجماعات الصهيونية أن تواصل نشاطها السري مرة اخرى مع الاثيوبيين .

وانقل الآن عن ليون هادار مراسل صحيفة جيروزاليم بوست في نيويورك قوله : إن تصريحات موشى ديان لم تنسف الاتصالات السياسية التي اجراها زعيم التنظيم الكندي ستيفن يومان والتي حصل بها على تأييد عدد من شيوخ الكونجرس الذين دعوا إلى ضرورة وضع مسألة الفلاشا على جدول أعمال المباحثات بين امريكا واثيوبيا .

ويقول مراسل الصحيفة الاسرائيلية إن يومان اضطر بعد ذلك إلى زيارة اديس ابابا تحت غطاء السياحة ورافقه مجموعة من معاونيه في الجمعية الكندية وقد استقبل بمظاهر الحفاوة في مطار أديس ابابا من قبل مسئول في مكتب السياحة الذي تحدث معه بالعبرية بطلاقة .. وقد امضى اسبوعين في اثيوبيا اجرى خلالها محادثات مع كبار الموظفين عاد بعدها إل الولايات المتحدة يحدد انطباعاته فيما يلي :

(١) إن النظام الاثيوبي ليس معاديا لتهجير اليهود الفلاشا إلى اسرائيل رغم وجود عناصر في الادارة الحكومية تحارب الصهيونية وتناصرها العداء .

(٢) ضرورة وقف الحملات الاعلامية ضد نظام مانجستو ودعمه . وقد نجحت مهمة مدير الجمعية الكندية الصهيونية في اقناع الامريكيين بتخفيف الضغط على اديس ابابا بل أن قدرات دبلوماسية فتحت بين اثيوبيا وامريكا ، وامكن نقل عدة مئات من الفلاشا إلى اسرائيل بوسائل مختلفة ..

لكن العملية كانت تتم ببطء وباعداد قليلة بينما كانت الخطة تقضي نقل ٢٠ ألفا من يهود الفلاشا في وقت زمني قصير وقد اقتضي هذا أن تتولى امريكا نفسها المسألة بالضغط على حلفائها في المنطقة وخاصة الدول التي يتدفق اليها اللاجئين وتستقبل يوميا آلاف اللاجئين منهم ، وكانت السودان في مقدمة هذه الدول التي فتحت حدودها الشرقية لاستقبال آلاف اللاجئين بترتيب من اثيوبيا بما فيهم الفلاشا إلى الأراضي السودانية التي يراد تهجيرهم ضمن خطة اعدتها الولايات المتحدة الأمريكية لا تثير شكوك أحد وتبدو في شكلها ذات طابع انساني لأنها لن تكون قاصرة على اليهود الفلاشا ، وسميت هذه الخطة «اعادة توطين اللاجئين في اوروا وامريكا» وهذه الخطة تضمن للولايات المتحدة الأمريكية عدم اللجوء إلى اثيوبيا أو الدخول معها في مفاوضات وتقديم ما تحتاجه من مطالب عسكرية واقتصادية مقابل ذلك وهو امر لا تريده امريكا التي لاتتفق سياسة مانجستو تماما مع السياسة الأمريكية .

هكذا بدأ التفكير يتحول إلى التفاوض مع الحكومة السودانية لتسهيل عملية نقل هؤلاء اليهود في سرية تامة ورأت حكومة جعفر نميري التي مورس عليها ضغط من امريكا وحلفائها أن تستثمر هذا الموضوع في الحصول على مزيد من الدعم المالي والعسكري والحماية الامنية للنظام الذي بدأ يتصدع منذ عام ١٩٧٨ ، وذلك بتزايد قوى المعارضة في الداخل والخارج وتزايد حدة الخصام مع ليبيا التي كانت تكن العداء لنظام جعفر نميري .

وقد كلفت عملية نقل اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى اسرائيل ٣٢٥ مليون دولار — على حد قول الصحف الغربية — دفعتها المجمعات والوكالات اليهودية للاتفاق على كافة العمليات التي تتم سواء اثيوبيا أو السودان أو دفع اموال لموظفي الحكومتين وحصلت الحكومة السودانية مقابل ذلك على ٥٦ مليون دولار لم توضع في خزانة الدولة أو أى حسابات معلنة . وكانت الخطة الأمريكية الاسرائيلية في نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل إقامة جسر جوي من الخرطوم إلى عواصم اجنبية .

لقد ادركت اسرائيل حاجتها إلى استجلاب هؤلاء اليهود الفلاشا بصرف النظر عن

مدى ترحيب الاسرائيليين بهم أو عما إذا كانوا يهودا تماما أم لا وذلك لعدة اعتبارات بدت ملحة على الحكومة الاسرائيلية وهذه الاعتبارات هي :

* دفع التهمة الشائعة عن اسرائيل بأنها دولة عنصرية وفي استقبالتها لآلاف اليهود السود الافريقيين مظهر بأنها لا تفرق بين اليهود البيض أو اليهود السود . وهذا ماعبر عنه كمال موسى جليوع المدير بوزارة الخارجية الاسرائيلية والمكلف بيهود الشتات عندما قال : « إن عودة يهود اثيوبيا إلى اسرائيل هي اكبر صفقة للذين اعتبروا الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية » .

* تعويض ماخسرته اسرائيل من ضحايا في حروب لبنان ويمكن لهؤلاء القادمين من جبال افريقيا أن يقوموا بأعمال الخدمات التي اصبحت اسرائيل في حاجة لها بسبب انشغال القوى البشرية العاملة في الحركة العسكرية .

* التعويض عن الهجرة المعاكسة التي بدأت اسرائيل تواجهها وتزايدت نسبة المهاجرين من اسرائيل إلى اوربا عن نسبة المهاجرين اليها الأمر الذي دعا الحكومة الاسرائيلية أن تبحث عن بدائل خاصة أنها راحت تقيم عشرات المستوطنات وتسعى إلى زرعها باليهود الجدد في مواجهة ازدياد عدد السكان العرب وهذه معادلة سكانية خطيرة بالنسبة لاسرائيل تحرص دائما على أن يكون ميزانها دائما في صالحها .

لهذه الاسباب وغيرها راحت اسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية والمنظمات اليهودية في العالم تبذل قصارى جهدها لوضع خطة يكون من شأنها الاسراع في نقل اكبر عدد من يهود الفلاشا اليها وقد ساعدها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، وبدأت المناطق الشرقية والجنوبية في السودان تشهد ابتداء من اواخر عام ١٩٧٧ نشاطات خفية تساهم فيها منظمات دولية اتخذت من مساعدة اللاجئين ستارا لأهدافها الحقيقية التي كانت تتمثل في نقل اكبر عدد من يهود الفلاشا إلى اسرائيل ، واستقبلت السودان في أواخر السبعينات عشرات من هؤلاء الذين اختاروا مدينة القضايف ، احدى مدن الاقليم الشرقي ، مسرحا لاعمالهم نظرا لوجود اكبر عدد من معسكرات اللاجئين الاثيوبيين حولها .

وبدأ نشاط هذه المنظمات كما لو كانت اشباحا تتحرك في الظلام ..



الفصل الثاني

أشباح في الظلام

« القضايف » .. مدينة هادئة تقع في ارض زراعية خصبة من الاقليم الشرقي في السودان ، تحيط بها جبال وتلال مثل جبل تاواوا ، معظم سكانها من قبيلة الشكرية وهي واحدة من القبائل السودانية ذات الاصول العربية ، تبعد عن مدينة الخرطوم بمسافة تزيد عن خمسمائة كيلو متر ، تقطعها السيارات في نحو ثماني ساعات على طريق مرصوف ، أو بالطائرة في نحو ساعة ونصف ، أو بالقطار ، تقترب من الحدود الاثيوبية بنحو ستين كيلو مترا ولذلك فقد انتشرت حولها معسكرات اللاجئين مثل ود الحلبو ، معسكر ام راكوبة ، تاواوا ، ام جلجا ، قلع النخل وخشم القرية ، وهي معسكرات تستقبل اللاجئين الاثيوبيين الذين بدأ تدفقهم على السودان بسبب الهجرة من العمليات العسكرية التي يتعرض لها الاثريون من القبائل الاثيوبية التيجرى ورومو وجالا ، أو هؤلاء الهاربون بحثا عن مأوى ومأكل بسبب الجفاف والمجاعة التي تعرضت لها منطقة الساحل الافريقي وهي ٢٤ دولة افريقية ، وكانت اثيوبيا واحدة من هذه الدول مما اضطر سكان هذه المناطق إلى التدفق على الحدود السودانية منذ عام ١٩٧٥ وبلغ عدد هؤلاء اللاجئيين ٤٤٠ ألف شخص عام ١٩٨٣ وصل عام ١٩٨٥ إلى ٧٨٤ ألف شخص حسب ارقام مفوضية شؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ، وقد انشأت السودان منظمة خاصة لهذا الغرض ، سميت مفوضية شؤون اللاجئين يرأسه احد السفراء ويتبع مباشرة لوزارة الشؤون الداخلية ، وتتركز مهمته في اعداد معسكرات استقبال اللاجئين ودراسة اوضاعهم واجراء الاتصالات مع المنظمات الدولية التي تقوم برعاية شؤون اللاجئين وتقديم الدعم للسودان لهذا الغرض ، وقد بلغ متوسط ماتقدمه الأمم المتحدة للسودان سنويا نحو ٣٥ مليون دولار ، وتلقت السودان عونا غذائيا لتوزيعه على اللاجئين من دول العالم نحو مليون طن من الحبوب ، وقد تزايدت الاغاثة الدولية ومعظمها منظمات تطوعية ودينية من كندا وامريكا وعدد من الدول الغربية واتخذت لها مراكز في مناطق الحدود بين السودان واثيوبيا ووسط معسكرات اللاجئين واختلطت اهداف هذه المنظمات الانسانية مع الاهداف السياسية وغير السياسية الاخرى وهي أهداف غير مرئية ، وجدت في هذا العمل الانساني ستارا لتحقيق تلك الأهداف ، ولم يتوقف احد في أول الأمر حول هذا الجانب من نشاط بعض هذه المنظمات والهيئات .. كان الترحيب حار بما تقدمه هذه المنظمات والهيئات من مساعدات سميت تطوعية لاغاثة هؤلاء اللاجئين .

استمر الحال على هذا النحو فترة من الوقت إلى أن بدأ سكان مدينة القضارف يشعرون بشيء غير مفهوم يحدث في المعسكرات القريبة من المدينة وبالذات في معسكر تروا ومعسكر أم راكوبة اللذين يستقبلان اللاجئين القادمين من منطقة جوندار في الأراضي الاثيوبية ، وهى المنطقة المتاخمة لمنطقة القضارف ذات المنافذ التي تؤدي إلى الحدود الاثيوبية عبر الجبال والتلال .

كان ذلك في أحد ليالي ربيع عام ١٩٨٠ عندما احس سكان المدينة أن شيئاً غير مفهوم يحدث في معسكر أم راكوبة أحد معسكرات اللاجئين الاثيوبيين ، وأن هذا الشيء لا يحدث إلا ليلاً .. حيث تتسلل عربات اللواري إلى المعسكر وتقف هناك حلف الحبل في منطقة تصدر منها اشارات ضوئية وفي الصباح يكتشف سكان المدينة وجود أعداد من اللاجئين الاثيوبيين الذين لهم صفات خاصة تميزهم من غيرهم وقد اقاموا في منازل مؤجرة ، بينما يكتشف المسئولون عن معسكر اللاجئين في أم راكوبة اختفاء أعداد كبيرة من هؤلاء اللاجئين ، ولم تكد تمضي ايام حتى تعود اللواري ليلاً مرة أخرى مطفأة الانوار لتنقل هؤلاء اللاجئين إلى مناطق بعيدة حيث تكون في انتظارهم طائرات أو سيارات تنقلهم .

في هذا الوقت كانت معلومات قد خرجت من السفارة السودانية في واشنطن إلى جهاز أمن الدولة تفيد بوجود منظمة يهودية امريكية مهمتها رعاية شؤون اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم الفلاشا وذلك بترحيلهم من معسكرات اللاجئين الى اسرائيل عن طريق اثينا وان هناك نحو ثلاثة آلاف من هؤلاء اليهود الاثيوبيين تسعى هذه المنظمة لترحيلهم .. على الفور خرجت البرقية أمر (١) رقم ٧٧٩ في ١٨ مارس ١٩٨١ من أمن الخرطوم إلى أمن القضايف تطلب منهم متابعة تحركات هؤلاء اليهود الاثيوبيين وبالتعاون مع سلطات شؤون اللاجئين والافادة بأى تحركات مشبوهة في أوساط هؤلاء اللاجئين .. لم تمض خمسة أيام من تلقي أمن الخرطوم برقية رقم ١٤٧ تحمل أول خيوط الضوء على ما يحدث في الظلام ، وأن هذه المعلومات التي جاءت من واشنطن عن طريق السفارة السودانية لم تكن خافية على هؤلاء الذين يعملون ويعيشون في مدينة القضايف وفي رعاية شؤون اللاجئين . داخل المعسكرات المتناثرة حول المدينة ، لقد اتضح أن هؤلاء العاملين في أمن القضايف ، البعيدين عن العاصمة وخباياها على علم بما يدور منذ مارس ١٩٨٠ وانهم ظلوا يرسلون بريقاتهم إلى أمن الخرطوم وإلى مدير ادارة أمن المحافظات والحدود .

ولأول مرة بدأت تظهر اسماء اجنبية مثل جوبليك وهو بريطاني الجنسية يعمل في

منظمة « اوبريش لايف لاين » الكندية التي تقوم بعملية ترحيل اليهود الاثيوبيين و « برهاني نغده » وهو اثيوبي يعمل في الصليب الأحمر بالخرطوم وقد تم احتجازه بالقضارف ، كتشف الحقائق أن جوبليك هذا قد حضر إلى القضارف بحجة اختبار بعض اللاجئين ليجد لهم فرصة اعادة توطن بكندا ، والواقع ، كما أكد احد اللاجئين الاثيوبيين من قبيلة التيجراي مان جوبليك هذا كان نشاطه ينحصر في اختيار اليهود الفلاشا من منطقة حوندار في الأراضي الاثيوبية ويدفع بهم إلى الحدود السودانية بعد أن يقوم باقتناعهم بأنهم ذاهبون إلى ارض الميعاد التي وعد الله بها نبيهم موسى ، والغريب أن هؤلاء اللاجئين اليهود الفلاشا لم يخفوا مقاصدهم عن موظفي شئون اللاجئين الذين يقومون بتسجيل البيانات التي تشتمل على الاسم والسن ، والجنس والمهنة ، والدين ، واسباب اللجوء والاتجاهات المستقبلية ولا يخفون هؤلاء وهم يملأون البيانات انهم فلاشا وديانتهم هي اليهودية ، وانهم في طريقهم إلى اسرائيل ، لقد لاحظ اسماعيل ابراهيم مساعد معتمد اللاجئين بمدينة القضارف أن هؤلاء اللاجئين كانوا يتسللون ليلا وباعداد كبيرة للهروب من المعسكر بمساعدة آخرين رغم أن اللوائح تنص على عدم خروج أى لاجئ من المعسكرات إلا بأذن من مدير المعسكر .. وكان من السهل هروبهم من المعسكر ، فالمعسكر غير مغلق ومن الصعب التحكم في حركة المقيمين فيه ، كان ادراك مساعد معتمد اللاجئين لهذه الظاهرة مبكرا ، منذ عام ١٩٧٩ ولم يخف ذلك في تقاريره التي كان يرسلها إلى رؤسائه بالخرطوم واورد أن هناك محاولات لاستدراج اليهود الفلاشا من اثيوبيا إلى السودان وقد ذكر له هؤلاء في أول لقاءاته معهم انهم لم يحضروا من أجل البقاء في السودان فهم ذاهبون إلى « ارض الميعاد » وهم يؤمنون باقوال نبيهم موسى : « بأن ابناء يعقوب سيعذبون في الأرض إلى أن يعودوا إلى ارض الميعاد » .

لم يتجاوز رد فعل اجهزة الأمن السودانية رصد ومتابعة هذه التحركات ، حتى أن قصة دانيال لونجير بدت كما لو كانت قصة عادية لمستثمر امريكي جاء إلى السودان ينشئ مشروعا استثماريا ، حدث ذلك في مايو ١٩٨١ عندما وصل إلى الخرطوم على أنه مدير شركة سياحية تتخذ من جنيف مقرا لها والتقى بالمسؤولين في هيئة السياحة والفنادق وابدى رغبة شركته في تأجير قرية عروس الواقعة شمال ميناء بورسودان على مرفأ جيغا السوداني وكان العمل قد توقف فيها كقرية سياحية منذ عامين ، وبنى فيها فندق سياحي ، بعد مفاوضات وافق المسؤولون بهيئة السياحة والفنادق على تأجير الفندق لهذه الشركة لاغراض

سياحية ولمدة ثلاث سنوات مقابل مبلغ ٤٠ ألف دولار عن السنة الأولى و ٧٥ ألف دولار عن السنة الثانية تزداد إلى ١٢٥ ألف دولار عن السنة الثالثة ، وقد تم تحرير عقد الانجاز وقع عليه من الجانب السوداني محمد محبوب امين مدير شركة السياحة العالمية ودانيا لونجر عن الشركة التي تتخذ جنيف مقرا لها ، وقد اتضح أن هذه الشركة ليس لها فرع أو وكيل في السودان ، ولم تكن مسجلة لدى مسجل الشركات ، ولم يتم استشارة النائب العام بشأنها ورغم ذلك استمرت الشركة في عملها ، وكان لها تقليد في عملها وهو أن تستبدل موظفيها الاجانب كل شهرين لتأتي بغيرهم ، ولها طائرات وسيارات . وكانت هذه الطائرات تهبط في مطار « كرساجو » ، ومطار كرساجو هذا عبارة عن ارض فضاء مسطحة طوله نحو ٣ كم وعرضه ٢ كم ويقع على بعد ١٧ كم شرقي القضارف ، وقد بدأ الأمر يتبر شكوك السكان العاديين في المنطقة وهم اناس بسطاء يعملون في الزراعة والرعى لم يتعودوا على مشاهدة هذه الطائرات حتى عندما كانت القرية السياحية في قمة نشاطها منذ عامين .

تقع قرية عروس على بعد ٥٠ كم شمال بورسودان على مرفأ جيغا بالبحر الأحمر ، الطريق اليها وعمر ولابد من ركوب البحر للوصول اليها ، بها فندق يتكون من ٣٠ غرفة ، وقد بدأت فكرة انشاء هذه القرية كمشروع سياحي عام ١٩٧٣ وتم افتتاحها رسميا في ٢٩ مايو ١٩٧٥ ، وهي احدى قريتين سياحيتين الأخرى هي قرية « جميزة » باقليم الاستوائية مخصصة للصيد وقد بدأ استخدام هذه القرية كستار تدار فيها عملية نقل اليهود الفلاشا بدون علم السلطات السودانية عندما استأجرتها شركة سويسرية تدعى نايكوفيشن « شركة نايكو للملاحة الجوية » في ١٩ نوفمبر ١٩٨١ .

لاحظت اجهزة الأمن السودانية أن نشاط الشركة قد ازداد في شهر مايو عام ١٩٨٢ وذلك بهبوط طائرة مجهولة الهوية في مطار كرساجو في أوقات منتظمة خلال هذا الشهر وبالتحديد مساء كل يوم خميس .

لم يكن أحد يعرف أصل هذه الطائرة ولا من اين جاءت . وماهى اهدافها وفي مثل هذا الجو وهذه الظروف حيث مشاكل الحدود بين السودان واثيوبيا والمنظمات الارترية المعادية للنظام الاثيوبي يمكن أن تنور إلى الاذهان أكثر من أى احتمال آخر ، وكان لايد من متابعة الموقف فتحرك فريق من شرطة البحر الأحمر وأمن الدولة وامين شرطة هو محمود ابراهيم ابو محمد ونقيب شرطة هو محمد أحمد على ابراهيم وقاموا بمعاينة ارض الهبوط فشاهدوا آثار هبوط طائرة وآثار عربتين كبيرتين ، وآثار اقدام ، ولفت انتباههم آثار شخص كان يرقد في

الناحية الجنوبية للمطار متخذاً وضع الاستعداد العسكري لضرب النار ، كما عثروا على علبة فارغة من مشروب البيبسي كولا وعلبة عود ثقاب مكتوب عليها فندق هيلتون الخرطوم ، وبطاريات اضاءة صنعت في امريكا ، كما عثروا على ملابس رجالية ونسائية واطفال واحذية من النوع الذي يرتديه الاحباش ، واربعة صفائح ماء اثنان منها مليئة بالمياه واثنان منها فارغة ، وعلبة سجائر مارلبورو ، وبمعاينة ماتخلفه الطائرة من آثار على ارض الهبوط المرصوفة اتضح أنها هبطت اربع مرات في هذه المنطقة وأن هذه الطائرة عسكرية طراز C130 ولوحظ أن الاشجار الصغيرة التي نمت مرور الزمن قد تمزقت وتناثرت على الجهة اليمنى للمطار بفعل حركة الطائرة .. وباستجواب الأهالي الموجودين في المنطقة تأكد أن الطائرة نزلت في هذا المكان ليلا واكثر من مرة وأن احد الاجانب الذي كان يتحدث اللغة العربية شوهده وهو يقوم بعملية تنظيف « الران واى » نهارا ، ثم تأتي عربات كبيرة ليلا حيث تقوم باضاءة ارض المطار .

أمام هذه الشواهد تقرر أن يقوم صف من القوات المسلحة بعمل كمين للطائرة في أحد أيام الخميس ، وفي الموعد المحدد حضرت الطائرة بالفعل ولكن يبدو انها كشفت الكمين فلم تهبط وعادت ادراجها في الاتجاه الشرقي .

لقد تكررت المشاهد عندما قام محمد أحمد على ابراهيم وآخرون من رجال الشرطة والأمن بالمرور على القرية السياحية بحجة انهم بعثة تعليمية في طريقها إلى حلايب هناك عثروا على نفس الاشياء التي تكشف عن الطائرة عثروا على علبة بيبيسي كولا وعلبة شاي ليهتون وكبريت هيلتون الخرطوم وخبز مغلف وتوصلوا إلى قناعة بأن هذه الأشياء تتطابق تماما مع المخلفات التي كانوا قد عثروا عليها في مطار كرساجو .

هذه الاشياء الصغيرة علبة الكبريت وعلبة البيبيسي كولا قضت على الاحتمال الذي يقول إنهم ربما كانوا جماعة يقومون بعمليات عسكرية من المنظمات الارترية أو الجيش الاثيوبي ، وتوجهت الانظار إلى احتمال آخر بدا أكثر غموضا . ولم يتضح ملاحمه ، وبدأ البحث يدور حول هؤلاء الاجانب الذين يعملون في قرية عروس السياحية ، أن آثارهم هي نفس الآثار التي كانت في مطار كرساجو ، بل إنه اتضح أن القرية يوجد بها سيارتان لوري وعربتان لاندكروزر من ذلك النوع الذي بدت آثاره عند المطار ، وبدأت الصورة الغامضة تزداد وضوحا ويتبدد الضباب من حول ذلك الشخص الذي يدعى دانيال لونيير

فهو الذي يدخل سجناء الماربورو وينزل بفندق هيلتون عندما يكون بالخرطوم ، أما الشخص الاجنبي الذي يتحدث اللغة العربية ويقوم بتنظيف المطار هار فهو الماني الجنسية ويدعى « سيرل » ويشغل منصب ممثل المندوب السامي للاجئين في بورسودان .

وهكذا اتضحت أول الخيوط بوجود علاقة بين هؤلاء المقيمين في قرية عروس وحركة الطائرة العسكرية ليلا كل يوم حميس في مطار كرساجو . أصبح هناك حقيقة أن هؤلاء الاجاب الذين اتخذوا من مشروع سياحي ستارا لنشاطهم الحقيقي وهو نقل اليهود الفلاشا إلى خارج السودان ، وليس من المستبعد أن يكون دانيال لونجير هذا ضابط بالخبرات الاسرائيلية تخفى في شخصية مستثمر امريكي .

كشفت التحقيقات والتحريات فيما بعد أن هذا المشروع السياحي الذي حمل اسم قرية عروس كان ستارا لعملية ترحيل اليهود الفلاشا التي كانت تشرف عليها السفارة الامريكية في الخرطوم وموظفون بمكتب شئون اللاجئين التابع للأمم المتحدة ولقد ظل هؤلاء الاجاب يعملون بها حتى قيام الانتفاضة الشعبية في ١٦ ابريل (نيسان) عام ١٩٨٥ ، وعدد هؤلاء الاحاب ستة اشخاص يتزعمهم شخص يدعى « تسكر » كان معهم بالاضافة إلى السيارات الأربعة جهاز لاسلكي بعيد المدى وتسعة عوامات غطس كاملة ومنظم اوكسجين ، وحتى هذا التاريخ فإن القرية رأت العدي من المشاهد الغامضة والتي كان ابطاها شخصيات سياسية امريكية ، وتسجل وقائع هذه الفترة تلك الزيارة التي قام الفريد اترتون السفير الامريكي بالقاهرة ومعه الملحق العسكري بالسفارة الامريكية بالخرطوم .. ففي يوم ١٣ فبراير ١٩٨٣ وصل دانيال إلى بورسودان قادما من الخرطوم يحمل معه خطابا من وزارة السياحة يتضمن رغبة سفييري امريكا في القاهرة والخرطوم والملحقين العسكريين وزوجاتهم للحضور إلى قرية عروس في يوم ٢٥ فبراير ومغادرتهم في اليوم التالي . لقد زادت هذه الزيارة حدة الشكوك ، فهل من المعقول أن يأتي وفد على هذا المستوى وبهذه الصفة الاجتماعية من القاهرة والخرطوم للسياحة في هذه المنطقة النائية ولدة يوم واحد خاصة وقد احيط بها اهتمام من قبل المسؤولين ، على أى حال فإن مدير شركة السياحة السودانية كتب مذكرة بهذه الزيارة إلى محبوب محمد على نائب وزير السياحة . وجاء في المذكرة : « أن ضابط العلاقات العامة بالسفارة الامريكية اتصل به وطلب الحجز ليوم وليلة في قرية عروس السياحية لوفد على مستوى عال بهدف الراحة والاستجمام والاستمتاع والوقوف على نشاطات القرية مع استعدادهم لدفع جميع التكاليف » .

في صباح يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٩٨٣ هبطت مطار بورسودان طائرة حربية خاصة تقل الوفد الأمريكي .. سفيران واربعة عسكريين وزوجاتهم . هذه الزيارة الغامضة لفتت نظر العقيد حسن عثمان بوحدة أمن بورسودان ، وأمر بتشكيل فريق مراقبة من العميد بحري نور الدين أحمد فتح وشخص مدني يجيد الغطس ويعمل بالبحر واستعمل الثلاثة أحد اللنشات المؤجرة لمراقبة حركة الوفد الأمريكي من مرفأ جيجا المواجه للقرية حيث استمرت المراقبة طوال اليوم واللييلة التي امضاها الوفد الأمريكي .. وقد كتب العقيد حسن عثمان في تقريره إلى رئاسته بالخرطوم اورد فيه ماتوصل اليه من نتائج بعد المراقبة قائلا : « إن الزيارة لم تكن بقصد الترفيه وإنما بقصد العمل لأن الزوار الامريكان لم يتحركوا إلى البحر اطلاقا وإنما ظلوا بداخل مباني القرية .. واقترح في برقيته ضرورة رصد هذا النشاط من الخرطوم وحتى بورسودان ذلك أن اجهزة الأمن في المنطقة توصلت إلى قناعة وهو قيام هذه المجموعة الاجنبية بعمل غير مشروع لم تتمكن من تحديده .

وفي شهر مايو ١٩٨٤ وصلت برقيات من أمن القضايف إلى أمن بورسودان ، ومن قائد الاستخبارات العسكرية بالخرطوم إلى بورسودان تتضمن معلومات بشأن ترحيل بعض افراد الفلاشا اليهود الاثيوبيين عن طريق البحر الاحمر .

وفيما يلي نص احدى هذه البرقيات بتاريخ ٥ يوليو ١٩٨٤ تحمل رقم ٤٥٠ موجهة من أمن القضايف إلى أمن بورسودان :

« مقرر (١) » — الرئاسة عمليات

داخلي

مقرر دائرة الأمن ٤٥٧ بتاريخ ٨ مايو ١٩٨٤ (٣ ب) ورود معلومات مؤكدة بوجود شبكة تعمل على ترحيل الفلاشا باعداد كبيرة إلى اسرائيل حتى يتم نقلهم بواسطة الشاحنات من القضايف حتى منطقة سواكن ، ثم بالسنايك عبر البحر حيث تنتظرهم البواخر .

كذلك وردت معلومات مماثلة في برقيات اخرى احداها بتاريخ ١٦ مايو ١٩٨٤ والاخرى بتاريخ ٢ يونيو ١٩٨٤ وكلاهما من قائد استخبارات الخرطوم إلى قيادة بورسودان وازادت البرقية الاخيرة أن هذه العمليات تقوم بها شبكة تعمل داخل السودان ولابد من وضع خطة محلية للقبض على افراد هذه الشبكة .

وماحدث بعد ذلك إنه لم يتم القبض على هذه الشبكة ، بل ظلت تعمل حتى قيام
الانتفاضة الشعبية في مارس — ابريل ١٩٨٥ وتمكنت من الهرب في ١٦ ابريل واتضح أن
عدددهم ستة اشخاص ، حيث غادروا قرية عروس بعريتين لاندروفر ستيتسن وبيك آب ،
واخذوا معهم اجهزة الاتصال التي كانت في حوزتهم ، وكان رئيس هذه المجموعة
« تسكر » قد تعرض في يوم ١٩ ابريل لحادث بالبحر ادى إلى اصابة رجله بكسور ونقل
إلى مدينة بورسودان حيث وضعت رحله في الحبس .

واكتشف هروب هذه المجموعة بعد يوم ١٦ ابريل وازاء هذا تم تشكيل فريق من
قيادة مطقة بورسودان برئاسة المقيب أحمد محمد عبد الرحمن وقاموا بمسح المنطقة الشمالية
حتى الحدود الغربية وابعض اليهم بعد ذلك افراد من الدفاع الجوي وبعد بحث مرهق تمكوا
من الحصول على معلومات من بعض الأهالي في المنطقة التي مروا بها افادت بهبوط طائرة
بالمنطقة في ليلة ١٦ ابريل ١٩٨٥ ، وسبق هبوطها وجود احانب يفترون الأرض وبجوارهم
عربتان تحمل نفس اوصاف العربتين اللتين هربنا من قرية عروس .. هذه المنطقة بها مجموعة
قرى .. وقام فريق البحث باستجواب عمد هذه القرى ومن بين هؤلاء عمدة قرية تدعى
« حوناب » ذكر لهم أن طائرة نحجم كبير تساندها طائرة اخرى تعمل كاستطلاع هبطت
واقلعت من مطار (عبوده) الواقع في هذه المنطقة .. قام الفريق بمعاينة أرض المطار
فشاهدوا آثار بداية نزول الطائرة وآثار الوقوف وقدرت المسافة بين النقطتين نحو كيلو متر ،
وقد ساعدت الأرض غير المرصوفة على ذلك ، وتم قياس المسافة بين آثار الاطارات الخلفية
للطائرة وكانت اربعة امتار وسمك الاطار كان ٤٠ سم وكانت هذه الأوصاف تدل على أن
الطائرة التي هبطت طائرة كبيرة — طراز ١٣٠ سي . كما وجدت آثار العربتين وهى تدخل
الطائرة ، وعثر كذلك على عصا ضوئية كالتي تستعمل للاضاءة الليلية .

ويذكر واحد من هؤلاء الذين قاموا باستطلاع الحقائق عن هؤلاء الاجانب يقول إنه
في شهر يوليو عام ١٩٨٥ قام بزيارة فندق اركويت وطلب مراجعة سجل الزلاء فعثر على
اسم « سبيرل » الالماني الذي ضمن المجموعة واكتشف أنه وصل المنطقة أربعة مرات
خلال شهري ابريل ومايو عام ١٩٨٢ ، وأنه في كل مرة كان يقضي يومين يكون احدهما
يوم الخميس وهو اليوم الذي كانت تقلع فيه الطائرة محملة باليهود الفلاشا إما إلى مواقع
بحرية أو إلى عواصم افريقية ثم تنقل إلى اسرائيل .

لقد كانت قوى أمن المنطقة ترصد نشاط السيد سبيرل عندما كان يصل إلى

أركوبت خاصة عندما تزامن موعد وصوله مع هبوط الطائرة وفي إحدى المرات انتهر رجال الأمن فرصة عودته إلى الخرطوم وقاموا بتفتيش غرفته فلم يعثروا إلا على كراسة لتعليم لغة السكرنجية الاثيوبية ، ويبدو أنه شعر بعملية التفتيش بعد عودته حيث نقل بعد هذه الواقعة بأيام إلى جيف .

أما في قرية عروس فقد جاء من فرقة التحري التي شكلت لكشف كافة التفاصيل عن هذه العملية بعد انتفاضة ابريل ١٩٨٥ أنها عثرت في غرفة مدير القرية على عصا ضوئية لم تستعمل بعد من تلك التي كانت تستعمل ليلا للأنارة للطائرات ، وكذلك عثر على موصل للجهاز الارسل بعيد المدى الذي اخذته المجموعة الهاربة معها وعثر ايضا على عربة لوري وسيارتين لاندكروز تم الحجز عليها .

دلت التحريات أن مجموعة من الاجانب في هذه القرية كان لهم تحركات مريبة بالليل حيث يخرجون بعربات لوارى عادية بعد الثانية صباحا . وفي سبتمبر ١٩٨٤ كتبت وحدة الأمن تقريرا إلى الرئاسة بالخرطوم ذكر فيه أن نشاط الاجانب في هذه القرية غير عادي وانهم يقومون بعمل مريب واوصى بعدم تجديد عقد القرية . والواقع أن الشركة الاجنبية المعروفة باسم « ناكوافيشن » كانت مسئولة مباشرة عن جلب السياح للقرية والاشراف على راحتهم وتقديم الطعام والشراب لهم وكان يفد اليها كثير من اعضاء السفارات والهيئات الاجنبية ويقضون اربعة أيام أو اسبوعا وخاصة في اعياد رأس السنة .. وقد هرب ممثلو الشركة في ١٦ ابريل ١٩٨٥ أى بعد الانتفاضة الشعبية بعشرة أيام وهم ينتمون إلى جنسيات بريطانية وفرنسية والمانية وارجنتينية وقد تم هروبهم بواسطة طائرة مجهولة ٣٠ / سي واتضح أنهم كانوا ينزلون في غرف ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ وقد تركوا في غرفهم ملابس واحذية كما لو كانوا تركوا المكان فجأة .

عندما يدخل اللاجئين الأراضي السودانية تتولى الاشراف عليه سلطات أمن الدولة والمخابرات العسكرية والشرطة ، يعطى في أول الأمر تصريح ويذهب إلى معسكر الاستقبال حيث يتم تسجيله بعد أن يتم ملء استمارة بها بيانات تتضمن معلومات اساسية مثل الاسم ، العمر ، الجنس ، الدين ، اللغة اسباب النزوح ، الاتجاهات المستقبلية التي تعني إما العودة التطوعية أو اعادة توطينه ، وعندما يتم ملء هذه الاستمارة يعطى كارت وتتخذ الاجراءات لاستقباله لتقديم الرعاية الصحية والغذائية وتأمين الخدمات العامة . وعلى سبيل المثال فإن الاستمارة التي تحمل رقم ٧٥٣٠ في معسكر توالوا يدعى صاحبها مولوناركو (١٧

سنة) من منطقة غوندار الاثيوبية وسبب حضوره هو اعادة التوطين ومستوى تعليمه الصف الرابع الابتدائي وديانته يهودي ولغته الامهرية ، أما اتجاهاته المستقبلية الذهاب إلى اسرائيل ولكن يبدو أن مسئولي المعسكر لم يأخذوا الأمر على محمل الجد فلم يفعلوا شيئا أكثر من كتابة التقارير الادارية وكذلك لم تفعل وحدات الأمن شيئا سوى مراقبة الاجانب في قرية عروس واركوبت والاشارة إلى انهم يقومون بعمل غير عادي ومريب ، وهكذا يبدو الأمر أن عملية تهريب اليهود الفلاشا لم تكن غائبة منذ بدايتها على اجهزة الأمن ، كانت هذه الاحيزة تشعر بأن هناك اشياء ما تحوم من حولها في الظلام لكنها فيما يبدو لم تكن قادرة على الامساك بها إما لاعتبارات سياسية تفوق قدرتها أو اعتبارات امنية تتحدى امكانياتها ، وفي بعض الحالات فإنه كان لقوى الأمن أن تمسك بهذه الاشباح لكن سرعان ما يتلاشى منها تحت ضغوط اقوى ، حدث ذلك عندما ألقت السلطات الامنية على عربة لاندروفر في منطقة القضايف بها ٢٣ شخص من اليهود الفلاشا يرافقهم اثنان احدهما اثيوبي يدعى « ايمانويل وآخر اوروبي يدعى توني » يعملان بمكتب شئون اللاجئين التابع للأمم المتحدة يومها نقل قسم المخابرات بالقضايف لجهاز أمن الدولة برقية إلى مركز الرئاسة بالخرطوم تتضمن معلومات تقول إن هناك اجانب يقومون بترحيل الفلاشا والقي القبض عليهم لكن سرعان ما جاءت تعليمات بالافراج عنهم وعدم التعرض لهم .

وما حدث في شرق السودان حدث في حنوبه فقد ظلت اجهزة الأمن ترقب وتتابع مايجري حتى وصل بها الأمر إلى مدينة جوبا عاصمة اقليم الاستوائية جنوب السودان بعد أن اتضح أن هناك اجانب يقومون بقل اليهود الفلاشا إلى جوبا ومن جوبا يتم نقلهم بالطائرات إلى نيروبي وكشفت التحريات أن هذه المهمة يقوم بها مجموعة من الامريكيين ونجحت اجهزة الأمن في القاء القبض على اثنين منهم في سبتمبر ١٩٨٣ وهما « توم روك » و« ستيفن جويليك » . وقد تدخلت السفارة الامريكية لدى السلطات السودانية للافراج عنهما وعرضت طائرة خاصة لنقلهما من جوبا إلى الخرطوم . وقد استدعى اللواء عمر محمد الطيب وقتها السفير الامريكي هيوم اليكندر هوران وابلغه استياء الحكومة من تصرفات هذين الشخصين وقد وعده السفير الامريكي بأن مثل هذا العمل لن يتكرر ، وقد ظل هذان الامريكيان معتقلين في الخرطوم إلى أن افرج عنهما في نوفمبر ١٩٨٣ بسبب زيارة كان الرئيس السابق جعفر نميري يعتزم القيام بها إلى الولايات المتحدة الامريكية واقترحت السفارة السودانية في واشنطن الافراج عن الامريكيين حتى يكون ذلك سببا في انجاح زيارة الرئيس

وحصول السودان على المساعدات الامريكية التي تحصل عليها سنويا والتي تقدر بنحو ١٥٠ مليون دولار .

هكذا تكشف الخبايا ولم تعد الاشباح التي تحوم في معسكرات اللاجئين حول مدينة القضارف اطيافا هائمة تسرح في الظلام وكان ذلك على الأقل معروفا لدى قيادة اجهزة الأمن في الخرطوم والمسؤولين في مفوضية شئون اللاجئين ، وبدا لهؤلاء أن النشاط الذي يدور اكبر من مقدرتهم ، سواء ذلك الذي يحدث في القضارف عبر طائرات الليل أو عبر البحر الأحمر من مطار كرساحو إلى سواكن وبروسودان وقرية عروس أو ذلك الذي يتحدث من مطار حوبا إلى نيروبي ، كانت هناك شبكات منظمة تتحرك بطائرات وبواخر وسيارات في مناطق الحدود الاثيوبية السودانية تقوم بفرز افراد الفلاشا من بين معسكرات اللاجئين لنقلهم في سيارات اللواري وتنقلهم إلى الطائرات أو البواخر ، ولم يكن أمام السلطات السودانية سوى رصد هذا النشاط والشعور بعدم القدرة على مواجهته أو منعه ، لم يكن أمامها سوى اعتقال افراد قلائل من الاجانب الذين بدا لهم أنه يمكن أن يتحركوا بحرية طالما أنهم يعرفون أن عملية النقل متشعبة ومستمرة ، وحتى هؤلاء الافراد سرعان ماتأني التعليمات باطلاق سراحهم .

استمر الحال على هذا النحو خلال عامي ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ وترصد مستندات جهاز الأمن عمليات ترحيل اليهود الفلاشا ، ومن هذه المستندات البرقية رقم ٤٥٠ بتاريخ ٥ يوليو ١٩٨٤ التي تتحدث عن ورود معلومات مؤكدة بوجود شبكة اجنبية تعمل على ترحيل الفلاشا باعداد كبيرة إلى اسرائيل وجاء في البرقية « إنه يتم نقلهم بواسطة الشاحنات من القضارف حتى منطقة سواكن ثم بالسناكب إلى عرض البحر حيث تنتظرهم البواخر » .

وفي سبتمبر ١٩٨٤ تلقى جهاز أمن الدولة تقريراً اعده اسماعيل ابراهيم اسماعيل مساعد معتمد اللاجئين في القضارف كان قد رفعه إلى معتمد شئون اللاجئين عبد الماجد بشير الاحمدي الذي عين سفيراً للسودان بعد ذلك في ليبيا ، وقد تضمن هذا التقرير معلومات عن الفلاشا وتاريخهم ومناطق تواجدهم داخل اثيوبيا ، وذكر أن العدد الموجود داخل المعسكرات يتراوح بين سبعة وثمانية آلاف وانهم يسبون مضايقات داخل المعسكر واقترح منع دخولهم إلى الحدود السودانية والسماح لهم بالخروج للدول التي يرغبون السفر اليها .

وقد جاء هذا التقرير في وقت كانت تجرى فيه اتصالات سرية بين الولايات المتحدة والسلطات السودانية لوضع خطة تتضمن نقل عشرة آلاف من اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل بعد أن تبنت للوكالة اليهودية الأمريكية واسرائيل أن عملية نقل اليهود الفلاشا لا تتم بالصورة المرضية التي تسهل الآلاف من هؤلاء وأن ذلك يحتاج إلى خطة مع الحكومة السودانية ، وقد اشار الكاتب البريطاني تيودور بارفيت في كتابه « عملية موسى » عندما قال : « كان دور الرئيس نميري في عملية الفلاشا دورا مستترا وكان يدرك خطورة نتائجها على السودان يحكم علاقته مع العالم العربي وربما كان يصله من تقارير من مفوضية شئون اللاجئين خاصة أنه منذ عام ١٩٧٧ بدأ افراد من الفلاشا يصلون السودان بشكل منتظم ، وفي خلال ثلاث سنوات بلغ عدد الذين احتازوا الحدود إلى السودان عدة مئات جاءوا مع اللاجئين الهاربين من المعارك الدائرة بين الاريتريين واثيوبيا ، ومنذ عام ١٩٨٠ بدأ الموساد (جهاز المخابرات الاسرائيلي) يتولي عملية نقل الفلاشا بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات اليهودية في اوروبا وأمريكا التي اتخذت من المنظمات التطوعية والحكومية لاغاثة اللاجئين ستارا لها .

يوصل الكاتب البريطاني روايته :

« قام الموساد بمبادرة دبلوماسية مع امريكا لاقتناع مميري بغض الطرف عن نقل اليهود الفلاشا عبر السودان ونتيجة لذلك تورط جهاز أمنه المعروف باسم جهاز أمن الدولة الذي غرض الطرف بدوره عن عملية نقل اليهود الفلاشا وقامت الموساد بتنسيق العمل داخل السودان ، وفي اوائل عام ١٩٨٠ سرت شائعات في السودان بأن الرجل الثاني في الموساد الاسرائيلي رار الخرطوم ليضع برنامج عمل مع عناصر في جهاز امن الدولة السوداني ، وفي نفس الوقت تسلل رجل ابيض داخل المفوضية السودانية لشئون اللاجئين اختار أن يكون مع مجموعة من العمال في معسكرات اللاجئين بالقضارف لتحرير عقود عمل لهم في شركة كيبية ونجح في تسفير اربعمائة شخص ، لوم يكن هذا الرجل الابيض إلا عضوا في الموساد ، ولم يكن هؤلاء العمال إلا افرادا من اليهود الفلاشا تم تسفيرهم إلى اسرائيل عن طريق كيبيا ، وبعد أن غادر السودان واكتشف أنه لم يكن عضوا في منظمات الاغاثة وقيل إنه كان يعمل في مفوضية شئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة كتمويه على الاشاعة التي سرت في الخرطوم .

ويذكر الدكتور ثيودور بارفيت أن الأموال تدفقت على عدد من المسؤولين في السودان

منهم من يقوم باصدار جوازات سفر مزيفة أو تأشيرات خروج جماعية أو تأمين خروجهم وأكثر من ذلك فإن الاموال كانت ضرورية لتشجيع رجال الأمن السوداني والمسؤولين كي يغضوا الطرف عما يحدث ، ولم تسبب دخول الاموال إلى السودان أى مشكلة خاصة فقد كان هناك عدد من الامريكيين والاوروبيين اليهود من رجال الاعمال الذين لهم مصالح في السودان ويتعاطفون مع قضية الفلاشا يسهلون ادخال الاموال إلى السودان .

وفي الفترة من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٤ وزعت ملايين الدولارات في السودان لتسهيل مرور الفلاشا من معسكرات اللاجئين القريبة من القضايف إلى الخرطوم ومنها إلى عواصم اخرى قبل أن يصلوا إلى اسرائيل . لقد كانت هذه الاموال صادرة مباشرة من جهاز الموساد ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها المال لشراء اليهود . حدث ذلك بعد الحرب العالمية الثانية في بولندا ورومانيا وغيرها لتهجير اليهود إلى اسرائيل ، وقد احتاج الموساد مع هذا الوضع الجديد إلى رجال كثيرين يعملون مابين اثيوبيا والسودان ليسهلوا خروج اليهود الفلاشا من اثيوبيا ثم ينقلونهم بعد ذلك من السودان وقد ساعدت ظروف الحرب في اقليمي ارتيريا وتيجراى وكذلك ظاهرة الجفاف رجال الموساد في تحقيق اهدافهم.

هذا ما يقوله الكاتب البريطاني الدكتور ثيودور بارفيت في كتابه « عملية موسى » وهو ليس يهوديا ولكنه يتعاطف مع اسرائيل واليهود وزار اسرائيل ومكث بها عدة سنوات للدراسة كما زار المجتمعات اليهودية في كافة أرجاء العالم بما فيها الدول العربية والكتلة الشرقية وزار مواقع الفلاشا في معسكراتهم قبل نقلهم إلى اسرائيل .

هكذا تستمر عملية نقل اليهود الفلاشا بطرق خفية كان جهاز أمن الدولة السوداني على علم بها لكنه اغمض عينيه عنها وآثر أن يتظاهر بعدم معرفته بما يحدث ، وعندما كانت التقارير تأتي إلى الرئاسة بالخرطوم من وحدات الأمن في القضايف أو بورسودان أو جوبا وكسلا وكافة المناطق التي كان ينقل منها اليهود الفلاشا كانت التعليمات تأتي متضاربة منها من يأمر برصد الظاهرة وتتبعها والقاء القبض على القائمين بها ، ومنها ما يأتي بعدم التعرض لهم على اساس انهم اجانب يعملون في برامج ومشروعات اغاثة اللاجئين واعادة توطينهم ..

ويستمر الوضع على هذا النحو إلى أن يتلقى مكتب رئيس جهاز أمن الدولة التقرير الذي اعده اسماعيل ابراهيم نائب المفوض العام لشئون اللاجئين السوداني رفعه إلى المفوض العام بشير الأحمد في سبتمبر ١٩٨٤ يتضمن التقرير وصفا كاملا ليهود الفلاشا

واوضاعهم والمناطق التي يأتون منها والمواقع التي يسكنون فيها بعد وصولهم إلى الأراضي السودانية ، ويذكر الاخطار التي تهدد السودان بوصولهم اليها ويضع أمام المفوض العام اقتراحين لحل هذه المشكلة الأول هو غلق الحدود السودانية أمامهم وعدم استقبالهم والثاني فتح الباب امامهم للهجرة من السودان إلى أى بلد يريدون السفر اليها لتخفيف العبء عن السودان .

لقد كان هذا التقرير نقطة تحول في عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان . إذ أنه فيما يبدو التقى مع خطة كان جهاز أمن الدولة ينوي تنفيذها بعد أن استجاب الرئيس نميري لمطالب الولايات المتحدة الأمريكية بغض الطرف عن عملية نقل اليهود الفلاشا ولقى الاقتراح الخاص بفتح الباب أمام اليهود الاثيوبيين بالهجرة من السودان إلى أى بلد يريدون السفر اليه ارتياحا لدى قيادة جهاز أمن الدولة لأنه على الأقل سيكون مبررا للدخول في عمليات أكثر اتساعا وانتظاما . ولم تمض اسابيع قليلة من هذا التقرير حتى تطورت الاحداث ، ولم تعد الاشباح الغريبة وحدها تتحرك في الظلام .. ودخل جهاز امن الدولة اللعبة وصار بعد ذلك طرفا من الاسباح التي تتحرك في الظلام .



الفصل الثالث

في داخل جهاز الأمن السوداني

لم يكن ضباط جهاز أمن الدولة السوداني قد وضعوا في حساباتهم عندما اختاروا العمل في الجهاز أنه سيكون من بين مهام عدد منهم تسهيل عمليات نقل آلاف اليهود الاثيوبيين المعروفين باسم « الفلاشا » من السودان ، وغض الطرف عن نشاط جماعات اجنية تتولى هذه المهمة بشكل غير معلن ، ذلك أن ضباط الأمن قد ادوا القسم والتزموا بقانون اجهزة الأمن عام ١٩٧٤ ، وقانون جهاز أمن الدولة عام ١٩٧٨ « بمحاربة الامبريالية والاستعمار والصهيونية » ويبدو أن هذه العبارة مع مرور السنين قد تأكلت ، ولم يعد هناك أحد من المسؤولين أو الذين وضعوها في القانون يتوقف عندها أمام تداعيات الأحداث وصدور آلاف التعليمات والأوامر من القيادة العليا التي على الضباط أن يقوموا بتنفيذها . فالأوامر تأتي من « الرئيس جعفر نميري » حتى مارس ١٩٨٥ إلى نائبه الأول عمر محمد الطيب الذي كان رئيسا لجهاز أمن الدولة ، والرئيس ونائبه يكلفان من يقوم بأى عملية دون علم بقية افراد الجهاز وحتى دون أن يكون هناك قرار سياسي ، وعلى الضباط السمع والطاعة طالما انهم يحصلون على امتيازات تتمثل في حصولهم على سكن خاص وسيارة ومرتب يزيد كثيرا عن زملائهم في الادارات الاخرى ، ومنصب ينتظرهم في الخارج كقنصل في عاصمة اوروبية أو افريقية ، بالاضافة إلى كل ذلك سلطة يحيط نفسه بها كأنها في اصبعه خاتم سليمان تفتح له الابواب الموصدة في مجتمع لايزال يفسح الطريق لرجل الأمن خوفا منه أو تزلفا اليه وابتغاء رضائه وهو شعور موروث في دول العالم الثالث منذ أن جلا عنها الاستعمار وحل مكانه حكومات وطنية لكنها ديكتاتورية تحمي نفسها بسياس من اجهزة الأمن المتعددة الأغراض ، وهذا الجهاز يضم رجالا تتوفر فيهم روح المغامرة والتطلع إلى السلطة وتنفيذ التعليمات التي تصدر اليهم من القيادة العليا وهي عادة ماتكون الحاكم الفرد ، الذي يشار اليه عادة بالزعيم أو الرئيس القائد أو الجنرال ، يحصلون على تدريبات عسكرية معينة ، وتدرجات اخرى في الدول الكبرى التي تحتفظ بعلاقات من نوع خاص مع دول العالم الثالث يفسرها الحاكم الفرد بأنها علاقات صداقة تقوم على الاحترام المتبادل بينما

هى فى الواقع علاقة تبعية وعادة ماتكون هذه الدول الكبرى لها مصالح متعددة تتطلب أن يكون لها وجود داخل اجهزة هذه الدول الصغيرة بما فيها اجهزة الامن .

ولقد كان جهاز أمن الدولة السودانى الذى انشأه جعفر نميرى حتى مارس ١٩٨٥ نموذجاً لاجهزة الأمن فى دول العالم الثالث ...

تعود قصة انشاء هذا الجهاز إلى عام ١٩٧٠ أى بعد شهور قليلة من الانقلاب العسكرى الذى وقع فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ وتولى السلطة حفنة من العسكرىين على رأسهم العقيد جعفر نميرى الذى ظل يمنح نفسه رتبا عسكرىة طوال فترة حكمه حتى وصل إلى رتبة المشير . فى سنة ١٩٧٠ انشئ جهاز الأمن العام الذى تلقى افرادة التدريبات فى أول الأمر فى الاتحاد السوفيتى ثم انشئ جهاز الأمن القومى عام ١٩٧٤ وفى عام ١٩٧٨ تم دمج الجهازين فى جهاز واحد سىمى جهاز أمن الدولة واختير اللواء عمر محمد الطيب رئيساً له .

عندما وقعت الانتفاضة الشعبية فى ٢٦ مارس ١٩٨٥ وتم حل جهاز أمن الدولة فى ٩ ابريل ١٩٨٥ كان عدد العاملين فيه نحو اربعة آلاف شخص معظمهم ضباط برتب مختلفة ويتعاون مع الجهاز من خارجه نحو ٤ ألف آخرون من تجار وسائقي التاكسي وطلاب وصحفيين محليين وقلة من صحفيين عرب وكشفت المستندات بعد ذلك أن الصحفيين الذين تعاونوا مع الجهاز كانت لهم مرتبات ومكافآت شهرية قدرت بآلاف الدولارات وللجهاز ميزانية سرية وميزانية معلنة ، أما الميزانية المعلنة فقدرها ٣٥ مليون جنياً سنوياً ، وتعد الميزانية عن طريق لجنة يرأسها نائب رئيس الجهاز ويشترك فى عضويتها مديرو الإدارات والهيئات ومدير الشؤون المالية ، وترفع الميزانية لرئيس الجهاز الذى يناقشها بدوره مع وزير المالية للموافقة عليها ، ثم ترفع لرئيس الجمهورية للتصديق عليها .

وبموجب قانون انشاء الجهاز عام ١٩٧٨ فإنه يتبع رئيس الجمهورية مباشرة ، الذى يعين رئيس الجهاز ، والجهاز مؤسسة عسكرىة مستقلة عن التنظيمات العسكرىة الأخرى .

أما اختبار ضباط الجهاز فإنه ليس شرطاً أن يكونوا من رجال القوات المسلحة أو الشرطة ، أن الشرط الاساسى هو الولاء الكامل للحاكم وأن يكون على قدر من الذكاء والثقافة والمهارات المختلفة وأن يخضع فى أول الأمر لاختبارات معينة تكون نتيجتها إما أن يصبح عضواً دائماً بالجهاز أو يستغنى عنه ، وفى حالة قبوله يبدأ سلسلة دورات تدريبية عسكرىة وفنية ثم

يوفد في بعثات إلى الدول الكبرى « الصديقة » ويمنح رتبة عسكرية يظل يترقى فيها حتى درجة « لواء أمن » . ومن هؤلاء لواء أمن عثمان السيد الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الجهاز ، والتحق بجهاز الأمن عام ١٩٧٠ بعد أن عمل بمعهد تدريب المعلمات الاوسط في ام درمان ثم التحق بجهاز الرقابة الادارية ، وعندما التحق بجهاز أمن الدولة اشترك في دورات تدريبية في المانيا وامريكا ومصر وبريطانيا .

عقيد الفاتح عروة ، خريج الكلية الحربية عام ١٩٧٠ وقبلها تخرج من قسم الدراسات الاقتصادية بجامعة الخرطوم والتحق بالدفاع الحوي وانضم للجهاز عام ١٩٧٥ وحصل على دراسات تدريبية في موسكو وعمل قنصلا في موسكو ثم اثيوبيا . مقدم دانيال دينج لوال ملازم شرطة انضم للجهاز عام ١٩٧٤ عمل في اقليم بحر الغزال الذي ينتمي اليه — وهو من قبيلة الدينكا — ثم نقل لوحات الأمن بالاقليم الشرقي في كسلا والقضارف .

عميد موسى اسماعيل سعيد ، تخرج من كلية الاداب جامعة الخرطوم عام ١٩٦٩ والتحق بالأمن القومي عام ١٩٧٠ وحصل على تدريب عسكري وتدرج في الاتحاد السوفيتي وفرنسا ، وعمل قنصلا بالسفارة السودانية في لندن ثم بقسم المخابرات الخارجية .

وغير هؤلاء اللواء الفاتح الجيلي واللواء كمال حسن أحمد نائبا مدير الجهاز وعمر سراج الدين وعبد الله عبد القيوم وحسن بيومي وهى من الاسماء التي ترددت في قضية الفلاشا سواء التي شارك في نقلهم أو التي حذرت من عواقب هذه المهمة وهذا يعني أن العاملين بالجهاز هم على مستوى جيد من الثقافة والمهارات الشخصية ، والقدرة على التصرف ، وهم في نفس الوقت لا يعصون لقياداتهم امرا فإن الطاعة واجبة دون ابداء الاسباب .. ولهذا فإن التسلسل القبادي مسألة هامة ولا يستطيع ضابط أمن أن يتجاوز رئيسه إلى رئيس اعلى إلا إذا كان مكلفا في عملية خاصة من الرئيس الأعلى . ومن مبادئ العمل في الجهاز « المعرفة بقدر الحاجة » وهى ان يعطي ضابط الأمن من المعلومات مايمكنه فقط من تنفيذ المهمة المكلف بها دون الخوض في النتائج .

وينعكس أهمية التسلسل القبادي حتى في الاشكال الادارية فتوقيعات رئيس الجهاز تكتب بقلم غير اقلام النواب ومديري الادارات :

فالقلم الأخضر لرئيس الجهاز

والأحمر للمديرين

والازرق لمس هم دون ذلك ..

كان جهاز أمن الدولة السوداني ينقسم إلى هيئات وإدارات وفروع ومن هذه الهيئات هي هيئة العمليات التي تعتبر الإدارة الفعلية في تحقيق التنسيق بين الإدارات .

أما الإدارات فهي إدارة الأمن الخارجي وإدارة الأمن الداخلي ، وإدارة أمن العاصمة ، وإدارة أمن الاقاليم ، وكل إدارة تنقسم إلى فروع وشعب فإذا أخذنا إدارة الأمن الخارجي كمثل نجدتها تنقسم إلى الفروع التالية :

١ — فرع المخابرات الخارجية ، ومهمتها متابعة النشاط الخارجي المعادي للسودان في الدول الأجنبية من وجهة نظر النظام بطبيعة الحال .

٢ — فرع المخابرات المضادة : وهو مسئول عن أنشطة التجسس ونشاط السفارات والهيئات الأجنبية والرعايا الأجانب بشكل عام .

٣ — فرع حركات التحرير واللاجئين وهو مسئول عن تحركات اللاجئين والأنشطة السياسية التي تقوم بها الجهات المعادية ، كما أنه مسئول عن المنظمات السياسية التي بها مكاتب في السودان مثل المنظمات الإرترية والتشادية وغيرها ..

٤ — فرع الأمن الاستراتيجي : ويتولى جمع المعلومات الاستراتيجية في المجالات السياسية والعسكرية عن الدول المجاورة .

٥ — فرع الاتصال الخارجي : ويتولى التنسيق مع ممثلي الأجهزة الصديقة .

٦ — فرع التنفيذ والمتابعة : وتقع على هذا الفرع مسؤولية الفروع المختلفة بالإضافة إلى مباشرة عمليات معينة في مجالات مختلفة مع أجهزة صديقة في السودان .

وتقوم هذه الفروع برفع تقارير بصفة منتظمة لمدير الأمن الخارجي الذي يقوم بدوره بتحويل ما يراه ضروريا لاطلاع رئيس الجهاز عليه مثل التقرير اليومي الذي يعده فرع المخابرات الخارجية استنادا إلى ما يذكره المندوب بالخارج ، وكذلك تقرير فرع المخابرات الأجنبية في السفارات ونشاطاتهم ، وكذلك نشاط المنظمات الأجنبية ، كذلك يصل تقرير اسوعي من فرع حركات التحرير واللاجئين عن أنشطة اللاجئين والجهات التي تعمل في المجالات السياسية .

أما إدارة الأمن الداخلي فهي مسئولة عن رصد النشاطات السياسية والمهنية والنقابية والدينية والقبلية ورصد اتجاهات الرأي العام من خلال التقارير التي تصل من الفروع المختلفة والإدارات الأخرى كي تساعد على معرفة ما يحدث في الدولة ورصد هذه الأحداث في

تقرير يرفع إلى رئاسة الجهاز ، وكانت ادارة الأمن الداخلي ترفع تقريراً يومياً لرئيس الجمهورية ورئيس الجهاز ووزير الدفاع ووزير الخارجية ومفتش عام الشرطة بالإضافة إلى بعض الإدارات داخل الجهاز لتنسيق عملية تبادل المعلومات التي يرى مدير ادارة الأمن الداخلي اطلاع الإدارات الأخرى عليها .

وتعتبر ادارة الاقاليم ادارة مستقلة ، ذلك أن حاكم الاقليم يقوم مقام رئيس الجهاز في اقليمه ، ولها ادارات فرعية وتقوم هذه الادارة بتنسيق المعلومات التي تهمها مع ادارة الامن الداخلي وهيئة العمليات .

لرئيس الجهاز ثلاثة نواب برتبة لواء وكلهم بدرجة وزير دولة وكان هؤلاء الثلاثة عدل الجهاز في شهر ابريل ١٩٨٥ هم : كمال حسن أحمد ، والفتاح الجبلي ، وعثمان السيد .

تحدد اختصاصات جهاز أمن الدولة فيما يلي :

١ — البحث والتحرري بهدف اكشاف أى نشاط داخلي أو خارجي ضد الدولة .

٢ — مكافحة أى نشاط ضد الدولة داخل السودان ورصد أى نشاط في ذلك .

٣ — اتخاذ الإجراءات المناسبة .

٤ — يجوز لرئيس الجمهورية أن يكلف الجهاز بالقيام باعمال لم ينص عليها في ١ ، ٢ ،

أما اختصاصات رئيس الجهاز فهي ثلاث واجبات اساسية كما يلي :

(١) أن يتولى سلطة الاشراف الفني والاداري عن أعمال الجهاز واعضائه ويصدر

القرارات اللازمة لتنظيم الجهاز وسير العمل .

(٢) رئيس الجهاز مسئول أمام مجلس الأمن القومي ، ويعمل على تأمين نشاط الجهاز

والمحافظة على ما يحصل عليه من معلومات سرية عن وسائل الحصول على تلك المعلومات

ومصادرها ، لانجوز له الادلاء بمعلومات عن تلك المصادر إلا لمصلحة العمل وبأذن من

رئيس مجلس الامن القومي أو رئيس الجمهورية .

(٣) يقدم تقريراً دورياً لرئيس الجمهورية يوضح فيه الانجازات والمتطلبات والاضاع

الامنية .

ويجب على رئيس الجهاز أن يتصل مباشرة برئيس الجمهورية لتنويره وابلاغه بما

يحدث .

ويقول عمر محمد الطيب رئيس الجهاز إنه بتكوين هذا الجهاز عام ١٩٧٨ كان لابد

من وضع استراتيجية أمنية جديدة للسودان ، وكانت تحصر في مجالات خمسة سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا وامنيا ، ولوضع هذه الاستراتيجية موضع التنفيذ كان لابد من إعادة تنظيم الجهاز فاعيد تنظيمه باوامر مستديمة ، اصبحت هيكله الاساسية هي رئاسة الجهاز ثم هيئات تتبع رئاسة الجهاز ثم ادارات في شكل فروع أو شعب ، وكانت هناك ادارات أمن في الاقاليم تنوع رأسا حاكم الاقليم وتعمل ضمن مجلس الامن الفرعي أى أنه كان هناك مجلس أمن فرعى في كل اقليم بالإضافة إلى وجود ادارة أمنية للعاصمة القومية .

كان اسلوب العمل في الجهاز اسلوبا لامركزيا ، تأتي المكاتبات باسم رئيس الجهاز ثم توزع على الادارات والهيئات والفروع والشعب ، وتتخذ فيها كل الاجراءات المناسبة ، ويمكن رفع بعض الاجراءات التي تكون أكبر من صلاحياتهم لرئيس الجهاز ويلاحظ أنه يوجد ربط بين الادارات والهيئات ورئيس الجهاز عن طريق التقارير اليومية والاسبوعية .

واحيانا يدعو رئيس الجهاز اعضاء من القيادات للتنوير والتوجيه وليس لبحث خطة معينة وتنفيذها فذلك مهمة الجهة المعنية التي كلفت بها ، وإذا تلقى رئيس الجهاز قرارا سياسيا يقوم فقط بابلاغه للشخص المسئول المكلف بالقيام به ، طبقا لمبدأ « المعرفة على قدر الحاجة » ، وعندما تكلف اى وحدة بمهمة تقوم باعداد خطتها وتعرضها على الجهة التي اصدرت التكليف فإذا وافقت عليها يتم التنفيذ وتقوم باخطار الجهة المسئولة بهذا الشأن .

ولا يقتصر عمل الجهاز على اداراته وفروعه فقط وإنما يرتبط بعلاقات مع الاجهزة الاحبية في مجالات محدودة مثل تبادل معلومات في موضوع معين ، ويقول كمال حسن أحمد إنه في هذا الصدد جرى العرف أن يكون العمل في هذا النوع من التعاون على أعلى مستوى تحسبا لاقتران الجهاز بأى وسيلة وهو تعاون يحتاج إلى قدر كبير من الحذر .

وقد دلت الاحداث على أن هذا الجهاز كانت مهمته الاساسية هي حماية النظام الذي سقط يوم ٦ ابريل ١٩٨٥ ، ولم تكن اهتماماته تزيد عن مطاردة التحصيات السياسية المعارضة للنظام ورصد الانشطة التي تقوم بها الدول المجاورة حتى لو كانت دولة صديقة ووصلت انشطتها إلى حد متابعة المواطنين في حياتهم الخاصة وتقديم تقارير يومية ، عنهم إلى الرئيس القائد واصبح اعضاءه لهم حرية التصرف ضد المواطنين وفق معايير اهواء شخصية مثل الاستيلاء على منازل المواطنين وضمها للجهاز والاستيلاء على اموال مكاتب

السيارة قبل ساعات من اعلان قانون يعيد تنظيم عمل هذه المكاتب ، حدث هذا عام ١٩٨٤ واغلق ٣٢ مكتبا للسيارة بعد أن استولى ضباط الجهاز على نحو ١٥ مليون دولار .. وقد قدم مصطفى محمد على رئيس مدير الادارة الاقتصادية في الجهاز إلى المحاكمة بعد ثبوت اتهامات ضده لاساءة استخدام سلطته بتشجيع من رئيس الجهاز والاستيلاء على اموال ومنازل المواطنين .

ومن الاشياء الغريبة أن السودان كدولة من دول العالم الثالث تقع عليها اعباء ديون قدرها ٩ بليون دولار كان هم جهاز أمن الدولة فيها ارسال وفود رسائل إلى المسؤولين في عدد من الدول العربية الغنية للحصول على مساعدات قدرها ٢٥ مليون دولار ليس من أجل مشروع تنموي أو انشاء مطار تحتاج اليه او جامعة تشكو عجزا ماليا وإنما لانشاء مبنى جديد لجهاز أمن الدولة قدرت تكاليفه بـ ٢٠٠ مليون جنيه و ٢٥ مليون دولار ظل رئيس الجهاز عدة سنوات يعتبره املا وهو يصنع نموذجا لهذا المبنى في مكتبه وخصصت رسوم البطاقة الشخصية التي تجمع من المواطنين لحساب هذا المبنى ، والغريب أن المبنى صمم على عرار مبنى وكالة المخابرات المركزية الامريكية في واشنطن .

برغم أن مهمة جهاز الأمن داخل اوساط اللاجئين هي متابعة نشاطات اللاجئين السياسية والأمنية إلا أن كبار ضباط الجهاز اعلنوا أنهم لم يعرفوا بعملية تهريب افراد من اليهود الاثيوبيين « الفلاشا » إلا ابتداء من عام ٨٠ ، ومعنى ذلك أن نائب معتمد شئون اللاجئين اسماعيل ابراهيم سبقهم في ذلك حيث قال « إن معرفته بعملية تهريب الفلاشا بدأت منذ عام ١٩٧٩ عندما احس بوجود عناصر اجنبية تعمل وسط اللاجئين وتقوم بنقل انواع معينة من اللاجئين لم يشك في أنهم من اليهود الاثيوبيين الذين ينقلون إلى خارج السودان ثم إلى اسرائيل بعد ذلك » .

وحقيقة الأمر فإن عملية تهريب اليهود الاثيوبيين من معسكرات اللاجئين على الحدود الاثيوبية السودانية بدأت في نهاية ١٩٧٧ حيث لحأت اعداد قليلة منهم إلى السودان ضمن آلاف المسيحيين الذين لجأوا إلى الحدود السودانية ، ووصلت اعداد قليلة منهم إلى اسرائيل وقد اعطى وصول هذا العدد القليل إلى اسرائيل دافعا لآلاف اليهود الاثيوبيين للهجرة بعد ذلك .

والغريب أن جهاز الأمن السوداني بدأ يتعرف على موضوع تهريب الفلاشا من الاثيوبيين عام ١٩٨٠ ..

يقول اللواء عثمان السيد نائب رئيس الجهاز « بدأ موضوع الفلاشا يتردد داخل الجهاز لأول مرة عام ١٩٨٠ .. ففي يناير من هذا العام سافرت مع النائب الأول عمر محمد الطيب رئيس الجهاز في زيارة سرية إلى اثيوبيا في اطار تحرك بدأه السفير السوداني ميرغني سليمان لتحسين العلاقات مع اثيوبيا ، وكان من الضروري أن يمر هذا التطور في العلاقات عبر اجهزة الأمن في البلدين .. وجرى اجتماع مع الرئيس مانجستو هيلما ماريام ، ووزير الأمن الاتيوني موحاسي هايتي ماريام وتم تشكيل لجنة فرعية اتيوبية سودانية لبحث حوانب الامن يرأسها من الحانب السوداني اللواء عمر محمد الطيب ومن الجانب الاتيوني موحاسي هايتي ، وفي الاجتماع الأول ابلغنا الجانب الاتيوني أن لديهم معلومات بأن هناك اعدادا من الفلاشا يتم تهريبهم من الأراضي السودانية إلى اوروبا ومنها إلى اسرائيل .

يواصل اللواء عثمان السيد روايته « ومرة اخرى فتح الحانب الاتيوني الموضوع في اجتماع عقد باديس ابابا في مارس عام ١٩٨٠ حيث سافرت ضمن وفد يرأسه عبد الماجد حامد خليل النائب الأول آنذاك وتشكلت ثلاث لجان عسكرية وسياسية وأمنية » وظل الاتيوبيون يكررون هذا الموضوع في كافة الاجتماعات المشتركة السبع بين اديس ابابا والخرطوم في الفترة من مارس ١٩٨٠ و ١٩٨٢ .

في أحد هذه الاجتماعات التي جرت في الخرطوم في ابريل عام ١٩٨٠ بين وفد سوداني يرأسه اللواء عمر محمد الطيب ووفد اثيوني برئاسة العقيد تصفاى مسئول الأمن الاتيوني طلب الجانب الاتيوني أن تقوم السودان بوقف هذه العمليات من أجل تحسين العلاقات . وكان رد اللواء عمر محمد الطيب في هذا الاجتماع إنه ليس هناك تأكيدات لدى السودان بتهجير يهود اثيوبيين من السودان إلى اسرائيل ولا يوجد اصلا علاقات بين السودان واسرائيل أو حتى تنسيق سياسي أو أممي حتى يحدث ذلك بالاضافة إلى موقف السودان المعلن بالتزامها جانب القضية العربية بوصفها طرف عربي في حالة عداء مع اسرائيل ولها موقف واضح مؤيد للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في عودته إلى اراضيه ، وازضاف اللواء عمر الطيب يومها :

— ونحن كجهاز أمن فإن احدى اولوياتنا متابعة النشاط الاسرائيلي وخاصة في افريقيا ..

لقد بدأ جهاز الأمن السوداني على أية حال يتنبه إلى ظاهرة تهريب الفلاشا ، وبدأت التقارير تفد اليه من القنصلية السودانية في نيروبي وواشنطن تؤكد ماقاله الاتيوبيون في الاجتماعات السرية المغلقة سواء في اديس ابابا أو الخرطوم واعطيت التعليمات إلى وحدات

الأمن في معسكرات اللاجئيين بالاقليم الشرقي لمتابعة الموضوع ، ومنذ عام ١٩٨١ بدأت الوثائق الأولى توضع في ملف تهريب الفلاتشا بادارة الأمن الخارجي بجهاز أمن الدولة السوداني ، ففي ٢٦ ابريل ١٩٨١ تلقى الجهاز تقريراً بوصول اعداد منهم إلى القضايف ، وقد علق العميد سراج الدين مدير فرع حركات التحرير واللاجئيين بخط ازرق على هذا التقرير قائلاً : « للآن لم نعرف الرأى النهائي بخصوص هذه المجموعات التي تنتمي لقبيلة الفلاشا وللعلم فإن المعلومات تشير إلى أنهم يحاولون الهرب إلى اسرائيل وطبعاً لا يعقل أن يساعد في الهجرة إلى اسرائيل ، ونسأل عن التوجيهات » .

وفي ٧ مايو ١٩٨١ علق اللواء عثمان السيد مدير ادارة الأمن الخارجي بخط احمر قائلاً : « إذا كانت تعليماتنا السابقة بخصوص هذه المجموعة والعملية التي قمتم بها بالتعاون مع فرع المخابرات المضادة ولم يصلكم الرأى النهائي فهذه مصيبة وعموما الرأى النهائي هو عدم تمكين هذه المجموعة من الهجرة إلى اسرائيل » .

ومنذ ذلك الوقت بدأت وحدات جهاز أمن الدولة السوداني في القضايف وكسلا وبورسودان وفرع المخابرات المضادة وفرع شؤون التحرير واللاجئيين تنشط في كتابة التقارير والبرقيات إلى رئاسة الجهاز وظلت هذه البرقيات تحمل تأشيرات المديرين وملاحظاتهم وابداء ارائهم حتى اواخر عام ١٩٨٤ عندما بدأت قيادة الجهاز نفسها تنزلق في هذه العملية وتصبح طرفاً في عملية نقل اليهود الفلاتشا .

راحت وحدات الأمن تتابع وترصد الحركة في قرية عروس السياحية وفي مطار كرساجو ووسط اللاجئيين في معسكر تواوا وود الحليو ففي شهر فبراير عام ١٩٨٣ تلقى رئيس هيئة العمليات برقية من وحدة القضايف تحمل رقم ١٤٧٣ جاء فيها « أن طائرتين مجهولتى الهوية هبطتا في منطقة الشوك ويعتقد انهما قامتا بتهريب عدد من اليهود الاثيوبيين (الفلاشا) إلى اسرائيل ، وقد حولت هذه البرقية إلى عمليات الشعبة الثانية ثم تحركت هذه البرقية إلى أكثر من جهة داخل جهاز الأمن وعلق عليها نائب رئيس جهاز الأمن اللواء عثمان السيد بقوله : « اخشى أن تكون الطائرات والسيارات تابعة لبعض المنظمات الخيرية العاملة في الاقليم الشرقي » ، لقد كانت هناك حتى الآن شكوك لدى مسئولى جهاز الأمن حول نشاط هذه الطائرات ووضعت احتمالات متعددة لنشاطها ، إما أنها تقوم بحمل اسلحة لاحداث عمليات تخريب لصالح المعارضة السودانية أو أنها تابعة لجهات اتيوية واريترية معادية للنظام الاثيوبي ، ومن بين هذه الاحتمالات أن تكون طائرات تابعة لشركات

التنقيب عن البترول العاملة بالسودان تقوم بأعمال التنقيب .

ثم وقع حادث في مدينة جوبا .. وهو القاء القبض على اثنين من الامريكيين هما توم روك وستيفن ، وتدخلت السفارة الامريكية للافراج عنهما وترحيلهما ، عند ذلك اتضحت ابعاد الصورة كاملة ولم يعد هناك شك لدى قيادات جهاز الأمن بأن هناك عمليات نقل لليهود الفلاشا تتم من وراء ظهر الحكومة السودانية واجهزتها خاصة بعد التقرير الذي بعث به دانيال دينج لوال مدوب الأمن في القضايف حيث جاء في هذا التقرير مايلي :

« في ٢١ فبراير ١٩٨٤ جاءنا بلاغ من أحد المواطنين أن طائرتين نزلتا في منتصف الليل وسجل بلاغ بذلك في قسم البوليس بعدها تقرر تشكيل لجنة من الأمن والشرطة والاستخبارات العسكرية » وقامت اللجنة بعمل معانة فوجدنا آثار لاطارات عريضة مما جعلنا نتكهن بأن الطائرة من الحجم الكبير ، وعثرنا كذلك على فضلات طعام وبطاقة لطالب اثيوبي ، ولبنة ، وورقة مكتوب عليها كلمات بالعبرية ، وقد جمعنا هذه المخلفات وكتبنا تقرير وتوصلنا لاستنتاجات أن الطائرات نقلت لاجئين اثيوبيين وقد رفعنا تقريراً بذلك من الاقليم الشرقي .

ويضيف التقرير : لقد اتضح لنا أن منظمتي

Intergovernmental catholic for immigration committer (I.C.M.C)

joint valunteer agency (J.V.A.)

أى « اللجنة الحكومية الكاثوليكية للهجرة ، والوكالة التطوعية المشتركة » لا تقومان بأى عمل مادي لخدمة اللاجئين وإنما يتركز نشاطهم في إعادة اللاجئين ، حيث تقوم المنظمة الثانية باختيار عدد منهم وتحوّلهم إلى المنظمة الأولى التي تعلمهم اللغة الانجليزية وتستخرج لهم تصاريح مرور للخرطوم وتقوم باعداد اجراءات سفرهم خارج السودان .

اثار هذا التقرير اهتمام المسؤولين في رئاسة جهاز امن الدولة وكتب العميد عثمان السيد مدير الأمن الخارجي يعلق على ماجاء في تقرير مندوب أمن وحدة القضايف وفيما يلي نورد ماكتبه العميد الجعلي :

١ — إن عملية ترحيل الفلاشا قامت بها خلايا بدأت نشاطها في القضايف والخرطوم والجنوب ونيروبي ورصدنا لهم منافذ منظمة وقد وجدنا عندهم شفرة تعمل في تحركاتهم وعند اعتقال اثنين من افرادهم في الجنوب سعت السفارة الامريكية وعلى رأسها السفير

الامريكي للانفراج عنهما ، بل ذهباً ابعد من ذلك عندما حاولا الفرار من جوبا وتم القبض عليهما مرة اخرى وعندما تأخر وصولهما إلى الخرطوم عرض القنصل الامريكي احضارهما ولو كلف ذلك دفع ايجار طائرة خاصة الشيء الذي يعكس الامكانيات الضخمة التي وراء عملية الفلاشا .

٢ — اكاد اجزم أن معلومات مندوبنا بالقضارف صحيحة مائة بالمائة ، الشيء الذي جرى في القضارف هو عملية تهريب لجماعة الفلاشا بأسلوب مختلف ، ولكنه يعكس جانب المغامرة والسرية .

ورد اللواء عثمان السيد مدير الأمن الخارجي على هذه المذكرة حيث كتب معلقاً :
« اتفق مع مدير أمن القضارف في شكه أن هناك منظمات تعمل في مجال اغائة اللاجئين ضالعة في هذه العملية ، وقد تم نقل ٨٠٠ شخص على هاتين الطائرتين » .
هكذا ، وبعد جهد ومتابعة ورصد لتحركات العناصر الاجنبية لفترة طويلة اتفقت وجهات نظر القيادات العاملة في جهاز أمن الدولة أن هناك منظمات يهودية امريكية تقوم بنقل هؤلاء اليهود الاثيوبيين ، وقد اتضح لهم أكثر من ذلك انهم ينقلون إلى مواني على البحر الأحمر .

ازاء ذلك كتب اللواء الفاتح الجيلي نائب رئيس الجهاز مذكرة إلى اللواء عمر محمد الطيب رئيس الجهاز في ٨ مايو ١٩٨٤ قال فيها :

« افادت المعلومات الواردة من القضارف أنه بمعدل ١٠٠ لاجئ يومياً من اليهود الاثيوبيين يريدون الهجرة إلى اسرائيل يتدفقون على الأراضي السودانية مما يترتب عليه الحاق الضرر بسمعة البلاد وهم يعاملون معاملة اللاجئين ويمكنهم مغادرة البلاد بوثائق اللاجئين متى شاءوا ، ومن ثم يتوجهون إلى اسرائيل حسب رغبتهم . إن شح الامكانيات يحول دون مراقبتهم وبالتالي يتعذر التدقيق المستمر ونظراً لحساسية الأمر نرى تكوين لجنة تضم ممثلين عن جهاز الأمن ووزارة الخارجية والداخلية لدراسة هذه الظاهرة ووضع الاجراءات » .

بقلمه الأخضر كتب اللواء عمر محمد الطيب على هذه المذكرة : « وافق على تكوين هذه اللجنة ووضع الاجراءات اللازمة وشكراً ، عمر » ، ومؤرخة في ١٣ مايو ١٩٨٤ ، وقد حول اللواء الفاتح هذه المذكرة وعليها تعليق رئيس الجهاز إلى مدير ادارة الامن الخارجي مؤشراً بعبارة « اختيار مندوب والاتصال بالخارجية ، ومعتمد اللاجئين لتعيين

مندوب على أن يعالج الأمر بسرية » ، ثم حولت هذه المذكرة إلى فرع المخابرات المضادة ، وتم اختيار الرائد عبد الله عبد القيوم ليكون مندوب جهاز الأمن في هذه اللجنة .

لم تكن اللجنة قد تشكلت إلا على الورق بينما ظلت البرقيات والتقارير تتوالى من وحدة من القضايف ، ففي ٨ مايو ١٩٨٤ وردت برقية تحمل رقم ٤٥٧ صادرة من أمن القضايف إلى أمن بورسودان ، مكرر الخرطوم ، عمليات داخلي ، مكرر كسلا تتضمن مايلي :

« تفيد معلوماتنا عن وجود شبكة تعمل على ترحيل اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل نقلا من السودان خاصة من الاقليم الشرقى . نقوم بمتابعة هذه الشبكة وفي سبيلنا لكشف عناصرها . وسيلة ترحيلها عن طريق البحر الأحمر بواسطة البواخر . شاحنات للقضايف حتى سواكن ثم يتم نقلهم بالبواخر . هناك الوكالة التطوعية المشتركة والهيئة الكاثوليكية الحكومية ضمن هذه الشبكة . نشاطها يتم بسرية تامة ودقة تامة . نرجو الافادة . ومايتوفر لكم من معلومات » .

كان رد الفعل لدى رئاسة جهاز الأمن تعليقات وتأثيرات كتبت على البرقية منها مثلا : « حول وجود شبكة تعمل لترحيل اليهود — ايجابياتها : تفريغ البلاد منهم ، سلبياتها : نعجز عن كشف الاساليب التي يخرجون بها » .

ومنها : « الموضوع يتطلب معلومات مكثفة في منطقة سواكن بالذات ونرجو المتابعة الدقيقة » ، توقيع حسن بيومي للسيد الوزير ونائب رئيس الجهاز . ومن هذه التأثيرات ايضا « نرى والرأى لسيادتكم معالجة هذا الأمر والهام والخطر على أمن البلاد » .

أما اللواء الفاتح الجبلي واللواء عثمان السيد فقد رأيا بأن « تحول المعلومات التي وردت بهذا الشأن إلى اللجنة المذكورة وتقدم التوصيات بشأنها » ثم جاء تعليق العميد أحمد الجبلي « ارجو تلخيص مايتوفر لديكم كمخلفية لهذا الموضوع الذي اخذ حيزا كبيرا في الفترة السابقة » .

ثم من العميد الجبلي للسيد الوزير ونائب رئيس الجهاز : « ارفق لسيادتكم ملخصا بنشاط الفلاشا ورصد تحركاتهم » .

ولم تتوقف التقارير الواردة من القضايف حيث توجد معسكرات اللاجئين ، وقد

تضمنت التقارير معلومات جديدة منها أن المنظمين العاملين في شؤون اللاجئين وهما « I.C.M.C » و « J.V.A » قد نقلت مكاتبتهم خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٨٤ دون أى اخطار بينا مكاتبتهم الرئيسية في الخرطوم تواصل عملها .

تم رصد تحركات شخص امريكي يدعى « جيري ويفر » وهو يتحرك وسط اللاجئين لاختيار نوع معين منهم هم اليهود الفلاشا ..

في شهر اغسطس ٨٤ داهمنا منزلا بمعسكر اللاجئين في تواوا اتضح أن احد كبار الفلاشا يسكن فيه ويقوم بتقديم العون والتسهيلات لافراد قبيلته في المنزل عثنا على ١٩ ألف جنيه مدفونة تحت الأرض ، وفتاتين ، وكشفا يضم اسماء من اليهود الفلاشا وتاريخ وصولهم مكتوبا باللغة الامهرية وبسؤال الفتاتين قالوا انهما يعملن خادمتين عند صاحب البيت .

ولقد تم اخطار رئاسة جهاز أمن الدولة بهذه المعلومات ، وهذه المرة لم تلق وحدة أمن القضايف ردا على ماجاء في هذه التقارير ..

كانت الضغوط السياسية وتدهور الاوضاع الامنية تشغل اهتمام جهاز الأمن والنظام نفسه أكثر من أى شىء آخر ..

يقول اللواء عمر محمد الطيب : « لم يكن موضوع الفلاشا في اولويات اهتمامنا بعد أن تزايدت المشاكل الأمنية في عدة جهات وخاصة في جنوب السودان وانشغالنا بحركات التحرر واللاجئين وكنا نتلقى تهديدات باحداث اغتياالات سياسية حتى لزعماء المعارضة انفسهم ونسف الكبارى والاذاعة ومستودعات البترول وتوقع حدوث عمليات حربية محدودة مفاجئة مثل غزو عام ١٩٧٦ ولهذا فإن موضوع الفلاشا جاء متأخرا في برنامجنا » .

ظل الحال على هذا النحو عدة شهور ، وحدات الأمن في القضايف تواصل ارسال تقاريرها عن زيادة نشاط الاجانب في نقل اليهود الفلاشا وترحيلهم بينا رئاسة الجهاز في الخرطوم ، تلتزم جانب الصمت تجاه هذه التقارير .

إلى أن جاء أحد أيام الاسبوع الأول من عام ١٩٨٤ في هذا اليوم رن جرس التليفون السري في مكتب اللواء عمر الطيب رئيس جهاز أمن الدولة ، ورفع السماعة ليجد في الطرف الآخر « الرئيس القائد » جعفر نميري يبلغه امرا هاما .. يقول له : « لقد ابلغت الحكومة الامريكية اليوم بموافقتي على طلبها في نقل ٢٥ ألف لاجيء اثيوبي إلى كل من اوروبا

وكندا والولايات المتحدة ضمن برنامج اعادة توطين اللاجئين ورأيت أن اكلف الجهاز بالاشراف على هذه العملية لأنها ستكون سرية ..

فوجيء اللواء عمر بما سمعه من الطرف الآخر ، خاصة أن المتحدث هو الرئيس القائد ، واحس أن هؤلاء اللاجئين من نوع خاص .. شعر بالارتباك وادرك أن أمامه مهمة دقيقة .. قال بصوت خافت :

— سيادة الرئيس هل تسمح لي أن التقى بك لمزيد من الايضاح .. ؟!

.. وحدد الرئيس له موعدا في اليوم التالي ..

وهكذا وجد جهاز أمن الدولة نفسه طرفا في عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل .



الفصل الرابع

عملية الشرق

في اليوم التالي التقى الرئيس مع نائبه ، ودار الحديث في بدايته حول الاوضاع الامنية بشكل عام ثم تطرق الحديث بشكل تفصيلي حول نقل هؤلاء اللاجئين الاثيوبيين .. تحدث الرئيس عن الخطاب الذي تلقاه من الادارة الامريكية بشأن طلب تعاون السودان معها لنقل ٢٥ ألفا من اللاجئين الاثيوبيين إلى كل من اوروبا وكندا والولايات المتحدة الامريكية ، لم يشأ الرئيس أو نائبه أن يشيرا إلى هؤلاء اللاجئين بأنهم الفلاشا لكن كلاهما كان يعلم حقيقة هذا النوع من اللاجئين بالتحديد ، ولا يأبهم في رأيهما إن يذهبوا إلى اسرائيل بعد خروجهما من السودان أو لا يذهبوا طالما أن طريقهم إلى اوروبا وامريكا ، لكن الحيلة كانت واجبة خاصة من قبل الرئيس الذي كان حريصا على أن تتم عمليات النقل بكافة وسائل السرية واتفق معه في ذلك نائبه خشية أن توقف الدول التي تقدم العون للاجئين مساعداتها إذا اعلنت السودان صراحة أنها تقوم بترحيل لاجئين وحتى لاتثير اثيوبيا مشاكل جديدة السودان في غنى عنها ، وكذلك لاتغضب الدول العربية وتقاطع السودان إذا اعترف السودان بدورها في هذه العمليات .

مرت فترة صمت اثناء اجتماع الرئيس ونائبه فكر خلالها اللواء عمر الطيب لوهلة كيف ستكون البداية وادرك أن كل شيء قد اعدت له عدته وتذكر عندما ابلغه احد ضباطه في جهاز الأمن وهو العقيد الفاتح عروة منذ شهرين بأن الولايات المتحدة الامريكية ستطلب رسميا من دول اوروبا استقبال عدد من الفلاشا ، قطع الصمت الرئيس وكأنه كان يقرأ مايدور في رأس نائبه ، وقال :

— لاتقلق يا عمر ، إن مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية سيتولى الانفاق على هذه العملية ، ولن يتكلف السودان شيئا .. ثم قال كأنه يعطى امرا لنائبه :

— سبق مع السفارة الأمريكية لاتمام هذه المهمة ..

عندما عاد عمر الطيب في منتصف ذلك اليوم إلى مكتبه الذي لا يبعد كثيرا عن القصر الجمهوري استدعى اللواء عثمان السيد وهو واحد من النواب الثلاثة لرئيس جهاز أمن الدولة بدرجة وزير لينقل اليه تعليمات رئيس الجمهورية .. لم يكن اللواء عثمان السيد وقتها متفرغا للعمل فقد كان وقته موزعا بين الاكاديمية العسكرية والجهاز ، ومن الواضح لضباط الجهاز أن العلاقة بين رئيس الجهاز ونائبه لم تكن تتسم بالود ولم يرد عمر الطيب أن يشرك نائبه في العملية ، اراد فقد انلاغه بالعملية نظرا لعلاقته بالامريكيين الذين قد يعرف عنهم كل شيء .. أما اللواء عثمان السيد فإنه بدوره فهم ما يهدف إليه رئيسه فاقترح تكليف ضباط آخرين مكثفيا بذلك .. وقد شجع رأيه هذا رئيس الجهاز على أن يخصص المهمة في ضباط اقل رتبة فيهم بعيدا عن نوابه من القيادات العليا ، وعلى الفور كلف العقيد موسى اسماعيل رئيس فرع التحرير واللاجئين بتنفيذ العملية ونظرا لسفر العقيد موسى بعد ايام إلى حنيف لحضور مؤتمر اللاجئين ضمن وفد السودان اقترح أن يكون العقيد الفاتح محمد عروة مساعدا له ليتولى الاشراف على العملية اثناء سفره ، حصل موسى اسماعيل على التوجيهات من اللواء عمر على النحو التالي : « يقوم فرع التحرير واللاجئين بالاشراف على هذه المهمة على أن يقوم بالاتصال بالتنسيق مع ذوى الاختصاص وهم وزير شئون الداخلية ومعتمد اللاجئين ومدير الطيران المدني ، ومكتب شئون اللاجئين بالسفارة الأمريكية ، ووحدته أمن القضايف وأى جهة أخرى لها صلة بالموضوع ويمكن أخذ رأيها في الاعتبار » .

يقول اللواء عثمان السيد :

— في اواخر اكتوبر ١٩٨٤ اتصل بي الأخ العقيد موسى والفاتح وافاداني أن اللواء عمر اخطرهم أن هناك توجيهات من الرئيس السابق للسماح للامريكيين بترحيل يهود « فلاشا » إلى أوروبا وأمريكا ، واذكر ايضا أنه في اطار مسؤوليتي عن الاتصال الخارجي مع الامريكان أن اتصل به مستر مليتون مسئول المخابرات الأمريكية بالخرطوم في أوائل نوفمبر وذكر لي أنه تقدم بطلب للواء عمر على اساس أن يسمح السودان بترحيل يهود الفلاشا إلى أوروبا وأمريكا في اطار برنامج اعادة التوطين .

بطبيعة الحال لم يكن ماسمعه اللواء عثمان السيد من موسى والفاتح امرا سارا بالنسبة له خاصة انهما يعملان تحت امرته كما أنه يحكم عمله مسئول عن التنسيق والاتصال مع

الاجهزة الاجنبية « الصديقة » بما فيها جهاز المخابرات الامريكية .. وبالتالي كان من الطبيعي أن يكلف هو بتنفيذ العملية والاشراف عليها .

لماذا اذن استبعده عمر الطيب وتجاهله وكلف اثنين من رؤسياه لتنفيذ المهمة ؟ .. كان هذا السؤال مصدر حيرة للواء عثمان السيد الذي ظل يحاول البحث عن اجابة له وهو يقلب الأمر على كل الوجوه واستنتج في النهاية أنه ربما لا يريد رئيس الجهاز اشراكه في العملية حتى لا يعرف الكثير عن اسرارها وخاصة الجانب المالي الذي لاشك أن رئيس الجهاز حريص عليه أو ربما استبعده لأنه كثيرا ماكان يثير موضوع ترحيل اليهود الفلاشا في الاجتماعات وضرورة معالجة هذه المشكلة في خلال عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٢ عندما كانت تصله التقارير من القضايف عن وجود شبكات غامضة تقوم بترحيل لاجئين اثيوبيين بعيدا عن اعين السودانين .. وقد يعترض على هذه المهمة الجديدة إذا كلف بها .

استقر رأى عثمان السيد أن يلتزم جانب الحذر في هذه المهمة ويكتفي منها بدور المتابع دون أن يتدخل فيها .

هكذا اوكلت مهمة التنفيذ إلى العقيد موسى اسماعيل والعقيد الفاتح عروة دون اخذ رأى أو حتى اخطار القيادات والنواب داخل الجهاز .

كان الأمر الأول للعقيد موسى والفاتح أن يتصلا بالسفارة الأمريكية وبالتحديد بشخص يدعى مستر ميلتون هو ممثل المخابرات الامريكية في السفارة لأخذ التعليمات منه وتوجيهها .. ولم يكن الرجل غريبا عليهما ، فاسمه معروف لدى الجهاز وكثيرا ماكان يتردد على مكتب رئيس الجهاز ونائبه اللواء عثمان السيد ، وكان من الشخصيات الأمريكية النشطة في الخرطوم واتخذ من منزله في شارع ٢٥ بمنطقة العمارات بالقرب من مطار الخرطوم مركزا لنشاطه .

بدت العملية مثيرة لكل من موسى والفاتح عندما توجهوا إلى السفارة الأمريكية وطلبا مقابلة مستر ميلتون الذي كان يتوقع وصولهما .. كان دور ميلتون أن يقوم بتقديمهما إلى شخص امريكي آخر يدعى « جيرى ويفر » وهو شاب ممتلىء الجسم ، متحمس لعمله كثيرا ، يتحدث بصوت عال ويدخن بشراهة ، يهودي امريكي اوكلت له مهمة ترحيل اليهود الفلاشا واتخذوا ساترا لمهمته وهو الاشراف على مكتب شئون اللاجئين بالسفارة الامريكية ، جرى حديث بين ويفر ورجلى الأمن السوداني ، اخرج ويفر ملفا من مكتبه

ووضع تقريراً امامه راح يقرأ منه ، كان التقرير يتضمن معلومات وارقاما عن اللاجئيين الموجودين بشرق السودان بمعسكر تواوا وود الحلبو وام راكوبة وودشريفى ومدينة القضايف .. أما عدد اللاجئيين الذين قام مكتب شئون اللاجئيين بالسفارة الامريكية بحصرهم وقد وصل إلى نحو عشرة آلاف لاجئ .

قال ويفر :

— سنبداً بالذين تم حصرهم في معسكر تواوا لأن العدد فيه قليل ويمكن أن يكون بعد ذلك مركزاً لتجميع بقية اللاجئيين من المعسكرات الاخرى ..

كانت الأرقام التي سجلها العقيد موسى اسماعيل تبدو له غير صحيحة فتدخل في الحديث قائلاً :

— مستر ويفر يبدو أن هناك خطأ فيما ذكرت من ارقام ، إن الاحصائيات الموجودة عندنا في فرع التحرر واللاجئيين تفيد بأن عدد اللاجئيين من الفلاشا في هذه المعسكرات تتراوح ما بين خمسة وستة آلاف شخص ..

عاد ويفر إلى اوراقه ليؤكد صحة الأرقام التي ذكرها وهي عشرة آلاف شخص .. بعد أن قرأ التقرير اشعل سيجارة وقال إن المهمة التي يراد تنفيذها هي اتمام ترحيل اللاجئيين الفلاشا بطائرات « شارتر » تجارية وأن كافة الترتيبات قد اعدت ورتبت وأنه لامشكلة في فرز الفلاشا عن بقية اللاجئيين فهذه مهمة قد انتهى المكتب منها وتحدد عدد كل مجموعة في كل سفريه ..

سأل العقيد الفاتح :

— وماهى مهمتنا نحن بالضبط ؟ ..

اعتدل ويفر في جلسته واشعل سيجارة اخرى .. وقال وهو يحرص على ألا يجعل صوته عاليا كعادته :

— كل مانريده منكم هو تأمين نقل هؤلاء اللاجئيين من القضايف إلى مطار الخرطوم بالطريقة التي يرى جهاز الأمن السوداني أن توفر وصولهم آمنين ..

كان ميلتون ممثل جهاز المخابرات الامريكية قد انضم إلى هذا الاجتماع وتناقش معهم في كيفية نقل هؤلاء اللاجئيين بالسيارات من القضايف إلى الخرطوم ، وقال إن السفارة الامريكية ستوفر ٤ باصات لنقل الفلاشا .. كما سيحضرون اجهزة اتصال جديدة لتسيير

المهمة وستؤول كل هذه السيارات واجهزة الاتصال إلى جهاز الأمن السوداني بعد الانتهاء من العملية وستكفل الأمريكيون بأى نفقات ومصروفات إدارية أثناء عملية الترحيل ، وعلى جهاز الأمن السوداني أن يقوم باعداد السائقين وفرق الحراسة والقيام بالاجراءات التي تتطلب تدخل جهة سودانية وخاصة في المسائل التفصيلية .

في نهاية الاجتماع شعر موسى والفتاح أنه لم يعد هناك حواجز في التعامل مع كل من جيري ويفر ومستر ميلتون فقد جرى الاجتماع في جو ودي تخللته بعض التعليقات الضاحكة التي ماكانت تحدث في اللقاءات السابقة ، وذكر موسى إنه التقى بميلتون مرتين في مكتب العقيد الفاتح ذلك أن العلاقة بين ممثل المخابرات الامريكية والفتاح كانت اقوى ، وهامم الآن يبدون كاصدقاء الأمر الذي جعل كلا من موسى والفتاح يشعرا بأن هذه العملية تختلف عن غيرها من العمليات العادية التي قاما بها ..

حمل مندوبا جهاز الأمن السوداني الخطة التي اعدتها السفارة الامريكية وكانت مكتوبة باللغة الانجليزية في شكل مذكرة قام الفاتح بترجمتها وكتابتها ليقدمها معا إلى اللواء عمر الطيب ..

شئ ما سرى داخل نفس موسى اسماعيل وهو ينقل نتائج المقابلة مع الأمريكيين إلى رئيس جهازه ، ولم يشأ أن يترك ماشعر به حبيسا في نفسه فقال :

— سعادتك .. عملية نقل هؤلاء اللاجئين حسب الخطة الامريكية قد تسبب حرجا للسودان وتؤكد الحملة التي تشن علينا بأننا نرحل فلاشا إلى اسرائيل ..
قال اللواء عمر بحزم :

— أنا لا أريد رأيكم ، ماطلبه الأمريكيون علينا أن ننفذه ، وهذا قرار صادر من رئيس الجمهورية والقصد منه تخفيف الحملة الاعلامية الجارية الآن في وسائل الاعلام الامريكية والي تهدف إلى اساءة العلاقات مع السودان وامريكا بعد عملية تطبيق الشريعة الاسلامية ..

التزم العقيد موسى بالأمر وطرد من داخله الاحساس الذي راوده واقنع نفسه بأنه يقوم بتنفيذ تعليمات وراح يناقش الخطة الامريكية مع اللواء عمر .. فقال :

— إن عدد الفلاشا الوارد في الخطة الامريكية أكبر من العدد الذي احصيناه واخشى أن تكون هذه الزيادة انهم يريدون جلب مزيد من الفلاشا كي يرحلونهم في هذه العملية ..

قال اللواء عمر بلهجة واثقة :

— سوف ابحث هذا الأمر مع الامريكيين كى لاياتوا بمجموعات أخرى من الفلاشا كى نرحلها في هذه العملية أما أنتم فعليكم التنفيذ ..

انتقل الحديت إلى نقطة اخرى اخذت وقتا طويلا من النقاش وهى كيفية نقل هؤلاء الفلاشا وهل سيتم نقلهم من مطار الخرطوم أم قاعدة وادي سيدنا الجوية ، وماهو الوقت الملائم الذي تتم فيه عملية الترحيل حتى يتم ضمان سريتها .

جرى نقاش اشترك فيه اللواء عمر والعقيدان موسى والفتاح ، ونظرا لأن العملية ستم بشكل يومي أو كل يومين وستأخذ وقتا قد يمتد إلى عدة اسابيع فإنه كان من الضروري أن تتم بحيث لاثير اهتمام أحد أو تلفت الانظار طوال هذه الفترة ، واقترح أن تتم بشكل عادي حتى لاثير الشكوك ، لكن هذا الاقتراح لم يؤخذ به لأنه على أية حال قد يعرض العملية نفسها للشائعات ويؤكد الحملات ضد السودان وكان من الضروري أن تكون السرية كاملة حتى لو اقتضى الأمر اجراء تغيير في اسلوب العمل اليومي وتجاوز تقاليد يومية مثل كتابة التقارير التي تكتب عادة في كل عملية يكلف بها الجهاز رجاله .. وصل النقاش إلى طبيعة المكان هل يستخدم مطار الخرطوم أم قاعدة « وادي سيدنا » واستبعد العقيد الفتاح استخدام القاعدة الجوية حتى لايسبب ذلك حرجا للقوات المسلحة وحتى يتم ابعاد أى شبهة حول الجيش الذي هو في النهاية مؤسسة عسكرية مستقلة عن جهاز الأمن، وافقه في ذلك العقيد موسى واقنع اللواء عمر بهذا الاقتراح ، وبذلك اتفق على أن يتم ترحيل اليهود الفلاشا من مطار الخرطوم .

سأل اللواء عمر :

— ماذا عن هاتجر الحجاج ؟ .. إنه افضل مكان لتجميع اللاجئين خاصة نحن الآن في شهر اكتوبر وليس هذا الوقت موسم حجيج وهو بعيد عن انظار الناس المتواجدين داخل المطار .. ويمكن أن يصعد الفلاشا إلى الطائرة مباشرة دون جوازات سفر أو اجراءات صحية أو جمركية ..

ثم وجه حديثه إلى العقيد الفتاح قائلا :

— يا فاتح عليك أن تتصل بالسر حسن بشير مدير الطيران المدني وتشوف موضوع هاتجر الحجاج ..

عاد يقول :

— أهم شيء في هذه العملية هو السرية كي لايقول الاثيوبيون أن السودان يرحل لاجئين وحتى لا يؤثر ذلك على الاعانات التي تأتي إلى السودان .. ولذلك فإن الوقت المناسب للترحيل هو « الساعات الميتة » وليكن مابعد منتصف الليل ..

التفت اللواء عمر إلى العقيد موسى وقال له :

— أما أنت ياموسى فعليك أن تعد اربعة من السائقين على أن يكونوا من سائقي الجهاز وتجهز الحراسة لتأمين وصولهم إلى مطار الخرطوم ..

كان الاجتماع بين رئيس جهاز الأمن والعقيدان موسى والفتاح قد اوشك على نهايته ولم ينس أن يحدد اسما لهذه العملية .. فقال :

— والآن ابحثوا عن اسم كودي لهذه العلمية لتستعملوه في أى مكاتبات عاجلة .. قال العقيد موسى :

— اقترح أن نطلق عليها اسم « عملية الشرق » ..

وافق اللواء عمر على الاسم وسجله في ورقة امامه ..

انلغت نتائج هذا الاجتماع إلى مستر ملتون وجيري ويفر وقرار رئيس الجهاز على أن يتم الترحيل من مطار الخرطوم ..

وبدأت مرحلة التنفيذ ، وتوزعت المهام على عدد من ضباط آخرين ..

استدعى العقيد موسى أحد رؤسياه الذين يتق فيهم ومشهود لهم بالانضباط وهو الرائد فؤاد بدر وشرح له المهمة الجديدة وكان حريصا على أن يقول له إنها عملية ترحيل لاجئين وليسوا فلاشا خاصة أن اسم الفلاشا كان يتردد داخل الجهاز وكلفه بأن يتولى الاشراف على نقل هؤلاء اللاجئين من القضايف إلى مطار الخرطوم وأن مسئوليته تنحصر في توجيه السائقين وفرق الحراسة ..

كان على العقيد موسى أن يقوم بزيارة إلى جنيف بعد يومين ضمن وفد السودان في مؤتمر اللاجئين الذي تشرف عليه الأمم المتحدة وهو مؤتمر سنوي يعقد لبحث شؤون اللاجئين في العالم وتحديد الميزانية التي تقدم للدول التي تستضيف هؤلاء اللاجئين والسودان واحدة منها ، وكان الوفد برئاسة على ياسين وزير الداخلية وبشير الأحمد معتمد شؤون اللاجئين والعقيد موسى اسماعيل من جهاز الأمن القومي ، وفي مثل هذا النوع من المهمات فإنه كان عليه أن يلتقى برئيس الجهاز كي يحصل منه على التعليمات والتوجيهات .. ووجد

اللواء عمر هذه المهمة فرصة يقوم خلالها العقيد موسى بابلاغ على ياسين والاحمدي .. وكانت تعليماته بأن يقول لهما كل على حدة بأن امريكا ستقوم بترحيل يهود فلاشا من السودان باشراف جهاز الأمن القومي ، وقد قام بتنفيذ هذه التعليمات .. يقول العقيد موسى إن السيد بشير الأحمدي قال له إنهم — أى معتمدية شئون اللاجئين — عملوا مذكرة في هذا الموضوع وسلموها للواء عمر ، وأنهم علموا أن الامريكان سيأخذون اللاجئين من المعسكرات لاعادة توطينهم بالولايات المتحدة وأن هذه العملية سيشرف عليها جهاز أمن الدولة .

وسافر موسى اسماعيل إلى جنيف ليقضي تسعة أيام تاركا تنفيذ العملية كلها إلى العقيد الفاتح ..

أما العقيد الفاتح فكان أول خطوة قام بها بناء على تعليمات اللواء عمر أن يتوجه إلى القضايف ويجتمع مع رئيس وحدة الأمن هناك وكذلك مع اسماعيل ابراهيم نائب معتمد اللاجئين الذي كان قد رفع تقريراً عن الفلاشا واقترح أن يسمح لهم بالخروج من السودان لأى جهة ، ووصل هذا التقرير إلى اللواء عمر عن طريق بشير الأحمدي في اغسطس من نفس العام قبل شهرين من عملية الترحيل ..

سافر العقيد الفاتح إلى القضايف ولم يكن بمفرده ، اصطحبه في هذه الزيارة جيري ويفر واحد مساعديه يدعى نيكولا وهو يوناني الاصل كان يعمل في مكتب شئون اللاجئين التابع للسفارة الامريكية ومستتر تشارلز ممثل منظمة « I.C.M » وهى واحدة من المنظمات التي ساهمت في ترحيل الفلاشا تحت ستار رعاية شئون اللاجئين ، وهناك استقبلهم المقدم دانيال دينج لوال مسئول وحدة أمن القضايف ..

يتحدث دانيال دينج لوال عن هذه الزيارة فيقول :

— في الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩٨٤ حضر لنا في القضايف العقيد الفاتح عروة ومعه آخرون ، وعندما وصل إلى المكتب استفسر عن وجود العقيد « الكتان » رئيس وحدة الأمن ولم يكن موجوداً لأنه كان في اجازة استعداداً لنقله إلى الخرطوم ، ثم طلب منى أن اتصل بالسيد اسماعيل ابراهيم مساعد معتمد اللاجئين للحضور إلى اجتماع في المكتب فاستدعيته بالتليفون وحضر على الفور وعقد اجتماعاً حضره الرائد حامد النور رئيس وحدة الأمن واسماعيل ابراهيم ودانيال دينج والفاتح عروة والاجانب الذين حضروا معه .. افتتح

العقيد الفاتح الاجتماع قائلا : إن قرارا صدر بالسماح للأمريكان باخذ جميع اللاجئين الفلاشا الموجودين بالاقليم الشرقي ضمن برنامج اعادة التوطين إلى أوروبا والولايات المتحدة ، وأن الجهاز سيشرف على هذه العملية بالتنسيق مع الأمريكان .

يوصل دانيال دينج روايته قائلا : وبعد ذلك طلب منى العقيد الفاتح اننى بوصفى مسئولا في وحدة تحركات التحرر واللاجئين سأكون مسئولا عن هذه العملية وعلى أن اقدم كل التسهيلات التي يحتاجها الأمريكان ولم ينس أن يؤكد له أن هذه العملية يجب أن تحاط بالسرية ولم ينس ايضا أن يذكران السيد رئيس الجهاز هو المشرف العام على هذه العملية .. ثم قال له محذرا :

— أى تصرف من جانبكم سيكون مسئوليتكم الشخصية ..

بعد ذلك تحدث جيري ويفر في الاجتماع وطلب أن نساعد في البحث عن منزل للايجار ومخزن يستخدم لتخزين الجازولين وقال إن هناك كميات من الجازولين ستأتى من بورسودان قريبا .. ثم سأل السيد اسماعيل ابراهيم عن صلاحية طريق القضارف — أم راكوبه ، فذكر له مساعد معتمد اللاجئين أن الطريق سيء يحتاج إلى اصلاح فابلغه انهم سيساهمون في اصلاح الطريق بين أم راكوبه والقضارف .

انتهى الاجتماع وقبل أن يخرج المجتمعون التفت جيري ويفر إلى دانيال دينج وسأله :

— هل لديك مشاكل مع منظمة (I.C.M) ؟

وكان السؤال مثار دهشة له فلم يعرف كيف يجيبه واكتفى قائلا :

— لا توجد أى مشاكل ..

عاد موسى اسماعيل من مهمته في جنيف لحضور مؤتمر اللاجئين التابع للأمم المتحدة وكان قد امضى تسعة أيام بعيدا عن الخرطوم مما جعله يبادر فور وصوله بالاتصال بزميله الفاتح عروة ليعرف كيفية سير العملية ، ابلغه الفاتح بما تم خلال هذه الايام وأنه قام بالاتصال بمدير الطيران المدني واعد السائقين والحراسة ، وأن جيري ويفر لم يتمكن من شراء الباصات من الخرطوم وطلب شراءهم من الخارج حيث اشترى ٤ لوارى شاسيه تعمل بالجازولين ووصلت إلى مطار بورسودان باسم جهاز أمن الدولة ، وكان لابد من انتظار بعض الوقت لتحويل هذه اللواري إلى باصات لذلك رأى ضرورة استئجار مجموعة باصات ، وقد استدعى ذلك الحصول على موافقة اللواء عمر الطيب فوافق شريطة أن

تحون بلا سائقين أو مساعدين ، وجرى استئجار أربعة باصات بمبلغ ٣١ ألف جنيه قام مكتب اللاجئيين بالسفارة الأمريكية بدفعه وقام الفاتح بمقابلة قومسونجي يدعى « حسن » احضر السيارات وقام موسى اسماعيل بدفع المبلغ كاملاً له وأحضرت الباصات وتم اختيار أربعة سائقين وأربعة حراس من جهاز الأمن ووضعت السيارات المؤجرة في جراج الجهاز بمنطقة المقرن ..

وهكذا تم تأمين وسيلة النقل البري وحاء الدور على المطار ..

اتصل العقيد الفاتح مع السر حسن بشير الذى احواله الى مدير المطار محمد جميل ورتب المقدم بابكر عبد السيد مسئول الامن بالمطار لقاء بينهما ، وشرح الفاتح لمسئولى المطار أن ماسيقوم به الجهاز هو عملية نقل لاجئين ولابد أن تتم سرا . وطلب أن يتفقد هنجر الحجاج فليل له إنه غير مستعمل وأنه يوحد هنجر جديد في الجهة الجنوبية من مدخل المطار لا يستخدم ، وجرت معانية له حيث قام السر حسن بشير ومدير المطار بمرافقة العقيد الفاتح الذي طلب أن تقوم هندسة الطيران بعمل اضاءة في هذا المكان ، واقترح كذلك أن تقف الطائرة التي ستنقل اللاجئيين الفلاشا في « النابت ستوب » وهى منطقة يمين الطائرة ..

قام العقيد الفاتح بعد ذلك بنقل الصورة التي عاينها في المطار إلى اللواء عمر الطيب واتفق على أن يكون المدخل الجنوبي هو انسب مدخل لدخول الباصات وأن هانجر الحجاج لن يستخدم إلا في الازمات كأن يجرى ابقاء الفلاشا فيه إذا حدث عطل بالطائرة تطلب اصلاحها .

هكذا تم تأمين المطار وتحديد موقع هبوط واقلاع الطائرة البلجيكية التي ستنقل اللاجئيين وكيفية دخول الباصات التي ستنقلهم إلى المطار ، وبقي بعد ذلك معانية الموقف في منطقة المعسكرات في القضايف ، ولهذا الغرض قام العقيد الفاتح وجيري ويفر وكان معه مساعده نيكولا وممثل لمنظمة « I.C.M » العاملة في برامج اغائة اللاجئيين بالسفر إلى القضايف ، وكان قد اجرى استئجار منزل كاستراحة للمشرفين على هذه العملية بستة آلاف جنيه لمدة ستة اشهر ومخزن لتخزين الجازولين ، وتم احضار ٣٥ برميل جازولين ومجموعة من البطاطين ، كما تم اصلاح الطريق المؤدي من أم راكوبه إلى القضايف وجرت معانية المعسكرات والطرق التي ستسير فيها الباصات من معسكر تجميع اللاجئيين في تواوا إلى القضايف .. وهكذا تم تنفيذ مراحل العملية كلها واصبح الكل مستعدا للتنفيذ ، وعلى

ضوء هذا حدد جيري ويفر موعد بدء الرحلات يوم ٢١ نوفمبر وطلب ارسال الباصات إلى القضايف مبكرا حتى يجرى لها صيانة هناك إذا تطلب الامر ذلك .

اتفق العقيد موسى والفتاح على ذلك وابلغا اللواء عمر بما تم واوكل إلى الفاتح تأمين الحراسة واعداد سيارة مزودة بجهاز اتصال لاسلكي لتكون في استقبال الباصات عند وصولها إلى منطقة سوبا القريبة من المطار التي تتوقف عندها حتى يعطى لها الاذن بالتحرك نحو الطائرة ..

اباح كل ذلك إلى اللواء عمر الطيب وطلب منهم أن يعدوا له تقريراً مفصلاً بعد اتمام الرحلة الأولى ..

في يوم ١٨ نوفمبر وصل إلى القضايف فؤاد بندر المكلف بتأمين السائقين والسيارات التي ستنقل الفلاشا إلى الخرطوم .. واجتمع على الفور مع نيكولا لبحث معه المسائل الادارية المتعلقة بتنفيذ العملية وتفقد المنزل والمخزن والطرق التي ستمر بها السيارات التي ستنقل الفلاشا وكانت الخطة تقضى بنقل اليهود الفلاشا المتواجدين في معسكر تواوا أولا ثم القضايف وبعد ذلك بقية المعسكرات .

ابلق فؤاد بندر زميله دانيال بأن العملية ستبدأ بعد اربعة أيام ، وأن حيري ويفر سيقوم بزيارة ثانية للمنطقة ليشرف بنفسه على كافة الاجراءات وسلامة الطرق وقد تمت هذه الزيارة يوم ١٩ نوفمبر أى قبل يومين من تنفيذ العملية .

يروى دانيال دينج كيفية اعداد الفلاشا لترحيلهم .. يقول :

توجهنا إلى معسكر تواوا يوم ٢١ نوفمبر الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وكان هناك جيري ويفر ونيكولا وشارلز وافراد مسلحون من جهاز الأمن للحراسة وهناك وجدنا نحو ٢٠٠ شخص من الفلاشا موزعين في اربعة مجموعات خارج المعسكر وقد حدثت فوضى شديدة اثناء ركوبهم الباصات لأن الاسبقية كانت للنساء والمسنين وقد استغرق ذلك خمسة عشر دقيقة ثم تحركت الباصات مباشرة إلى الخرطوم .

ثم يقول :

« في الايام التالية طلب منى الامريكان أن اتوجه معهم إلى ام راكوبه كى يتعرفوا على صف الضباط التابعين لجهاز الأمن حتى لايعترضوا على تحرك هؤلاء اللاجئين وقد ابلغتهم وأنا اقدم لهم نيكولا بأن هذا الشخص مهمته توطين اليهود الفلاشا ونقلهم فلا

تعرضوا طريقه .

كانت عملية النقل تتم كل يومين تأتي الباصات الاربعة من الخرطوم الساعة الرابعة بعد الظهر لتحمل معها افواج اليهود الفلاشا بمعدل ٥٠ شخص في كل باص وتغادر القضارف الساعة الخامسة لتصل مشارف الخرطوم مع منتصف الليل .. وقد قامت منظمة « I.C.M » بارسال ٢٠٠ برميل من الجازولين من بورسودان تم تخزينها في المخزن الذي استؤجر لهذا الغرض وتم تخزينها باسم رئيس وحدة أمن القضارف . بعد أن تم تأمين وسائل النقل التقى جيري ويفر مع دانيال وتحدث معه في سير العملية ثم قال له :

— لقد بلغني أن السيد حسين عثمان مدير مشاريع اسكان اللاجئين بالشوك لم يتم اختطاره بالعملية ولذلك اطلب منك أن تأتي معي الى الشوك لنتلقى مع السيد عثمان .. في اللقاء بين ويفر وحسين عثمان جرى حوار حول هدف الامريكيين من هذه العملية وسأل المسئول السوداني الرجل الامريكي :

— ماهو الضمان بأن هؤلاء الناس لن يذهبوا إلى اسرائيل؟؟
رد عليه ويفر قائلا :

— أرجو ألا يشغلك هذا الأمر كثيرا ياسيد عثمان فمن جانبنا اتخذنا الخطة حيال هذا الأمر ..

ورد حسين عثمان قائلا :

— إذا كانت هذه العملية تمت بقرار سياسي فليس لدينا تعليق ولا نستطيع أن نعدل فيه .

قال ويفر وهو يحاول أن يكسبه إلى صفه :

— الواقع ياسيد عثمان أنه كان يجب أن يخطر معتمد شئون اللاجئين بهذا الامر من البداية ولذلك اعتذر لك من جانبي لعدم اختطارك ، واود أن اطمئنك أن امريكا اتخذت كافة الاحتياطات حتى لا يذهب هؤلاء اللاجئين الفلاشا إلى اسرائيل .

كانت هناك مهمات محددة لكل ضابط أمن ، وكان دور فؤاد بندر أن يقوم بمرافقة الباصات حتى المطار واسماعيل موسى والفتاح يتابعان العملية ويتناوبان عليها كل مرة ويقدم كل منهما تقريرا كاملا بكل ما يجري للواء عمر ..

يقول فؤاد بندر :

— قابلت دانيال دينج واطلعت على التعليمات التي لدى وكانت هي نفس التعليمات التي عنده وهي في محملها أن ننسق العمل مع جيري ويفر الذي كنت قد تعرفت عليه في الخرطوم ، وعندما تحركت إلى المعسكر في اليوم الأول لنقل اليهود الفلاشا في الباصات من معسكر تواوا وجدته هناك ومعه نيكولا ومساعدته تشارلز مندوب منظمة (I.C.M) وبعض الاثيوبيين الذين كانوا يساعدونهم في ترتيب جمع اللاجئين ، وتحركت أول رحلة من القضايف الساعة الخامسة ووصلت الخرطوم الساعة ١٢ ليلا يوم ٣١ نوفمبر ١٩٨٤ ، وفي هذه الرحلة رافقني جيري ويفر ليطمئن على سلامة وأمن الطريق ..

يضيف فؤاد بندر

— في الطريق ما بين القضايف والخرطوم توجد عدة نقاط للتفتيش هي « خياري ، مدني ، حنتوب ، سوبا وفي الأمور العادية فإن المتبع أن يتم إيقاف السيارات القادمة من الاقليم الشرقي وتفتيشها عند هذه النقاط للتأكد من سلامة الاحراءات القانونية لكن هذه الباصات لم يتم تفتيشها بموجب تصريح مختوم من جهاز أمن الدولة يحمله فؤاد بندر . كانت الخطة هي أن يتوقف موكب الباصات عند نقطة سوبا في ارض فسيحة متوارية عن الانظار حتى تصله التعليمات عبر جهاز اللاسلكي الذي يحمله بالتحرك إلى المطار ..

يوصل فؤاد بندر روايته فيقول :

— في الايام الخمسة الأولى اعطونا عربة مزودة بجهاز اتصال لاسلكي لم نستخدمها كثيرا لأنها لم تكن بحالة جيدة واستخدم بدلا منها جهاز ارسال يحمل ارقاما شفرية ، وكان رقمة السري « ح ر بتل ٥ » ومن خلال هذا الجهاز يعطى اذن التحرك إلى المطار في وقت تكون الطائرة فيه على استعداد للاقلاع .

في الرحلة الأولى تحركت الباصات الى بوابة المطار من الجهة الجنوبية وهي منطقة نائية عن المدخل الرئيسي للمطار الذي يتوجه اليه المسافرين العاديون ، وكانت هذه البوابة هي مدخل الحجاج ، كانت الباصات تدخل بهدوء وهي مغطاة الانوار إلا من ضوء خافت إلى أن تصل بالقرب من الطائرة واحدا بعد الآخر يهبط منها اللاجئون ويركبون الطائرة مباشرة وكان يقف عند الطائرة الفتح عروة وموسى اسماعيل وجيري ويفر الذي كان يساعد اللاجئين للنزول من الاتوبيس وصعود سلم الطائرة ، وكان هناك نحو خمسة عشر شخصا مسلحين

بالكلاشنوف من رجال الامن يقومون بمراقبة المنطقة ومع اى شخص غريب من الاقتراب من الطائرة .

وقد حدث ذات مرة أن اقترب مندوب شركة الطيران البلغارية من موقع هبوط الطائرة السليكية التي تنقل اليهود الفلاشا واحتج على أن طائرة شركته تقف في نفس المكان عندما اعترض طريقه أحد الحراس ليمنعه من الاقتراب فتم احتجازه للتحقيق بحجة أن ليس معه تصريحاً لدخول المطار وعندما اعترض على أنه جاء بسيارة دبلوماسية طلب العقيد عروة تفتيش سيارته بحثاً عن خمر فيها وذلك بهدف ارباكه وتلفيق أى اتهام له ، ومن سوء حظه عثر على زجاجة ويسكى في حقيبة السيارة في وقت كان كل من يقتنى أى نوع من الخمر تجرى محاكمته ويجلد بحجة مايسمى بقوانين الشريعة الاسلامية .. فتم تحرير محضر ضده واعد من السودان .

لم يكن مسموحاً لأى أحد بالاقتراب من مكان هانجر الحجاج إلا مندوبي جهاز الأمن المشرفين على العملية والعمال الذين يقومون بتقديم الخدمات الارضية وكان يقوم على حراسة الطائرة نحو اثنا عشر جندياً من جهاز الامن مسلحين بمدافع رشاشة يلتفون حول الطائرة في شكل نصف دائرة على مسافة خمسة امتار ، وكان العقيد موسى اسماعيل والعقيد الفاتح عروة يتناوبون الاشراف على كل رحلة ، وفي احدى المرات حضر السفير الامريكى الكسندر هوران للاشراف بنفسه على نقل اللاجئين ، ولم تكن هناك اجراءات للجوازات أو الجمارك أو أى قوائم باسماء الراكبين ، كانت الباصات تقف على بعد اربعة امتار من الطائرة ليهبط منها اليهود الفلاشا ويصعدون مباشرة نحو الطائرة .

أما الطائرة وهى من طراز ٧٠٧ ، تابعة لشركة الخطوط الجوية الاوروبية وهى شركة بلجيكية خاصة يمتلكها شخص يهودي يدعى « جوبليك » يقوم بتقديم خدمات خاصة لجهاز الموساد الاسرائيلي وكان طاقم الطائرة ينام ليلة في فندق الصداقة بالخرطوم بحرى وقد منع عليهم ألا يتحدثوا مع أحد ، وأطلق على الطائرة اسم « طائرة البلح » لتكون مميزة عن الطائرات الاخرى واعطيت التعليمات للمسؤولين بالطيران المدنى بألا يتعرضوا لها لانها تقوم برحلات خاصة إلى أوروبا .

استمرت الرحلات كل يومين يقوم بعدها المشرف على الرحلة سواء كان العقيد موسى أو الفاتح بتقديم تقرير شفهي عنها إلى رئيس جهاز الأمن اللواء عمر الطيب ثم تحولت إلى رحلات يومية بناء على طلب جيري ويفر .

مضت أيام على هذا النحو ، عمليات الترحيل لليهود الفلاشا تجري يوميا في جنح الظلام ، في الساعات التي تنتصف الوقت بين منتصف الليل والفجر الباصات تدخل المطار من البوابة الجنوبية عندها نجر الحجاج بعيدا عن صالات الركاب العادية وقد أطفأت أبوابها ، ثم تقف بالقرب من الطائرة ليصعد منها اللاجئون الفلاشا مباشرة إلى الطائرة .

ثم كان يوم الخامس من يناير ١٩٨٥ .. وبالتحديد الساعة السابعة مساء عندما اذاع راديو لندن أن جماعات اليهود الفلاشا وصلت إلى اسرائيل قادمة من السودان عبر رحلات جوية تم على طائرة بلجيكية تنقل اللاجئين من اليهود الفلاشا إلى بروكسل ومنها إلى اسرائيل ، أحدث النبأ ذعرا بين ضباط الأمن السوداني ثم تأكد في النشرة التفصيلية بعد ساعة وكان العقيد موسى اسماعيل قد سمع بالنبأ كما سمعه فؤاد بندر من راديو الباص الذي يستقله وهو قادم من القضايف برفقة اللاجئين ضمن اطار مهمته المكلف بها ..

والمهمة السرية انكشفت ، ومن الذي كشفها .. شخص يدعى دومينيز وهو رئيس الوكالة اليهودية ويذيعها راديو لندن . كان ذلك مصدر قلق للعقيد موسى الذي كان عليه الدور في الاشراف على نقل اليهود الفلاشا في الرحلة الثانية والعشرين .. بدا في المطار مكفهر الوجه ، ثائر الأعصاب بينما كان جيري ويفر على عادته هادىء الأعصاب يؤدي عمله بهمة ونشاط وهو يساعد على نقل أفراد الفلاشا من الباص إلى الطائرة فحاة اقترب منه العقيد موسى قائلا ستكون هذه آخر رحلة يامستر ويفر .. لايمكن أن تستمر بعد مأذاعه راديو لندن الليلة .

قال ويفر

— نعم استمعت إلى ما أذاعة راديو لندن ولكن ليس هناك قرار يوقف الرحلات

قال العقيد موسى :

— أنا الذي أصدر القرار الآن ولن يكون هناك رحلات أخرى في الليلة التالية

وعليك أن تتصرف على هذا الاساس

قال ويفر مندهشا :

— لكن رئيسك اللواء عمر لم يبلغني بذلك

رد العقيد موسى

— اعتقد أنه سيبلغك

في صباح اليوم التالي كان أول شيء فعله العقيد موسى أن ذهب إلى مكتب اللواء



Stamp: "Bibliothèque de la Fondation de l'Afrique" (Library of the Foundation of Africa)

عمر في الساعة السابعة صباحا ليقدم له التقرير الشفهي عن سير العملية . وبعد أن قام
بواجبه المعتاد قال للواء عمر :

— سعادتك .. هل استمعت إلى مآذاعه راديو لندن الليلة الماضية

رد اللواء عمر في أسي :

— نعم سمعت .. لا أدري لماذا فعلوا ذلك .. إنهم يريدون احراجنا ..

قال العقيد موسى :

— على أى حال لقد ابلغت جيري ويفر بأننا قد اوقفنا العمليات

قال اللواء عمر على الفور

— حسنا فعلت ، هذا ماكنت سأفعله وعلى أى حال سأتصل بالرئيس لابلغه بهذا

القرار واعتقد أنه سيوافق عليه .. علينا الآن أن نعالج الموقف .

كان النبأ قد سرى داخل اوساط جهاز الأمن ، وماكان سرا أصبح حكاية معلنة لا

تتناقلها الألسن وتزيد الروايات من وقائعها ، وبدا لضباط الأمن أن مصائب سوف تحدث

لكن أحدا لم يعرف كيف ومتى ستكون ردود الفعل داخل السودان



الفصل الخامس الضوء الأخضر في حفل الشاي

في اليوم التالي خرج من مكتب رئيس جهاز الأمن والنائب الأول تقريران الأول تقرير إلى رئيس الجمهورية يتضمن التفاصيل الكاملة لعملية نقل اليهود الفلاشا عبر مطار الخرطوم إلى أن تم إيقافها ، والتقرير الآخر إلى هاشم عثمان وزير الخارجية يتضمن نفي ما أذاعه راديو لندن ويقترح على وزير الخارجية أن يستدعى الصحفيين ورؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والافريقية ليؤكد نفي الحكومة للنبا الذي اذيع بأن السودان تعمل على ترحيل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل كما يتضمن التقرير معلومات حول الدور الاثيوبي في نقل اليهود الفلاشا وهى في الواقع معلومات قديمة كانت قد جرت عام ١٩٨٠ تقول إن الحكومة الاثيوبية ساهمت في نقل الفلاشا إلى اسرائيل مقابل حصولها على معدات واسلحة حربية .
حمل العقيد الفتاح عروة هذا التقرير وتوجه به إلى وزارة الخارجية .

اذاعت وزارة الخارجية البيان واجتمع وزير الخارجية مع سفراء الدول الافريقية لكن ذلك لم يقنع الرأى العام أو الدول العربية ببراءة الحكومة السودانية . وتعرضت السودان لحملة اعلامية مضادة شجعتها قوى المعارضة ضد نظام نميري في داخل السودان وخارجه ، وفي مواجهة ذلك اكتفى الرئيس بالرد على بيان وزير الخارجية الاثيوبي ، وكان الرد السوداني يقوم على التويه ومغالطة للحقائق إذ قال إن السودان لاتفرق بين اللاجئين من

ناحية الجنس أو اللون أو الدين وأنها تسمح لهم بالخروج لأن السودان ليس سحنا للاجئين .

كان النبأ قد اصبح حدثا تتناقله الالسنه سرا بين ضباط جهاز أمن الدولة وراحت الاتهامات تشير إلى موسى اسماعيل والفتاح ، وكان الضباط يشيرون إلى موسى باسم موسى ديان ، وفي هذا الاثناء استطاع الرائد عبد الله عبد القيوم أن يغادر الخرطوم ومعه الوثائق التي تدين الحكومة السودانية وتؤكد دورها في عملية نقل الفلاشا إلى اسرائيل ، وكان هدفه التوجه إلى تونس لتقديم هذه الوثائق إلى جامعة الدولة العربية ولكن امكن اعادته إلى الخرطوم واعتقاله .

ولمواجهة حملة الشائعات داخل الجهاز وترهيب الضباط بعد محاولة سفر الرائد عبد الله عبد القيوم دعا اللواء عمر ضباط الجهاز إلى احتناع حيث نفى فيه كل مايقال عن تورط العقيد موسى والعقيد الفاتح وكانت لهجته تحمل روح التهديد والوعيد ضد هؤلاء الذين يروجون مثل هذه الاشاعات وقال :

— هياك ضابط كان يحاول الهروب إلى ليبيا عن طريق الخطوط التونسية وقد استعدناه .. وأنا احذركم أن من يريد أن يفعل هذا سأحضره اينما كانت وجهته .. ثم قال : — إن لي صداقات في كل انحاء العالم سوف تساعدني على ذلك ..

رغم كل ذلك لم يعد الرأي العام داخل ضباط جهاز الأمن في حاجة إلى دليل على أن عملية نقل اليهود الفلاشا تمت بالفعل وبدأ يتكون داخل الجهاز تنظيم سرى ضد نظام نميري وفي هذا "١١" كانت العلاقة بين النظام وجماعة الاخوان المسلمين بدأت تدخل مرحلة متوترة وخاصة في اعقاب المؤتمر الاسلامي الأول في سبتمبر ١٩٨٤ الذي كشف عن وجود صراع بين الرئيس وجماعة الأمر الذي ادى إلى اعتقال عدد منهم من بينهم بعض اقارب العقيد الفاتح عروه ، وقد حدث أن عقد الاخوان المسلمون مؤتمرا في منطقة « الصافية » وهي حى من احياء مدينة الخرطوم بحرى على النيل الازرق ، وفي هذا المؤتمر وتعبيرا عن العداء بينهم وبين النظام اتهموا النظام بأنه متورط في عملية تهريب اليهود الفلاشا وتسرب العقيد الفاتح معلومات بأن الرئيس نفسه هو الذي امر بتنفيذ هذه العملية مقابل اموال قبضها من المخابرات الامريكية وأن اللواء عمر ليس له دخل في هذه العملية . وصلت انباء هذا الاجتماع وما قاله الفاتح الى رئيس الجهاز فاعطى غضبه تجاهه وقاطعه ولم يشأ أن يعاقبه لانه نسب العملية كلها للرئيس ولم يزوج باسمه فيها ، ولعل الفاتح كان في هذه الفترة

يشعر بالحباط بسبب اعتقال عدد من اقاربه بتهمة انتائهم لجماعة الاخوان المسلمين الذين كانوا على خلاف مع النظام ، وهناك دافع شخصي آخر وهو أنه كان يسعى للسفر إلى الخارج سواء إلى بون أو امريكا شخصي آخر وهو إنه كان يسعى للسفر إلى الخارج سواء إلى بون أو امريكا للحصول على « كورس » في الكمبيوتر واستصدار رخصة طيران .. والواقع أنه كان يسعى للهروب من المأزق الذي وجد نفسه فيه بعد ما كشفت الاذاعات والصحف العالمية اسرار عملية نقل اليهود الفلاشا من الاراضي السودانية إلى اسرائيل .

ولم تكذ تمضي ايام حتى استدعاه اللواء عمر ليصاله بعد هذه القطيعة خاصة أن هناك ترتيبا يتم اعداده بين الخرطوم وواشنطن لاستئناف عملية نقل الفلاشا رغم كل ما حدث .. قال اللواء عمر الفاتح :

— لا يصح أن تكرر ماقلته في مؤتمر الصافية حتى لايقال إنك تروج اقاويل ضد الرئيس ..

قال الفاتح :

— وإذا سألتني أى شخص ماذا اقول له ؟

قال اللواء عمر :

— رغم أنك دافعت عني لكن ماكان يجب أن يصدر منك ماحدث في مؤتمر « الصافية » خاصة انك تعلم أن من تحدثت معهم هم من جماعة الاخوان . ورغم الروح الودية التي سادت هذا اللقاء بين اللواء عمر والعقيد الفاتح إلا أن الفاتح لم تتغير مشاعره بسبب استمرار اعتقال اقاربه .

كما احدث اذاعة نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل قلقا داخل جهاز أمن الدولة السوداني ، أحدث ايضا انعكاسات في الصحافة العربية والعالمية ، وتسابقت الصحف في الكشف عن تفاصيل عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل ، كل صحيفة تكتب حسب رؤيتها فالصحف الغربية الموالية للصهيونية تكتب مدافعة عنها ومشيدة بدور الموساد الاسرائيلي ودور الولايات المتحدة الامريكية واطلقت على هذه العملية اسم « عملية موسى » وهو الاسم الحركي الذي اختارته الوكالة اليهودية بيما استخدم جهاز الأمن السوداني اسم « عملية الشرق » .. وراحت هذه الصحف تكتب القصص التاريخية وغير التاريخية عن قبيلة الفلاشا اليهودية ، ولكن احدا لم يذكر السودان بكلمة خير واثرت عليه الصحف العربية ورسمت صحيفة الرأي الاردنية الرئيس السوداني نميري وقد تحولت العمامة السودانية التقليدية إلى افعى صهيونية تلتف حول رأسه ، وتكررت مثل هذه

الرسومات التي تعبر عن ادانة الرأى العام العربي لتورط الحكومة السودانية في هذه العملية في نفس الوقت الذي خرجت فيه تصريحات المسؤولين السودانيين تنفي كدبا دور السودان في هذه العملية .

وبلغ عدد المقالات التي كتبت في اعقاب هذه العملية خلال شهرى يناير وفبراير في مختلف الصحف العربية والاجنبية نحو ٥٦ مقالا ووصفت مجلة التايم في ٧ يناير ١٩٨٥ العملية أنها انتصار لاسرائيل تشبه إلى حد كبير عملية « عنتيبي » وهى العملية الشهيرة التي قام فيها رجال الموساد الاسرائيلي بهجوم خاطف على مطار عنتيبي الاوغندي لتحرير طائرة اسرائيلية محطوفة .

وقالت الصحيفة إن نحو ١٢ ألف من الفلاشا يوجدون في اسرائيل وآلاف آخرون في طريقهم ، وأن عددهم في اثيوبيا يصل إلى ٢٨ ألف وأن خمسة آلاف منهم قد هاجروا إلى اسرائيل منذ عام ١٩٧٤ حتى بداية العملية في شهر نوفمبر .

وكشفت هذه المقالات عن وجود صحفيين غربيين يعملون لخدمة المخابرات الاسرائيلية كانوا يتابعون العملية في زياراتهم المتعددة للسودان بحجة انهم جاءوا اليها كى يكبوا عن اللاجئين والمجاعة ، ويدلل على ذلك الكاتب البريطاني بارفيت بقوله « إن صحفيين ورجال اعمال استخدموا في هذه العملية وأن اسرائيل لعبت دورا ماديا هاما داخل السودان واثيوبيا وأن عددا من منظمات الاغاثة الدولية العاملة في السودان كانت غطاء لهذه العملية » .

وقالت صحيفة واشنطن بوست لقد توقفت عملية ترحيل اليهود الفلاشا من السودان في الاسبوع الماضي بسبب تسلل اخبارها وخشية السودان من أن تتعرض لموجه من هجوم الدول العربية واثيوبيا بعد أن سمحت لهم بالعبور إلى حدودها تمهيدا لنقلهم إلى دول اوربية ومنها إلى اسرائيل .

كما قالت، الصحيفة إن عمدة القدس تيدي كوليك طلب أن يتوسط القس الامريكى جاكسون لدى حكومتى السودان واثيوبيا للسماح باجلاء بقية اليهود الفلاشا الموجودين هنا بحجة وجود دوافع انسانية كما فعل جاكسون للتوسط لدى الحكومة السورية للافراج عن الضباط الامريكى المعتقل في لبنان ..

وشيثا فشيثا راحت المعلومات تتدفق حول مخطط نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل لتكشف عن دور الولايات المتحدة ومنظمات اوربية مثل شركة الطيران اللجيكية المعروفة

باسم (TRANS EUROPIUN AIRLINES) حيث كتب ريتشارد برنشتاين في صحيفة نيويورك تايمز الصادرة في ١٠ يناير ١٩٨٥ ، أى بعد توقف عملية نقل اليهود الفلاشا من مطار الخرطوم بخمسة ايام قائلا : « اوقفت شركة الطيران البلجيكية نقل اعداد من اليهود الفلاشا الاثيوبيين من السودان إلى اسرائيل نتيجة ضغط من السودان ، ونقلت عن مسئول الشركة بول ديجايتر قوله : « نحن لسنا المسئولين عن ايقاف هذه العملية ، إننا لم نتلق تعليمات محددة من السلطات السودانية بوقف العملية لكنه لم يعد مسموحا لطائرات الشركة بالهبوط في مطار الخرطوم » .

وقالت الشركة في بيان لها إنه تم نقل نحو سبعة آلاف من اليهود الاثيوبيين بهذه الطريقة إلى اسرائيل بعد توقف قصير في اوروبا الغربية .

وكشفت الصحيفة عن علاقة الشركة باسرائيل منذ عام ١٩٧٠ من خلال صاحبها جورج جوتلمان وهو يهودي ، وكانت الشركة قد قامت بنقل العديد من المسلمين السودانيين إلى مكة في موسم الحج وهذا هو السبب الذي أدى إلى أن يقع عليها الاختبار لنقل اليهود الاثيوبيين من « هنجر » الحجاج بمطار الخرطوم إلى اسرائيل .

وكشفت نيويورك تايمز في ٤ يناير ١٩٨٥ عملية نقل اليهود الاثيوبيين ووصفتها أنها عملية انسانية من أجل انقاذهم من المجاعة التي تعم اثيوبيا وذكرت أن عملية نقلهم ظلت تتم في طي الكتمان .

وقال موشى جيلوبيا مدير قسم شؤون يهود العالم في وزارة الخارجية الاسرائيلية أن خطة الحكومة تقوم على نقل آلاف اليهود الذين يعيشون في اثيوبيا لانقاذهم من الاضطهاد والمجاعة التي يعانون منها ، وقال حايم هارون رئيس الوكالة اليهودية للهجرة « إنه من الأهمية أن نرى كيف يبدو منظرهم عند وصولهم وكيف يتغيرون بعد أيام من وصولهم ، ولم يكن موجودا في اسرائيل منهم سوى ٢٠٠ شخص » . وقال إن العملية بدأت منذ عام ١٩٧٧ تحت اشراف مناحم بيغن رئيس الوزراء شخصيا وانهم يحصلون على حق المواطنة بمجرد وصولهم طبقا لقانون العودة .

لم تكشف الصحيفة سر العملية وإن كانت قد اشارت إلى أن هناك شيئا مايجري لنقل يهود اثيوبيا إلى اسرائيل ، أما الصحف الاخرى فقد كشفت العملية على لسان مسئول في الوكالة اليهودية في اسرائيل يدعى « يهودا دومنيتر » تحدث إلى صحيفة مغمورة يصدرها المستوطنون اليهود في الضفة الغربية عندما قال إن عملية اعادة الاخوة اليهود إلى ارض الميعاد

اصبحت على وشك الانتهاء .

وقالت مجلة « جين افريك » في تقرير لها بعددها ١٢٥٤ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٨٥ إن العملية تمت تخطيط اسرائيلي وأن ديفيد كسلر رئيس منظمة رعاية الفلاشا البريطانيين المعروفة باسم (F.W.A.) والتي انشئت عام ١٩٦٨ اوفدت للخرطوم مبعوثين ليحصل على تعهد من السلطات السودانية في مارس ١٩٨٤ إلا أن احدا لم يعرهما أى اهتمام ونتيجة لذلك قامت المنظمة الامريكية ليهود اثيوبيا التي استتت عام ١٩٦٠ والتي يرأسها جتوم بيرحر بارسال مبعوث الى السودان من اعضائها كان قد ولد في الخرطوم وعاش فيها فترة ليست بقصيرة ومرة اخرى التزمت السلطات السودانية تجاهه جانب الحذر لكن البعثة نجحت في اقناع المسؤولين السودانيين بفكرة تخفيف العبء عن السودان بالمساهمة في ترحيل اعداد من هؤلاء اللاجئين ، وبعد مفاوضات مطولة وافق نميري في النهاية على قبول عملية نقل اليهود الاثيوبيين من السودان ، وتقول مجلة جين افريك إنه طبقا لمصادر غربية حصلت السودان مقابل ذلك على اسلحة و ٢٠٠ مليون دولار جمعت من المنظمات اليهودية الامريكية والانجليزية والكندية ولم يكن لنميري بعد ذلك سوى شرطين الأول ألا ينقل هؤلاء اليهود الاثيوبيين مباشرة من السودان إلى تل ابيب والثاني ألا يتم الكشف عن هذه العملية وتظل في طى الكتمان .

هكذا ظلت الصحافة العالمية تكشف اسرار عملية نقل اليهود الفلاشا من السودان إلى اسرائيل بعد افتضاح امرها واذاعته باللغة العربية من اذاعة لندن التي تسمع جيدا في الخرطوم والتي سببت الذعر للقائمين على تنفيذ العملية من ضباط جهاز الأمن السوداني مما حدا بهم إلى ايقافها من جانبهم من قبل أن يصدر الرئيس أو نائبه قرارا بذلك .

لكن هذا الايقاف لم يؤثر في الخطط الاسرائيلية التي خططت لنقل هؤلاء اليهود اليها فلم تكذب تمضي ايام على اعلان توقف العملية حتى سارع شيمون بيريز رئيس الوزراء الاسرائيلي باعلان أن حكومته مصرة على مواصلة عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل رغم جميع الصعوبات ، وكان اذاعة اسرار العملية قد اثار انقساماً داخل البرلمان الاسرائيلي وقدم عضوان اقتراحا بسحب الثقة من الحكومة احتجاجا على نشر انباء العملية .

وقال بيريز « إنه لا الصعوبات الاقتصادية ولا المسافات الجغرافية ولا العقبات السياسية ستحول دون مواصلة شجرة يهود اثيوبيا وأن الحكومة الاسرائيلية ستستكمل عملية نقلهم إلى أن يعود آخر يهودي اثيوبي إلى وطنه » .

ثم قال : « إن اشقاءنا يهود اثيوبيا ينتظرون الهجرة إلى اسرائيل منذ ٢١٠٠ عاما » .

ولم يشأ بيريز أن يكذب العملية وكأن الاعلان عنها كان هدفا تسعى اليه الحكومة الاسرائيلية إذ قال « إنه أعطى الاذن شخصا إلى المكتب الصحفي للحكومة كي يؤكد رسميا وجود هذه العملية بعدما اذاعته اجهزة الاعلام في العالم » وقال « لقد بادرت إلى ذلك لكي اضع الامر في نصابها » .

وكان عدد من يهود الفلاتشا الذين استقروا في اسرائيل قد سيروا مظاهرة من مقر الوكالة اليهودية حتى الكنيست وتركزت مطالبهم في معاقبة الاسرائيليين الذين تسببوا في الاعلان عن عملية نقل اليهود الاثيوبيين من السودان إلى اسرائيل مما ادى إلى توقفها وطالبوا الحكومة الاسرائيلية ببذل كافة الجهود لنقل ١٢ ألف آخرين من اليهود الفلاتشا الذين لازالوا في اثيوبيا .

وسرعان ما نشط الاتصال بين تل ابيب وواشنطن ، ثم بين واشنطن والخرطوم .. من الواضح أن هذه الانصالات اثمرت لدى الرئيس السوداني الذي راح يصرح في شهر مارس أى بعد شهرين من وقف عملية موسى بأن امريكا اذا ارادت أن تأتي لتحمل بقية اللاجئين فليس لديه مانع ، ونشرت صحيفة امريكية تصريح الرئيس السوداني . ومعنى ذلك أن الباب اصبح مفتوحا لعملية ثانية لنقل بقية اليهود الفلاتشا من السودان وكأن الحملة الاعلامية التي نشبت على السودان لم يكن لها اى تأثير لدى الرئيس السوداني .

حمل مستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية تصريح الرئيس السوداني المنشور في الصحيفة الامريكية والتقى باللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن القومي الذي ظل عاجزا نفسه عن تطورات هذه القضية ، يرقبها من بعيد ويمتنع عن المشاركة فيها ، تحدث مستر ميلتون مع اللواء عثمان السيد وابلغه أن السفير الامريكي سيلتقى بالرئيس نميري كي يطلع على الترتيبات الجديدة الخاصة بنقل بقية اللاجئين الاثيوبيين ، فرد عليه اللواء عثمان في اقتضاب أنه من الافضل أن يبحث هذا الموضوع مع الرئيس نفسه أو اللواء عمر مؤثرا أن يظل بعيدا طالما أن رئيس الجهاز اختكر لنفسه حق التصرف في هذا الموضوع وهو يدرك أنه قد يجز كثيرا من المشاكل على السودان وخاصة من الدول العربية ..

ويبدو أن الفاتح عروة بدأ يستشعر الخطر خاصة عد حاديته في الاجتماع الذي عقده

جماعة الاخوان المسلمين بنحى الصافية وآثر هو الآخر أن يبتعد ومن الافضل له أن يبتعد حتى عن الخرطوم نفسها ، لذلك وجد نفسه يتحدث مع اللواء عثمان بعد خروج كل من مستر ميلتون وجيري ويفر قائلًا له : إن اللواء عمر ورطنا في العملية التي انتهت في الرابع من يناير الماضي ويدو أن الرئيس يريد أن نفذ له عملية ثانية .. ثم قال بخدة :

— أنا شخصيا لست مستعدا لذلك . وعليهم أن يحتوا عن ضباط آخرين حتى لو اقتضى الأمر أن يشترونهم من السوق .. حتى الضباط الدين معي سامنهم بعد المأزق الذي وضعنا انفسنا فيه .

ظل اللواء عثمان يستمع إلى الفاتح وهو لا يكاد يصدقه رغم الانفعال الذي كان باديا عليه ثم قال له :

— ادن ماذا تريد يا فاتح ؟..

— أريد أن اسافر إلى بون أو امريكا .. إن اعصابي مضطربة ومنذ سنين لم احصل على اجازة .. اليس من حقي أن احصل على اجازة ..

قال اللواء عثمان :

— سأحدث مع اللواء عمر في ذلك ..

لم تهدأ تحركات ميلتون وجيري ويفر من أجل حث جهاز الأمن السوداني على الاسراع في وضع الترتيبات لتنفيذ العملية الثانية وقد اعطى لقاء الرئيس نميري مع السفير الامريكي الكسندر هوران دافعا لهما في تنفيذ العملية . في هذا اللقاء وافق الرئيس على الاستمرار في نقل اليهود الفلاتسا من السودان شريطة أن يتم ذلك بطائرات امريكية ، ويدو أن الرئيس ابدى موافقته للدحانب الامريكي لكنه لم يكن قد اعطى تعليماته بعد للجهاز الأمن للبدء في التنفيذ لاسباب يقدرها ربما تكون بمثابة ضغط على الجانب الامريكي لدفع مزيد من الاموال إذ أن الاتصالات التي ندلها كل من ميلتون وجيري ويفر مع اللواء عمر الطيب والدكتور بهاء الدين ادريس لم تسفر عن شيء .

كان الدكتور بهاء الدين يطمئن كل من ميلتون وويفر بأنه ابلاغ اللواء عمر بعمل كافة الترتيبات لتسهيل نقل اليهود الفلاشا وعندما يتصل باللواء عمر نجد معاناة في التنفيذ الأمر الذي جعل جيري ويفر يفقد اعصابه ذات يوم عندما حضر إلى اللواء عثمان غاضبا يطلب منه أن يبلغ اللواء عمر بأن الدكتور بهاء يماطل معهم بهدف الحصول على أموال لحسابه

الشخصى واكتفى اللواء عثمان بقوله إن هذا الموضوع يجب أن يحسمه مع الرئيس أو اللواء عمر .

وازاء ذلك بدأ الجانب الامريكى يعيد حساباته ، لماذا المماطلة في التنفيذ من جانب جهاز الأمن طالما أن الرئيس ابدى موافقته على العملية الثانية ، وراح كل من ميلتون وجيري ويمر يخللان الاسباب واخيرا اهتديا إلى مجموعة اعتبارات نقلها إلى الفاتح ، فالرئيس من وجهة نظرهما كان ذكيا عندما طلب نقل اليهود الفلاشا على طائرات امريكية حتى يبعد عن نفسه شبهة المشاركة في هذه العملية ، والدكتور بهاء « يريد أن يأكل » — على حد تعبير ويفر للفاتح — أى يريد الثمن ، أما اللواء عمر فإنه لم يكن قد تسلم بعد مبلغ المائتى مليون دولار الأمر الذي جعل مندوب المخابرات الامريكية يتصل بجنيف طالبا الاسراع في تحويل المبلغ إلى الحساب الخاص « بمشروع النيل الأزرق » في لندن .. وعندما سأل الفاتح ولماذا جنيف ، لماذا لم يتصل مباشرة بواشنطن لتحويل المبلغ .. رد عليه قائلا : إن المبلغ ستدفعه المنظمات اليهودية وليس الحكومة الامريكية ..

من جانب آخر فإن المعدات التي كان جهاز الأمن السودانى قد طلبها من مندوب المخابرات الامريكية لم تكن قد وصلت ، وهذه المعدات عبارة عن اجهزة اتصالات بعيدة المدى للعمل بها في مناطق غرب السودان وعشرة اجهزة اتصال من طراز « هيري » ذات الذبذبة العالية ، والعالية حدا ، وعشرة اجهزة صغيرة بنفس التردد تحمل في اليد ، وبالفعل وصلت هذه المعدات بالاضافة إلى اربعة اجهزة اخرى من طراز « موتوريللا » ذات تردد عال ..

استمر الحال على هذا النحو حتى يوم ٤ مارس عندما وصل جورج بوش نائب الرئيس الامريكى في زيارة للسودان ضمن جولة زار خلالها دولا افريقية اخرى ، وكان مضيفه بطبيعة الحال اللواء عمر الطيب الذي استقبله في المطار وفي المطار القى كلمة وصف فيها الرئيس نميري بالصديق القديم لامريكا واشاد بدور منظمات الاغاثة التطوعية في ايواء اللاجئين ومساعدتهم ، كان مع بوش وفد مكون من ١٣ شخصا ، واكثر من ١٥٠ شخصا آخر من رجال الامن الامريكى ، ومعه وصلت اربعة طائرات من طراز (C. 130) في اليوم التالي للزيارة التقى بالرئيس نميري وسلمه رسالة من الرئيس ريجان يشكره فيها على التعاون ويطلب بتكملة برنامج ترحيل اليهود الفلاشا لأن العدد كبير وهو ٢٥ ألف ولم يتم ترحيل سوى ٦ آلاف منهم ، وعرض بوش امكانية استخدام طائرات الاغاثة في نقل اليهود الفلاشا .

سافر بوش مع الوفد المرافق له لمنطقة القصارف وتفقد مواقع الملاحين تحت ستار انساني حيث حشد معه مصورو محطات التلفزيون الامريكي والاوروبي وحرص على أن يبرز الدور الانساني للزيارة .. كان معه في هذه الزيارة جيرى ويفر وميلتون . وبدأ حيرى ويفر أمام الصحفيين كأنه مسئول عن مشروع امريكي في شرق السودان ، إذ عقد مؤتمرا صحفيا في قاعة مطار كسلا عاصمة الاقليم الشرقي ، وقد حضرت هذا المؤتمر الذي راح يخبى فيه على الاسئلة الخاصة باوضاع اللاجئين وظروفهم ، وعندما سئل عن امكانية سفر هؤلاء اللاجئين إلى دولة اخرى قال نعم يمكن ذلك وقد حدث أن سافر لاجئون إلى دول عربية ، ويقوم مكتب الامم المتحدة باعطائهم وثائق السفر وتأشيرات الدخول من سفارات الدول التي يرغبون السفر اليها . وعندما طرح أحد الصحفيين موضوع ترحيل اليهود الفلانتا من معسكرات اللاجئين نفى أن يكون ذلك صحيحا وقال إن موضوع نقل اليهود الفلانتا قصة لا أساس لها في الواقع وهى من اختراع حيال الصحفيين ، حتى حورج بوش رفض الاجابة على سؤال الصحفيين حول موضوع الفلانتا مرتين الاولى في المؤتمر الصحفي الذي عقده بمطار كسلا قبل مغادرته عائدا إلى الخرطوم ، والثانية في المؤتمر الصحفي الذي عقده بمقرة بالقصر الجمهوري قبل أن يتوجه لحضور حفل الشاى الذي اعده الرئيس نميري في منزله تكريما له .

كان الرئيس في هذه الفترة قد احاطته الكراهية من كل جانب وخاصة من الجنوبيين ومن اساتذة جامعة الخرطوم الذين سلموا رسائل إلى بوش يقترحون فيها وقف المساعدات التي تقدمها امريكا لثميري بسبب تلك القوانين المجحفة التي سميت بقوانين الشريعة الاسلامية وبسبب تدخله في جنوب السودان على غير رغبة السكان هناك ، وكانت امريكا من جانبها قد ضاقت ذرعا بحكم نميري واعلن متحدث امريكي قبل زيارة بوش إلى السودان تجميد المساعدات التي تقدمها امريكا للسودان وقدرها ١٥٠ مليون دولار ، ولم تفلح زيارة بوش للسودان في ازالة هذا القرار ، ولم يقدم بوش سوى ١٥ مليون دولار لشراء بذور ومواد كيميائية لتحسين المحاصيل الزراعية .

كان الرئيس نميري اذن في حاجة الى تحسين وضعه مع حلفائه الامريكيين لذلك لم يعارض رغبة امريكا الاستئناف بنقل اليهود الفلانتا ، وفي حفل الشاى الذي اقامه لنائب الرئيس الامريكي بمنزله ابلغه بأن من الآن اعطى الضوء الاخضر لمساعدته في اجهزة الأمن لتنفيذ العملية الثانية .

وأمام بوش تحدث الرئيس مع اللواء عمر واعطاه التعليمات بالبدء في تنفيذ العملية ، واقتراح بوش أن يقوم اللواء عمر بزيارة سريعة للولايات المتحدة تحت غطاء الحصول على مساعدات غذائية للاجئين ، وهناك يستطيع أن يضع اللمسات الاخيرة على خطة استئناف نقل اليهود الفلاشا .

لم يكن الأمر غامضا بالنسبة اللواء عمر الطيب ، بل أن الخطة كانت تقتضي بأن تقوم طائرات عسكرية امريكية بنقل هؤلاء اليهود من مطار العزازه وهو عبارة عن ارض فضاء لا يصلح لهبوط الطائرات وصعودها بالقرب من معسكرات اللاجئين .. كانت الخطة أن عشر طائرات من طراز « C.130 » ستصل إلى المنطقة محملة بمواد الاغاثة ثم تقوم بحمل اليهود الاثيوبيين معها .. دون أن يعرف أحد حقيقة المهمة التي تبدو في مظهرها مهمة انسانية واعطيت التعليمات إلى قيادة القوات المسلحة بأن هناك طائرات امريكية عسكرية ستصل مطار العزازه محملة بمواد الاغاثة وأن على سلاح الجو السوداني والقوات المسلحة الا تتعرض لها وأن عملها سيكون تحت اشراف جهاز الأمن ..

وبعد مغادرة جورج بوش الخرطوم اعدت الترتيبات لسفر اللواء عمر محمد الطيب إلى امريكا لمراجعة الخطة مع جهاز المخابرات الامريكية بعد أن اعطى الرئيس الضوء الاخضر لتنفيذ العملية في حفل الشاي الذي اقامه في منزله لجورج بوش .



الفصل السادس

في مقر رئاسة المخابرات المركزية الامريكية

غادر جورج بوش نائب الرئيس الأمريكي الخرطوم صباحة السابع من مارس ١٩٨٥ مطسنا إلى أن الاعداد المتقية من اليهود الاثيوبيين والموجودين في معسكرات اللاجئين شرق السودان سيتم ترحيلهم كالفارين إلى اسرائيل . وكان الرئيس السابق جعفر نميري قد اعطى الاوامر لجهاز أمنه بتنفيذ العملية اثناء زيارة بوش وشرطه الوحيد أن يتم نقلهم على طائرات امريكية . ورغم أن الخطة كانت معدة من قبل إلا أنه اتفق على أن يقوم اللواء عمر الطيب بريارة خاطفة إلى واتسطن للمشاركة في وضع اللمسات الاحيرة عليها ، وطلب المزيد من العون المالي .. وكان هاك تفسير يمكن أن يقال حول هذه الزيارة وهو أنه سافر إلى واشطن لترتيب الزيارة التي سيقوم بها الرئيس إلى امريكا يوم ٢٧ مارس رغم أنها كانت زيارة خاصة ، وهذا ما اعلته وسائل الاعلام السودانية حول الزيارة الخاطفة لرئيس جهاز الأمن السوداني ..

الواقع أن اللواء عمر قام بدور مع كل من مستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية وزميله حيري ويفر لتسهيل العملية الثانية لترحيل اليهود الاثيوبيين حيث نصحهم بأن من الافضل أن يخلصا من الرئيس على موافقة اثناء حفل الشاي الذي سيقومه لجورج بوش وقد نحوا في ذلك .

كانت الخطة أن تتم العملية الثانية بطائرات عسكرية امريكية من مطار العزازه في القضايف وافقت الحكومة الامريكية على ذلك كما تم الاتفاق على أن يقوم اللواء عمر بزيارة إلى امريكا لمقابلة مستر وليم كيس مدير المخابرات المركزية الامريكية للاتفاق على الترتيبات النهائية .

التقى جيري ويفر مع موسى اسماعيل بعد مغادرة جورج بوش وشرح له ماحدث في حفل الشاي واعرب موسى عن دهشته لسفر اللواء عمر لأن كل شيء متفق عليه بما في ذلك تفاصيل خطة الترحيل واقعه ويفر بأهمية الزيارة وذكر له أن الامور تسير حسب الخطة ..

ثم قال له : واكثر من هذا فإنك يا موسى قد وقع عليك الاختيار لترافق اللواء عمر في هذه الزيارة وسيسافر معكم مستر ميلتون وأن العملية ستتم في نهاية الاسبوع الثالث من شهر مارس بالتحديد يوم ٢٢ مارس ، وأن كل شيء اصبح جاهزا الآن ولم يبق إلا نقطة واحدة وهي هل ستمون هذه الطائرات بالوقود من مطار الخرطوم أم من مكان آخر .

لم ينس حيري ويفر أنه يتحدث مع موسى في موضوع يشغل بال اللواء عمر وهو يعرف تماما بحكم خبرته في مثل هذا النوع من العمل أن مايقوله سيصل إلى اللواء عمر

مباشرة .. خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بالمال ، فقبل أن يهتم بالانصراف عاود الحديث مع موسى قائلا :

— أود أن أبلغك قبل أن انصرف أن كل الترتيبات اتخذت مع جنيف لتوريد مبلغ الاثنى عشر مليون دولار لحساب اللواء عمر في لندن .

— جنيف ! .. سويسرا ، ولماذا لم تحول من امريكا ..

هكذا جاء رد فعل موسى مندهشا واكمل متسائلا :

— هل تحتفظ الحكومة الامريكية بحساباتها هي الاخرى في سويسرا .. ؟

ابتسم جيري ويفر وقال :

— هذه المبالغ لم تدفعها امريكا وإنما دفعتها المنظمات اليهودية التي تعمل في برنامج اعادة توطين اليهود .

اصبح كل شيء إذن ممهدا للجولة الثانية لترحيل اليهود الفلاشا ، وبدأ اللواء عمر يستعد للسفر إلى الولايات المتحدة الامريكية .

لكن ماتحدث به الفاتح عروة لجماعة الاخوان المسلمين في مؤتمر الصافية اصبح يقلقه .. شيء ما في داخله جعله يخشى من الفاتح وتوصل في نهاية الأمر إلى حسم هذا القلق بأن يسعى إلى كسب هذا الضابط الشاب إلى صفه ويبيعه عن العملية الثانية فاصدر تعليماته بالسماح لسفر الفاتح إلى بون وامريكا ليحصل على تدريب في الكمبيوتر ورخصة الطيران من امريكا حسب رغبته في ذلك . واكثر من ذلك طلب من اللواء عثمان السيد أن يرسل له الفاتح في بيته كى يهدىء من خاطره .. وبالفعل توجه الفاتح إلى منزل اللواء عمر للقاء مرة ثانية .. يقول الفاتح عن هذا اللقاء :

« قابلت اللواء عمر وصليت معه المغرب ، وفي هذا اللقاء قال لي لعلك تعرف أن سيرة الاخوان ليست طيبة ، واولاد عمك هؤلاء ابناي ولابد أن يعاملوا كغيرهم وكرر لي القول بإنه ماكان يجب أن اتحدث عن موضوع الفلاشا في مؤتمر الصافية رغم أنك دافعت عني ..

وفي هذا اللقاء أبلغه الفاتح عروة رغبته في السفر إلى بون ، ووافق على اعطائه تذاكر السفر من حساب جهاز الأمن .

جرى هذا اللقاء قبل سفر اللواء عمر إلى امريكا بيوم واحد ، وكان الفاتح عروة يعلم بأن هناك عملية ثانية ستم لنقل ما بين ٨٠٠ و ٩٠٠ شخص من اليهود الفلاشا من مطار

العزاة بالقضارف بواسطة طائرات حربية امريكية .. كانت المشكلة الوحيدة التي يعرفها هل سيتم تمويل هذه الطائرات من مطار الخرطوم المدني أو مطار وادي سيدنا العسكري يذكر أنه التقى بزميله العقيد موسى اسماعيل الذي اخبره بأن مسألة تمويل الطائرات وجد لها حل واتخذت كل الترتيبات بشأنها ، وابلغه أنه متردد في السفر مع اللواء عمر إلى امريكا ويريد أن يعتذر عن هذه المهمة فصحه الفاتح قائلا « لاتدخل مع هؤلاء الناس في مشاكل فإن عليك أن تنفذ التعليمات » ..

في يوم ١٨ مارس غادر اللواء عمر الخرطوم إلى واشنطن في طائرة عسكرية امريكية حاصة بناء على طلبه ، كان معه وفد يضم العقيد موسى اسماعيل والعقيد صلاح دفع الله مدير مكتبه ومستر ميلتون مندوب المخابرات الامريكية في الخرطوم .

امضى اللواء عمر نحو ٣٦ ساعة فقط في واشنطن التقى خلالها بمفرده مع مستر كيسى مدير المخابرات الامريكية لمدة عشر دقائق في الوقت الذي كان يجلس فيه الوفد في مكتب السكرتيرة ، ثم عقد اجتماع مع الوفد وعدد من الطيارين العسكريين الامريكيين في غرفة حاصة داخل مبنى جهاز المخابرات الامريكية المركزية ..

عند دخول الوفد إلى المبنى اتخذت بعض الاجراءات .. دخلت السيارة التي يستقلها عمر الطيب في ممر تحت الأرض طوله نحو كم واحد لتقف أمام مصعد إلى الدور الثاني حيث يوجد مقر مستر كيسى ، وضعت على صدور اعضاء الوفد شارة تحمل اسم « زائر Visitor » أما مستر ميلتون فقد وضع على كتفه اشارة « C.I.A » وهى عبارة عن رقمه وصورته .

لم يكن المكان غريبا على عمر الطيب فقد سبق أن زاره اكثر من مرة ولم يكن غريبا على العقيد موسى حيث سبق أن زاره مرتين الاولى عام ١٩٨١ والثانية عام ١٩٨٤ لتلقى التدريب مع محاضرات وتدريب في عمل المخططات السرية الخارجية ومكافحة النشاط الارهابي ..

اقترح اللواء عمر تأجيل العملية اسبوعا لكن الجانب الامريكي رفض هذا الاقتراح لانهم اتخذوا كافة الاجراءات ، وأن هذه الفكرة يمكن بختها مع مستر كيسى في اجتماعه معه ..

في اليوم التالي جاء مستر ميلتون في الصباح وقال سوف نذهب إلى رئاسة « السي آى ايه » وأن اللواء عمر سيلتقي مع مستر كيسى وسيعقد اجتماع تنويري .

بعد تناول الافطار خرج الجميع عمر الطيب وميلتون وموسى اسماعيل وصلاح دفع الله وركبوا سيارة واحدة إلى رئاسة الـ C.I.A وعندما وصلت السيارة إلى مقر المبنى اختفت في مدخل هو عبارة عن نفق تحت الأرض .. وهو المدخل المخصص لدخول مدير الجهاز فقط ، وانهر به عمر الطيب وطلب أن يصمم مبنى جهاز الأمن السوداني الجديد هكذا .. وكان عمر الطيب قد قال بناء على اقوال العقيد موسى إنه سيطلب مساعدة امريكية لبناء الجهاز الجديد مقابل التسهيلات التي قدمها لهم في عملية نقل اليهود الفلاشا .

يتحدث العقيد موسى اسماعيل عن هذه الزيارة المثيرة فيقول :

« نزلت السيارة في نفق تحت الأرض ، نزلنا من السيارة ودخلنا المصعد الذي يستخدم فقط لمستمر كيسى ، طول النفق من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ متر ، سعدنا ودخلنا احدى المكاتب واعطونا اشارات مكتوب عليها Visitor أى (زائر) ، أما ميلتون فمعه اشارة مختلفة عبارة عن صورته ورقمه وعلقها على صدره اخبرهم ميلتون بأن اللواء عمر سيقابل مستر كيسى بمفرده ، أما بقية اعضاء الوفد فدخلوا مكتبا جانبيا فيه سكرتيرة وتركهم ميلتون وخرج ، ثم عاد ليخبرهم أن هناك اجتماعا تنويريا سيعقد .. استغرق الاجتماع نصف ساعة .. دخلنا غرفة كان موجودا بها عدد كبير من ضباط سلاح الطيران الامريكي ومعهم نفس الشخص الذي استقبلنا في المطار ، وعندما وصلنا المكتب وقعت أعيننا على خريطة مصورة يبدو أنها ملتقطة من الجو مكتوب عليها اسم « القصارف » ثم قدم الرجل الذي قابلناه في المطار اللواء عمر الطيب وجلسنا في شكل اجتماع ، أخرج اللواء عمر تقريرا من حيبه مكتوبا باللغة الانجليزية وراح يقرأ منه ، وكان عبارة عن مشروع خطة لنقل اليهود الفلاشا من مطار بورسودان أو مطار الخرطوم ، والثالث عن طريق مطار العزارة بالقصارف ، ورجحت الخطة أن يتم النقل عن مطار العزارة وقال :

الطائرات العشر المقترح وصولها أرى أن تأتي مع أول ضوء في الصباح وأن يكون الفاصل الزمني بين كل طائرة وطائرة نصف ساعة ..

ثم انتقل الحديث حول طريقه تموين الطائرات ووجدوا لها حلا وهي أن تمون في مطار الخرطوم بإشراف السفارة الامريكية .

لم يكن هناك مناقشة طويلة ، كان اللواء عمر يتحدث وهم يسألون ، واستغرق ذلك نحو ربع ساعة .. وكان عدد الضباط في الاجتماع ٦ ضباط أعمارهم فوق الاربعين وهذا يعنى أنهم ضباط كبار وعلى اكتافهم نجمة واحدة أو نجمتين ، كانوا جبرالات .

في مساء نفس اليوم كان فيه دعوة عشاء من وزير الدفاع وفي اليوم الثاني كان مدعوا للافطار مع بوش بمفرده وغادروا واشتغل في نفس اليوم بطائرة حربية امريكية من طراز « C.140 » داخلها كانت توجد كبسولة من التي تخصص لكبار الشخصيات « V.I.P » والكبسولة تدخل الطائرة مثل « كونتير » ، وهي ايضا لا يستعملها إلا رئيس الجهاز وهي عبارة عن قسمين قسم به اللواء عمر والثاني لبقية الوفد وهي نفس الطائرة التي جاء فيها ، نزلت الطائرة في قاعدة حوية ، في اوروبا ، ووصلوا الخرطوم يوم الاربعاء ٢٠ مارس .

في الصباح استدعى اللواء عمر الطيب العقيد موسى وبينا كان ينتظر الاذن بالسماح له بالدخول كان مستر ميلتون محتما مع اللواء عمر وعندما خرج التقى بالعقيد موسى فحياه وطلب منه أن يقابله فيما بعد .

في هذا اللقاء اخبر اللواء عمر العقيد موسى بأن الطائرات الامريكية ستصل غدا الخميس إلى مطار العزاة بالقضارف محملة بمواد تموينية للتمويه ستنزلها لتقل الفلاشا ، وكان ميلتون قد ابلغه أن العدد الذي تم حصره هو ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا ، كما ابلغ العقيد موسى بأن الجانب الامريكي اعد كل شيء في مطار العزاة وأنه اتصل بوزير الدفاع والقائد العام الفريق عبد الرحمن سوار الذهب واخبره بأن طائرات من طراز (C.130) ستصل غدا القضارف تحمل موادا تموينية وسيكون جهاز الأمن مسئولا عنها وطلب منه أن يبلغ قائد منطقة القضارف ، ثم قال للعقيد موسى :

— عليك الآن يا موسى أن تتصل بوحدة أمن القضارف كي يقوموا بتأمين مطار العزاة واعداد الناصات لينقلوا جماعات الفلاشا من المعسكرات إلى المطار بناء على طلب الامريكيين ، عليك إذن أن تعد سائقين مهرة يقودون هذه الباصات وتكون معهم مجموعات للحراسة بكل مجموعة احد الضباط ، أما أنت فاذهب إلى القضارف مع مستر ميلتون الذي سيتوجه إلى هناك بعد الظهر بطائرة الجهاز .

انتهى اللواء عمر من اصدار تعليماته ثم اردف قائلا :

— عليك ألا تنسى يا موسى أن هذه العملية تتم بناء على تعليمات الرئيس ولعلك تذكر تصريح الرئيس الذي قال فيه اى دولة تريد ان تنقل اليهود الفلاشا فلتأتي لتنقلهم . في نهاية اللقاء لم ينس اللواء عمر أن يوجه تعليماته إلى العقيد موسى بأن عليه بمجرد

عودته من القضايف بعد اتمام العملية أن يمر عليه في المنزل مهما كان الوقت متأخر ليعرف منه كيف سارت العملية .

بعد ذلك جرى لقاء بين العقيد موسى ومستمر ميلتون اتفقا فيه على أن يلتقيا في مقر جهاز الأمن السوداني الساعة الثانية والنصف غدا ليتوخوا بطائرة خاصة إلى القضايف في الساعة الثالثة وطلب منه أن تكون الباصات على اهبة الاستعداد ابتداء من الساعة الثانية عشرة مع منتصف الليل .

لم يكن امر هذه العملية سرا على العاملين في جهاز الأمن السوداني خاصة اولئك الذين سبق أن اشتركوا في العملية الثانية مثل الرائد فؤاد بندر والمقدم دانيال وكان الرائد بدر يعرف بالعملية قبل حدوثها .

يقول الرائد فؤاد بندر :

في يوم ١٢ مارس كنت مكلفا بمهمة بالقضايف تتعلق بحركات التحرير وليس اللائحين ، فذهبت إلى العقيد موسى واخبرته بأني في طريقي إلى القضايف فقال لي إنه ذاهب مع اللواء عمر إلى امريكا واخبرني أنه فهم من الفاتح عروة أن الغرض من الزيارة هو عملية خاصة باستكمال نقل اليهود الفلاشا من مطار العزارة بطائرات امريكية واخبرني العقيد موسى إنه ليس متحمسا للسفر في هذه المهمة ، ثم اخذت منه الاذن بالتحرك يوم السبت إلى القضايف للمهمة التي كنت مكلفا بها ثم تأجل سفري يومين فسافرت يوم الاثنين ١٧ مارس وهناك التقيت بالمقدم دانيال ورددت له ماسمعته بأن هناك عملية اخرى ستم وفوجئت بدانيال يقول لي :

— لقد سمعت هذا من قبل .. فقد ابلعني نيكولا الذي يعمل مع جييري ويفر بأمر هذه العملية .

لم يكن أمر هذه العملية التي عرفت بعملية « سبا » غريبا اذن على العاملين في وحدة أمن القضايف أو مكتب شئون اللائحين بالسفارة الامريكية ، وسرعان ماجاءت البرقيات إلى القضايف من الخرطوم تعلن عن وصول العقيد موسى إلى مطار العزارة في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ، وكان على كل من الرائد بندر والمقدم دانيال أن يتحركا إلى المطار ليكونا في استقبال العقيد موسى بعد ظهر يوم الخميس ، وفي المطار فوجئنا بشيء لم يكن لهما به علم وكان الأمر غريبا عليهما إل حد انهما شعرا بانهما غريان في منطقة عملهما إذ وجدوا نحو عشرة رجال من الاجانب يقومون بتركيب اجهزة اتصال وهوائي

(ايربال) .

سأل دانيال نيكولا الذي كان معهما بالمطار ينتظران وصول العقيد موسى :
— كيف جاء هؤلاء الناس هنا ..

قال نيكولا :

— هؤلاء وصلوا في الساعة الحادية عشرة صباح اليوم على دفعتين في طائرة

صغيرة ..

لم يفعل كل من الرائد بندر ودانيال شيئا ازاء هذه المفاجأة وإنما راحا يرقبان هؤلاء الاجانب وهم يقومون بعملهم في تركيب اجهزة الاتصال إلى أن وصلت طائرة جهاز الأمر السوداني في الساعة الرابعة والربع ونزل منها العقيد موسى ومعه بعض الاجانب لم يعرف منهم إلا مستر ميلتون ..

اجتمع العقيد موسى بهما وشرح لهما المهمة قائلا :

هناك طائرات ستصل في الساعة السادسة صباحا تحمل مؤننا وستنقل بقية مجموعات الفلانتا الموجودين في معسكر تواوا وأن الباصات ستصل الساعة الحادية عشرة لتنقل اليهود الفلانتا من المعسكر إلى المطار في الساعة الثانية عشر ليلا .

كان العقيد موسى قد قام ببعض الاجراءات قبل وصوله إلى القضايف اتصل بالمقدم دانيال وطلب منه أن تقوم وحدة الأمر بتأمين المطار ثم توجه للواء كريم رئيس هيئة الادارة وطلب منه أن يقوم باعداد الباصات التي سبق أن اشترت لقل اليهود الفلانتا من القضايف إلى الخرطوم في العملية الأولى وطلب تزويدها بالجارولين ثم اشرف على اعداد سائقين من فرع التحرر واللاجئين الذي يرأسه وكلف ضابطا صغيرا يدعى اسامه بأن يرافق الباصات والحرس ويتحرك بها في الساعة الخامسة لتصل إلى القضايف مع منتصف الليل ، ثم التقى بمستر ميلتون في نفس الموعد المحدد الساعة الثانية والنصف واستقل معه طائرة جهاز الأمن إلى مطار العزاة بالقضايف وعندما وصل هناك وجد دانيال ونيكولا في استقباله كما وجد عددا من الضباط والفنيين من سلاح الطيران الاميركي بزيهم الرسمي يقومون بتركيب اجهزة الاتصال وكان معهم ثلاثة من السفارة الامريكية . وتعرف عليهم عن طريق مستر ميلتون وكان واحدا منهم برتبة عقيد (كولونيل) قدمه له مستر ميلتون على أنه مسئول عن ادارة العملية ..

هكذا كانت تتم الترتيبات بعيدا عن القوات المسلحة التي كان يتم ابلاغها بأن هذه الطائرات تقوم فقط بنقل مواد الاغاثة للاجئين ، ولم تتلق قيادة الجيش أى معلومات رسمية تفيد بنقل يهود الفلاشا وكان الفريق أول عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب قد عين في شهر مارس عام ١٩٨٥ قائدا عاما ووزيرا للدفاع ، وفي تلك الفترة كانت عمليات الجنوب العسكرية تتصاعد من قبل الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعماء العقيد الدكتور جون جارنج . يقول الفريق عبد الرحمن سوار الذهب إنه في ١٦ مارس ١٩٨٥ بعد انتهاء زيارة جورج بوش نائب الرئيس الامريكى وقبل زيارة اللواء عمر الطيب إلى امريكا اتصل به الرئيس السابق نميري تليفونيا مستفسرا عن تطور العمليات في الجنوب وكانت القيادة المسلحة تبلغ الرئيس كل يوم عن هذه التطورات وفي اليوم التالي اتصل به مرة اخرى سائلا عن احداث الجنوب لكن هذه المرة اضاف الرئيس عبارة جديدة عندما قال ..

— إن هناك طائرات امريكية تحمل مواد اغاثة ستصل المنطقة الشرقية « وأن اللواء عمر ورجاله سيتولون امرها » ..

لم يناقش الفريق سوار الذهب الامر وتلقاه كحقيقة مسلم بها وأن عليه أن يبلغ قيادة اللواء الرابع في القضايف بالمنطقة الشرقية بوصول هذه الطائرات التي تنقل مواد اغاثة للعلم فقط حتى لايفاجأوا بها كقوات مسلحة .

ومضى الفريق سوار الذهب في روايته قائلا : إنه تلقى مكاملة تليفونية من اللواء عمر لم تكن مكاملة عادية ولم يكن صوت اللواء عمر على التليفون هادئا كعادته وهو يقول للقائد العام للقوات المسلحة :

— ماذا ستفعل في هذه « البلاوي » التي وقعنا فيها ..

وفوجئ الفريق سوار الذهب وتوقع أنه سيسمع اخبارا مزعجة عن الجنوب فاحتفظ بهدوئه وسأل :

— بلاوي ؟ .. ماهى تلك البلاوي ؟ ..

— البلاوي الخاصة باللاجئين !

— ماذا حدث ؟

قال اللواء عمر :

— أليس عندكم خبرا بطائرات قادمة تنقل الفلاشا ..

رد الفريق سوار الذهب :

— والله ماعندنا أى خبر ولا يوجد هناك سبب يدخلنا في هذا الموضوع ..
وانتهت المحادثة التليفونية .. لكن اللواء عمر اتصل به في اليوم التالي ليتحدث في نفس الموضوع قائلا :

— ألم يتحدث معك الرئيس بأن هناك طائرات امريكية قادمة ستحمل لاجئين ؟ رد الفريق سوار الذهب باقتضاب :

— لا .. الرئيس ابلغني أنها طائرات قادمة تحمل معها موادا للاغاثة .

وانتهت المكالمة الثانية التي حرت يوم ١٩ مارس ١٩٨٥ أى بعد وصول اللواء عمر من امريكا مباشرة .

رغم ذلك فإن اللواء عمر ينظر إلى المسألة من زاوية ما سيتحقق من فوائد مادية والحصول على مساعدات امريكية .. سواء كانت هذه المساعدات شخصية أو لحل المشاكل الاقتصادية للسودان ..

« يقول عندما جاء جورج بوش إلى السودان في مارس ١٩٨٥ تفقد احوال المواطنين الذين اصابوا بالجفاف والتصحر والجحاعة وكذلك احوال اللاجئين وكنت مضيفه بحكم منصبى فسافرت معه إلى معسكر ود شريفى بالقرب من كسلا حيث يوجد لاجئون اثيوبيون كما سافرت معه إلى الأبيض عاصمة اقليم كردفان .. أحضر بوش معه خطابا من الرئيس الامريكى ريجان إلى الرئيس السابق يشكره ويشيد بالتعاون بين البلدين ويطلب منه أن يستأنف برنامج ترحيل اللاجئين إلى امريكا »

اخبرنى الرئيس بعد ذلك ووافق على ترحيل الدفعة الثانية بشرط أن يرحلوا بطائرات امريكية وتحت المسئولية المباشرة للولايات المتحدة الامريكية للتأكد من سلامة وصول هؤلاء اللاجئين إلى امريكا وليس إلى بلد آخر خاصة اسرائيل ..

يقول اثناء نقاشي مع نائب الرئيس الامريكى تطرقنا إلى الحل الجذري لاعادة المواطنين الذين اصابهم التصحر خاصة في دارفور وايضا احتياجات الاقاليم الاخرى وتمويل مشروع برنامج الانعاش الاقتصادي في ظل حل مشكلة الجنوب وهو مبلغ ٥ مليون دولار يستخدم في برنامج دعم الجنوب اقتصاديا وتلبية احتياجات السودان من الذرة بما قيمته ٥٠ مليون دولار وكنا بحاجة إلى ٤ مليون أخرى وليس لدينا العملة الصعبة .. ذكرت ذلك كله لبوش فقال إن هذه الاشياء تتطلب حضورى شخصيا لبحثها مع الادارة الامريكية قبل سفر الرئيس السابق .

الفصل السابع

طائرات الصباح المبكر

بدأ تنفيذ العملية التي عرفت بعملية سبأ ليلة الجمعة ٢٢ مارس ١٩٨٥ .. وصل العقيد موسى اسماعيل ومعه مستر ميلتون وآخرون إلى القضايف بعد ظهر يوم الخميس على طائرة جهاز الأمن السوداني بينما كان ١٢ شخصا من ضباط الاتصال الأمريكيين يقومون باعداد اجهزة الاتصال ليرتبطوا مباشرة مع واشنطن وانتظر الجميع وصول الباصات مع منتصف الليل لنقل ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا من معسكر تواروا إلى المطار . بينما عاد ميلتون في نفس الليلة إلى الخرطوم وبقي هناك العقيد موسى ومعه المقدم دانيال والراند فؤاد بندر وموظفي مكتب شئون اللاجئين ومن بينهم نيكولا وامريكيون آخرون . وقد اقضى هؤلاء ليلتهم في المنزل الذي كانت السفارة الامريكية قد استأجرته لتنفيذ العملية الاولى ودفعت ستة اشهر مقدما من ايجاره .

سأل العقيد موسى المقدم دانيال عن حالة الأمن العامة فطمأنه لكنه تذكر شيئا ذلك أنه لاحظ وجود صحفي امريكي موجود في معسكر تواروا ويختلط بافراد الفلاشا وتذكر ايضا أن نيكولا الموظف بمكتب شئون اللاجئين الامريكي ابلغه أنه شاهد هذا الصحفي يذهب إلى المطار مرتين ، وأن وجود هذا الصحفي قد يضر بسرية العملية ..

استمع العقيد موسى بانتباه إلى ما يحكيه دانيال عن الصحفي الامريكي ف شعر بأن شيئا ثقيلا يجثم على صدره وأن كل شيء سيفتضح امره كما حدث في العملية الأولى فاصدر تعليماته إلى دانيال بأن يتوجه إلى هذا الصحفي اينما كان ويتحفظ عليه إلى أن تنتهي العملية تماما في محاولة لاختفائها عنه تماما ، وهذا ما حدث ، تم التحفظ على الصحفي في احد المكاتب التابعة لجهاز الأمن بالقضايف ولم يفرج عنه إلا قبل ظهر اليوم التالي . وكان هذا الصحفي هو « شارلز باورز » مندوب صحيفة « لوس انجلوس تايمز »

الذي كان أول من كشف تفاصيل هذه العملية التي عرفت بعملية سبأ ..

اطمأن رحلا الأمن السوداني إلى ذلك فتوجهوا إلى المطار ثم اصدرا تعليماتهما إلى فؤاد بندر ومعه نيكولا لاصطحاب الباصات والتوجه بها إلى معسكر تواوا لاحتضار الفلاشا ..

يقول فؤاد بندر « عندما توجهت الباصات إلى معسكر تواوا وجدت مجموعات الفلاشا في نفس الموقع السابق الذي تجمعوا فيه أثناء تنفيذ العملية الأولى ، وقد جمعوا على شكل مجموعات تضم كل مجموعة نحو ٩٠ فردا ومعهم ثلاثة من الأمريكيين يقومون على حراستهم ، ثم قامت الباصات بنقلهم إلى المطار على دفعتين ، وقد اعد الطريق من المعسكر إلى المطار اعدادا جيدا حيث وضعت عليه علامات طريق عبارة عن نقاط مضيئة على جانبي الطريق حتى لاتتوه السيارات في تلك المنطقة المنفرة أثناء الليل ..

عندما اقترب الوقت من الساعة الخامسة قام الأمريكيون الثلاثة الذين يرتدون الملابس العسكرية ومعهم نيكولا وقد أمضوا الليل كله بالمطار في تقسيم افراد الفلاشا إلى خمسة مجموعات كل مجموعة تضم ٩٠ فردا ، واستغرقت هذه العملية عدة ساعات وماهى إلا دقائق حتى ظهرت في الجو أول طائرة أمريكية عسكرية وعند ظهورها اطلق احد الضباط الأمريكيين طلقة مضيئة من مسدسه اشارة للطائرة بالهبوط ولم يكن بالمطار أى نوع من الخدمات الجوية فالمكان اصلا غير معد ليكون مطارا يستقبل الطائرات ولكنه مجرد ارض فراخ في منطقة بالقرب من القضايف اسمها العازة . هبطت الطائرة واستقرت على الأرض .. طائرة عسكرية من طراز « C.130 نزل منها عدد من الجنود الأمريكيين المسلحين بزيهم الرسمي وهو زى قوات الصاعقة ، ثم انزلوا حمولة الطائرة وهى المؤن التي حملوها معهم للاجئين للتمويه وهى عبارة عن صناديق مياه مكتوب عليها « مياه الربيع » واكياس من السكر والدقيق واجهزة اطفاء حريق وقطع غيار للطائرة منها ثلاث عجلات كما انزلوا منها ٢ موتوسيكل ثم قاموا على الفور بعد انزال هذه الاشياء بمساعدة المجموعة الأولى من الفلاشا كى تصعد الطائرة ، ثم اغلقت الطائرة ابوابها وغادرت المكان في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الطائرة الثانية في الجو التي هبطت على ارض المطار لتنزل كميات اخرى من اكياس السكر والدقيق وتحمل مجموعة اخرى من الفلاشا . ولم تكن الطائرات تحمل مؤنا سوى الطائرة الأولى والثانية لم تمض ثلاث ساعات حتى كانت الطائرات الخمس قد حملت ٤٥٠ فردا من اليهود الفلاشا ، أما الطائرة السادسة الاخيرة فقد حملت معها مجموعة العسكرين

الذين وصلوا على الطائرة الاولى والثانية وقطع العيار ، واجهزة اطفاء الحريق ، وفي الساعة التاسعة والنصف بدا المطار خاليا تماما من الامريكيين والطائرات وافراد الفلاشا وعلى ارضه تناثرت اكياس السكر والدقيق وبقايا من زجاجات المياه التي كان افراد الفلاشا قد شربوا كثيرا منها نقلت هذه الاكياس وكان عددها ١٥٠ كيسا إلى مكاتب جهاز الأمن ولم يتم توزيعها على اللاجئين لقلتها فوزعت على السائقين وصغار الموظفين من جهاز الأمن ومكتب شئون اللاجئين .

وهكذا في وقت قصير تم تنفيذ العملية الثانية بنقل ٤٥٠ شخصا من اليهود الفلاشا من مطار العزاة بالقضارف شرق السودان وهى العملية التي عرفت بعملية سبأ .

كان العقيد موسى اسماعيل قد غادر المطار بعد انتهاء العملية مع الطائرة الاخيرة التي اقلت معها الامريكيين إلى الخرطوم ، وكان عليه أن يتوجه فور وصوله إلى منزل اللواء عمر ليقدم له تقريراً شفهيًا بتفاصيل العملية لكنه آثر أن يذهب إلى منزله ويستريح خاصة أن اليوم كان يوم جمعة وهو يوم الاجازة الاسبوعية وإنه لم يكن قد ذاق طعم النوم في الليلة السابقة وغدا السبت يستطيع أن يذهب إلى اللواء عمر .

عندما فتح له الباب استقبله اللواء عمر بعاصفة من اللوم والتأنيب عن سبب تأخره في الاتصال به وسأله :

— لماذا لم تأت إلى مباشرة امس ؟ ألم اقل لك أن تأتى إلى البيت وتشرح لى ما حدث ؟ قال العقيد موسى :

— سعادتك .. نحن ساهرون طوال الليل وكان على ان استريح قبل أن آتى اليك . صاح اللواء عمر محتدا :

— وهل تعتقد انكم كنتم ساهرين الليل بمفردكم ، لقد كنت ساهرا معكم بمسبحتي هذه .

بعد هذه المقابلة العاصفة شرح العقيد موسى للواء عمر كيف تمت العملية بالتفصيل ، وكيف نزلت الطائرات العسكرية الامريكية وعددها وعدد اللاجئين الذين تم نقلهم والمواد التموينية التي احضرت وقال له إنه لم يسلمها إلى معتمد اللاجئين لقلتها فتركها لصغار الموظفين والسائقين كما شرح له قصة الصحفي الامريكي وكيف تم التحفظ عليه حتى اقلعت آخر طائرة .

كان من المقرر في هذا اليوم أن يشهد اللواء عمر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي ، وكانت اخبار الجنوب الدامية وانباء كوارث المجاعة تتوالى على العاصمة

فيقف امامها المسئولون عاجزين يضاف اليها تدهور الاوضاع الاقتصادية وارتفاع الاسعار وازدياد حركة الاعتقالات ضد السياسيين سواء في الجنوب أو الشمال كان الجو العام يحمل نذر الخطر على النظام في السودان ، وكان الرئيس السابق نميري يستعد للسفر إلى امريكا بعد خمسة ايام من نقل يهود الفلاشا التي تمت من مطار العازة بتخطيط من المخابرات الامريكية وسلاح الجو الامريكي .

لكن وكالات الانباء والاذاعات كشفت أسرار العملية الثانية التي لم يكن قد مضى عليها ثلاثة ايام ، وكان أول من كشف هذه الاسرار الصحفي الامريكي تشارلز باورز الذي كان موجودا في القضايف ليلة تنفيذ العملية وجرى التحفظ عليه من قبل وحدة الأمن السوداني بتعليمات من العقيد موسى اسماعيل ، وقد روى تشارلز باورز بنفسه قصة هذا الاعتقال فقال إنه وضع في احد المكاتب التابعة لجهاز الأمن السوداني تحت حراسة عدد من الجنود ومنع من الخروج حتى صباح اليوم التالي نظرا لأن المكتب كان قريبا من المطار الذي هبطت فيه طائرات سلاح الجو الامريكي لنقل اليهود الفلاشا فإنه استطاع أن يحدد عدد هذه الطائرات وحركتها حيث كان هديرها يصل إلى اسماعه وهو في الغرفة المغلقة منذ الصباح الباكر وكان يستطيع أن يحدد من خلال اصوات الطائرات ما إذا كانت هذه الطائرة تهبط أم تغادر ، وقد تم نقله بعد ذلك إلى الخرطوم حيث سلمته اجهزة الأمن السودانية الى السفارة الامريكية التي قامت بترحيله بعد أن حصل على تفاصيل العملية كاملة كشاهد عيان . ولعله كان على علم مسبق بهذه العملية إذ أنه جاء خصيصا من نيروبي إلى هذا المكان المقفر الذي يخلو من الاخبار المثيرة في الايام العادية ، وقد أكد بنفسه معرفته بالخطوة الموضوعية لهذه العملية قبل تنفيذها لذلك جاء من نيروبي إلى السودان ووصل إلى القضايف الذي يبعد حوالي مائتي ميل جنوب شرق الخرطوم واعتقلته سلطات الأمن السودانية في الوقت الذي حطت فيه الطائرات العسكرية الامريكية ١٣٠ سي على الأرض التي سميت مجازا مطارا .

يقول اللواء عثمان السيد :

— في نفس اليوم الذي تمت فيه العملية الثانية التي عرفت باسم عملية سبأ تناولت الاذاعات خبر تفاصيل العملية كما نشرته لوس انجيلوس تايمز نقلا عن مراسلها بالخرطوم تشارلز باورز ، اتصلت بالنائب الأول وابلغته أن الاذاعات اذاعت انباء العملية الثانية وتكاد تكون بالتفصيل فأمر بحظر سفر الصحفي الامريكي باورز ووضع اسمه في قائمة الممنوع

سفرهم بالمطار ، فتوجه إلى السفارة الأمريكية ، ثم جاءوا به إلى مكتبي ومعه السكرتير الصحفي بالسفارة وكان معي بالمكتب العقيد موسى اسماعيل وتنفيذا لتعليمات النائب الأول اجرينا معه تحقيقا عن كيفية علمه بهذه العملية فذكر انه مراسل لصحيفته في نيروبي ، وكان زميلا له يرافق مستر بوش عند زيارته للسودان وجاءهم من رئاستهم في امريكا خبرا بأنه تم الاتفاق بين الرئيس السابق نميري واللواء عمر وجورج بوش على ترحيل بقية الفلاشا الموجودين بالسودان وأن عليهم أن يتابعوا الموضوع ، فوصل من نيروبي إلى الخرطوم يوم ١٩ مارس وتوجه يوم الاربعاء — أى قبل العملية بيومين — إلى القضايف ، هناك شاهد حركة غير طبيعية تدل على أن هناك شيئا ما على وشك الحدوث ، وعندما شوهد في المنطقة اعتقاله رجال الأمن وامضى ليلة ٢١ مارس معهم ، وفي الصباح الباكر كان يصل إلى سمعه اصوات طائرات تهبط وتصعد في المطار ، وفي الساعة الحادية عشرة تغير رجال الحراسة وجاء غيرهم فسألهم ماذا يحدث في المطار فقالوا له ببساطة طائرات ١٣٠ سي جاءت ونقلت الفلاشا .

حدث اعتقال مراسل الصحيفة الأمريكية قلقا لدى السفارة الأمريكية خاصة أن رئيس تحرير الصحيفة طلب من السفارة التدخل لدى المسؤولين السودانيين للافراج عنه ووافق اللواء عمر على طلبهم وافرج عنه وعاد إلى امريكا .

وفي يوم ٢٠ مارس اى بعد ثلاثة ايام من تنفيذ العملية كتبت لوس انجلوس تايمز مايلي : حاولت الولايات المتحدة اضعاء جو من السرية يوم السبت الماضي على عملية نقل جوى امريكية منظمة استهدفت نقل المجموعة الاخيرة من اليهود الاثيوبيين إلى الكيان الصهيوني وذلك خشية احراج السودان وقال . محرر الصحيفة إن ادارة الرئيس الامريكى ريجان اكدت سرا أن أكثر من ٥٠٠ من الفلاشا قد تم نقلهم من أحد المخيمات في السودان إلى مطار عسكري بالقرب من مدينة عكا في فلسطين المحتلة حيث وضعوا بشكل مؤقت في مركز استيعاب الهجرة وذلك في اطار خطة وضعتها وكالة المخابرات المركزية بالتعاون مع الموساد الاسرائيلي .

وقالت الصحيفة إن سؤالا وجه إلى الرئيس الامريكى حول عملية النقل الجوي التي اتسمت بالسرية المبالغة اثناء احتفال جرى في البيت الابيض يوم السبت الماضي ولكن الرئيس ريجان تردد بعض الوقت ثم قال « لا تعليق » وأشار إلى أن وزارة الخارجية الأمريكية تتابع هذه القضية .

وكشفت الحقائق بعد ذلك أن مائة عضو من الكونجرس الأمريكي بعثوا برسائل شخصية تحت ضغط من إسرائيل إلى الرئيس ريجان في شهر فبراير ١٩٨٥ ليسارع في استئناف نقل اليهود الفلاشا من معسكر اللاجئين شرق السودان بعد أن توقفت العملية الأولى في شهر يناير واستجاب ريجان لأعضاء الكونجرس حيث مارس ضغطا على الحكومة السودانية بإعلان الإدارة الأمريكية وقف الدعم المالي للسودان وقدره ٥٠ مليون دولار كمقدمة لمفاوضات قام بها جورج بوش اثناء زيارته للسودان للحصول على موافقة الحكومة السودانية للسماح باستئناف نقل اليهود الفلاشا مقابل استمرار الدعم المالي للسودان .

لم تكدر تمر ساعات من اذاعة أسرار العملية الثانية في صحيفة لوس انجلوس تايمز حتى تناقلت الاخبار الاذاعات العالمية ووكالات الانباء واذكر اننى التقيت مع اللواء عمر الطيب في ردهات البرلمان السوداني بينما كان الكل يتوجه إلى حدائق المبنى لحضور حفل شاي بمناسبة اختتام اجتماعات مؤتمر الاتحاد الاشتراكي وكان الرئيس السابق يستعد للسفر إلى أمريكا في اليوم التالي ، كان اللواء عمر مكفهر الوجه يسير في حراسة عدد من رجال الأمن ويعدون أى قادم غريب نحوه ، يومها بادرت بالسؤال قائلاً له إن اجهزة الاعلام العربية والعالمية عادت تتحدث عن عملية جديدة لنقل اليهود الفلاشا فما هو ردك على هذا ؟

وما إن استمع إلى السؤال وهو مكفهر الوجه حتى انفجر صائحا :

— لعن الله العرب ولعن هذه الاذاعات .. إن مشاكلنا الآن كبيرة ولسنا في حاجة لسماع ذلك وليس لدينا وقت نضيعه معهم .. لقد وصل بهم الأمر إلى حد أنهم يقولون إننا ندفن النفايات النووية في اراضيها .. نحن لم يتدهور بنا الحال إلى هذا الحد ..

ثم ظل يردد في عصبية بصوت مرتفع :

— ليس صحيحا .. ليس صحيحا ماتبته هذه الاذاعات .. إنها كلها اذاعات معادية للسودان .

لم تمض ايام قليلة حتى انفجر الشعب السوداني غاضبا ضد حكومته واستمرت الانتفاضة الشعبية العارمة لمدة عشرة ايام تطالب بسقوط النظام ..

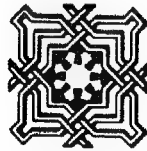
وحتى اللحظات الأخيرة كان مستر ميلتون مندوب المخابرات الأمريكية لازال موجودا في الخرطوم وكانت العاصمة السودانية قد تحولت إلى غضب شعبي عارم وجهاز الأمن السوداني يحاول أن يتابع مايجرى من خلال لجنة فنية شكلها مجلس الأمن القومي لهذا

الغرض ، وفي الليلة الأخيرة للنظام ، ليلة السادس من ابريل اذاع راديو طرابلس بيانا للعقيد القذافي موجها للشعب السوداني يطلب فيه من العسكريين ألا يتعرضوا للانتفاضة وأن يتركوا الجماهير تنجح إلى الاذاعة للاستيلاء عليها وكذلك الاستيلاء على القصر الجمهوري ومقر مجلس الوزراء ، تابعت لجنة الأمن هذا البيان وسجلته على شريط خاص ونقلته في الساعة الحادية عشر مساء يوم الجمعة إلى اللواء عمر الطيب الذي استمع اليه واعرب لنوابه عن خشيته في أن يكون هذا تمهيدا لتدخل ليبي . ازاء ذلك كلف اللواء عثمان السيد أن يتوجه إلى مستر ميلتون ويبلغه لمعرفة الموقف الامريكي .. توجه اللواء عثمان السيد إلى منزل ميلتون بشارع ٢٥ في حي الامتداد بمنطقة العمارات وابلغه بما اذاعته اذاعة ليبيا فرد عليه مستر ميلتون قائلا :

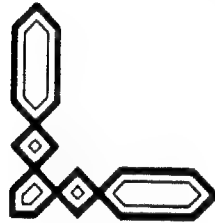
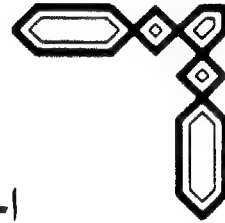
— لقد سمعنا مثلكم ما اذاعه راديو طرابلس لكن الموضوع انتهى
«The game is over» ونأسف للرئيس نميري وللنائب الأول اللواء عمر ..
ثم قال :

— ولحسن الحظ لقد وضعنا مبلغ ٢ مليون دولار في حسابه في لندن
«fortunately we had deposited two million dollars in his account in London»

ولم تمض ساعات حتى كان النظام قد انتهى بالفعل واستولى الجيش بقيادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب على السلطة وجرى اعتقال رجال النظام وفي مقدمتهم اللواء عمر محمد الطيب بينما كانت الجماهير تطالب بمحاكمته لمسئوليته عن تهريب الفلاشا إلى اسرائيل .



الجزء الثاني المحاكمة



الفصل الثامن

شهادة الفريق أول سوار الذهب

في يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) بدأت اولى جلسات محكمة أمن الدولة التي عرفت باسم محكمة الفلاشا ، وهى محكمة شكلها المجلس العسكري الانتقالي بقرار من النائب العام برئاسة القاضي عبد الرحمن عبده . وحرص النائب العام أن تكون جلسات المحاكمة علنية تذاع عبر التلفزيون ووسائل الاعلام المختلفة باستثناء جلسة واحدة حرصت المحكمة على أن تكون سرية وتحولت القاعة التي كانت تخصص لاجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي التي يحضرها الرئيس السابق واللواء عمر الطيب وسط الاستقبالات الرسمية إلى قاعة للمحكمة اصبح فيها الرئيس هو المتهم الأول ونائبه المتهم الثاني والعقيد الفاتح عروة متهما ثالثا والعقيد موسى اسماعيل متهما رابعا والمقدم دانيال متهما خامسا والرائد فؤاد بندر المتهم السابع ، جلس هؤلاء في قفص الاتهام باستثناء المتهم الأول ، ومضيت المحكمة في المواجهة جلس القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن ومساعداه عضو اليمين وعضو اليسار ، وعلى يمين المحكمة هيئة الاتهام المكونة من الصادق الشامي وكال الجزولي ومصطفى عبد القادر وصلاح أبو زيد والمتحرى ضابط الشرطة أمين اسماعيل ، وعلى اليسار هيئة الدفاع عبد العزيز شدو المحامي وأحمد ارياب وآخرون ومن خلفهم قفص الاتهام ومتهمون .

في بداية المحاكمة القى النائب الأول عمر عبد العاطي خطبة الاتهام تعرض للجذور التاريخية للكيان الصهيوني وزرعه وسط الأمة العربية بدعم من الدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية ، وكشف دور المخابرات المركزية الامريكية في تقرير ودعم اسرائيل من خلال دورها المكشوف في عملية نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ولم ينس النائب العام أن يضرب مثالا لهذا الدور بالعاراة الجوية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس واعتراض الطائرة المصرية المدنية التي كانت تقل محتطفي الباخرة الابطالية بعد أن نجحت مصر في

انتفاذ حياة ركاب الباخرة ، وكذلك الدور الامريكى المتعاون مع اسرائيل في احتلال اسرائيل للضفة الغربية عام ١٩٦٧ ، وضرب لبنان في اواخر السبعينات والثمانيات . ثم قال النائب العام : إن السودان يرى أن عدوه الاساسي هو اسرائيل لكن سلطة الفرد جعلت من العمالة ديدنه واستجابت لمطالب الاعراء وشاركت في نقل اليهود الفلاشا من الأراضي السودانية الى اسرائيل .. وقال : إننا كرجال قانون ماكننا نود أن نقف مثل هذا الموقف لتمثل الاتهام ضد مواطن سوداني متهم بالخيانة العظمى .

وتحدث عن تأثير نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل على الموقف العربي حيث انهم وسيلة لتقوية اسرائيل بضمهم إلى الجيش الاسرائيلي وتدريبهم عسكريا مما يشجع الاعتداء على الأمة العربية الأمر الذي يسئ إلى موقف السودان الحربي والدبلوماسي والاقتصادي .. وقال بأن عدد الذين تم نقلهم ٣٠ ألف فرد حيث استغل نميري وعمر الطيب منصبيهما بالتستر على نقل ٢٠ ألف من الفلاشا طوال السنوات السابقة على العمليتين المعروفتين باسم « عملية موسى » وعملية « سبأ » وهذا الرقم يعادل نصف عدد اليهود الذين هاجروا من اسرائيل منذ عام ١٩٨٣ .

وقال إن اللواء عمر الطيب اشرف على اصدار التعليمات وفرض السرية بعلم نميري على نقل اليهود الفلاشا وسمح للسفارة الامريكية في الخرطوم أن تتحول إلى غرفة عمليات بعيدا عن أعين المؤسسات السودانية ، وأنه في سبيل انجاز العملية الثانية « سبأ » اجتمع مع وليم كيسى رئيس وكالة المخابرات الامريكية وتلقى منه التعليمات المباشرة لتمكين سلاح الجو الامريكى من الهبوط في مطار العزازه السودانى ونقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل مباشرة وأنه سمح لرجال المخابرات الامريكية باستقلال جهاز أمن الدولة السودانى لاستجلاب بعض المعدات والسيارات لتخليصها من بورسودان .. وقال إن اللواء عمر الطيب طلب مقابلا لنفسه ولغيره وتحت يدنا وثائق تثبت أنه حصل على ٢ مليون دولار باسمه كما حصل على مبالغ أخرى ليس لدينا ادلة بشأنها ، كما أنه اصدر للضباط المرعوسين في جهاز أمن الدولة بأن يضعوا انفسهم تحت تصرف وكالة المخابرات المركزية الامريكية في تلك العمليات وادلى بتصريحات صحفية كاذبة تنفي ما تردد عن ترحيل اليهود الفلاشا من الاراضي السودانية إلى اسرائيل بطريق مباشر أو غير مباشر مع علمه بأنه ضالع مع المتهم الرئيسى السابق .

هكذا تحدث النائب العام في الجلسة الأولى للمحاكمة ليأتي دور رئيس المحكمة في توجيه الاتهامات إلى اللواء عمر الطيب عشر اتهامات على النحو التالي :

○ مخالفة المادة ٩٧ من قانون العقوبات لسنة ٨٣ باستغلال المنصب الرسمي والاعداد والمشاركة والمساعدة والتسهيل والتدخل عمدا في تحريض بعض حنود وضباط جهاز أمن الدولة — وهى قوة نظامية — بوضع انفسهم في خدمة وكالة المخابرات الامريكية والحكومة الامريكية بهدف خدمة دولة الكيان الصهيوني ووكالة مخابراتها المسماة بالموساد ، والمشاركة والمساعدة والتدخل عمدا في جمع اليهود الفلاشا وترحيلهم بوسائل مختلفة إلى دولة الكيان الصهيوني .

○ مخالفة المادة ٩٧ هـ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ وذلك باستغلال المنصب كرئيس لجهاز أمن الدولة وكنايب لرئيس الجمهورية بالاعداد والمشاركة والمساعدة والتحريض والتدخل عمدا في ترحيل اليهود مقابل الحصول لنفسه ولغيره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على اموال وعربات واجهزة مختلفة ومواد غذائية وبضائع اخرى من وكالة المخابرات المركزية وتسبب في اقدام آخري على عمل يضر بمصلحة البلاد العامة الأمر الذي يشكل جريمة في قانون العقوبات .

○ مخالفة المادة ٩٧ ج من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ أنك ومن خلال مشاركتك ومساعدتك وتسهيلك وتدخلك المتعمد لترحيل يهود الفلاشا قد دخلت في مفاوضات مع وكالة المخابرات الامريكية بحكم منصبك وتعمدت اجراء هذه المفاوضات ضد مصلحة البلاد .

○ مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات لسنة ٨٣ أنك بقيامك عمدا بالاعداد والتحريض والمشاركة والسماح والتسهيل والتشجيع لترحيل الفلاشا لدولة الكيان الصهيوني عن طريق طائرات « ترانس اوريان ابروير T.E.A » والطائرات الأمريكية الحربية .

○ مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ أنك قمت بالاتصال المباشر وغير المباشر والتآمر مع الحكومة الامريكية والدولة الاسرائيلية وسعيت لديها وساعدت وتخابرت معها للقيام بترحيل العناصر البشرية من يهود الفلاشا لدولة الكيان الصهيوني لمعارضته لتلك الدولة في عملياتها الحربية ضد الوطن العربي بما فيه بلادنا التي هى في حالة حرب مع اسرائيل مقابل منافع مادية لك مما يعد عملا عدايا ضد البلاد والاضرار بمركز السوداني الحربي والدبلوماسي والاقتصادي .

○ مخالفة المادة الثانية من قانون مقاطعة اسرائيل لسنة ١٩٥٨ أنك عقدت بالذات أو الوساطة اتفاقا مع هيئات أو اشخاص يقيمون في اسرائيل ومع هيئات أو اشخاص تعلم

انهم ينتمون بخنسيتههم لاسرائيل أو يعملون معها أو لحسابها لنقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل سواء بطريق مباشر أو غير مباشر مما يعتبر جريمة بموجب قانون مقاطعة اسرائيل .

○ مخالفة المادة ٤٥٧ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ ، بما أنك قمت بالافعال السابقة موضوع الاتهام بالادارة والمشاركة في ادارة شبكة منظمة ومخططة لارتكاب الجرائم موضع الاتهام مما يشكل فسادا للحياة العامة في السودان .

○ مخالفات بموجب قانون الطيران لسنة ١٩٦٠ أنك مستغلا لمصبك الرسمي وخلافا للقانون قد مكنت طائرات حربية امريكية من دخول السودان والنزول في مطار العزاة ومنعت الجهات المختصة من مراقبتها مما يعتبر مخالفة لقانون الطيران وقانون العقوبات .

○ مخالفات بموجب قانون السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ أنك قد مكنت اليهود الفلاشا من السفر خارج السودان عن طريق مطار العزاة وهو غير مطبق لخروج الاجانب مما يعتبر مخالفة للمادة ١٠ مقروءة مع المادة ٤٢ من قانون جوازات السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ مقروءة مع المادة ٨٤ لسنة ١٩٨٣ .

○ أنك دبرت وساعدت وسهلت ليهود الفلاشا دون أن تكون لهم تأشيرات خروج من الجهة المختصة مما يعتبر مخالفة للمادة ١٣ مع المادة ٤٢ من قانون جوازات السفر والهجرة لسنة ١٩٦٠ مقروءة مع المادة ٨٤ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ .

وقد رد اللواء عمر الطيب على هذه الاتهامات بأنه غير مذنب ..
ثم وجه رئيس المحكمة خمسة اتهامات لبقية المتهمين منها أنهم وضعوا انفسهم في خدمة وكالة المخابرات والحكومة الامريكية وشاركوا وساعدوا وسهلوا وتدخلوا في تخريض اجهزة أمن الدولة لخدمة وكالة المخابرات الامريكية كما ساعدوا وسهلوا نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل .

وقد رد المتهمون بأنهم غير مذنبون ..
وقد اتخذت المحكمة قرارا في أول جلساتها بفصل قضية المتهم الأول جعفر نميري عن هذه الاجراءات لوجوده خارج البلاد ولا يعترف القانون السوداني بالمحاكمة الغيابية وقد حاول المحامون تأجيل القضية إلى حين احضار المتهم الأول فرفضت المحكمة ، وكان المحامي عبد العزيز شدة قد حاول أن يطعن في تشكيل المحكمة مما أدى إلى تأجيل اجراءات المحاكمة لمدة اسبوع كسبا للوقت ورفض طلبه .

وبذلك أصبح اللواء عمر الطيب هو المتهم الأول في القضية ثم أصبح هو المتهم الوحيد عندما تحول المتهمون الأربعة الآخرون إلى شهود اتهام ، ولم يكن امام لجنة التحقيق وسيلة للحصول على الادلة والاثباتات إلا باعتراف المتهمين انفسهم الذين تعاهدوا مع النائب العام ليكونوا شهود اتهام مقابل العفو عنهم وقد اعترض محامي المتهم الأول لكن المحكمة رفضت اعتراضه على اساس أنه من اختصاص النائب العام أن يعفو عن أى منهم سواء اثناء نظر القضية أو بعدها وذلك مشروط بايوائهم لتعهدهم الذى لايتضح إلا بعد سير اجراءات الجلسة ، ولذلك اعتبرتهم المحكمة متهمين حتى يتحقق لها من سير الجلسات اهم اوفوا بتعهداتهم .

وقد استغرقت التحقيقات في هذه القضية ستة اشهر استمعت فيها إلى اكثر من مائة شاهد وزارت لجنة التحقيقات المواقع التي تم منها تهريب الفلاشا وقدمت للمحكمة كافة الوثائق والدلائل في هذه القضية ومنها الباصات الأربعة التي تم بواسطتها نقل اليهود الفلاشا إلى المطارات والاشارات الضوئية التي كانت تستخدم في إنارة الطرق بالليل ومبلغ المائة وخمسين ألف دولار المتبقية من شراء الاجهزة اللاسلكية عن طريق السفارة الامريكية .

وربما كان الجانب السياسي في القضية هو السبب في أن المحكمة عقدت وسط اجراءات أمن مشددة إلى حد أن مبنى الاتحاد الاشتراكي المنحل ، حيث توجد المحكمة ، كان محاطا بعسكريين مدججين بالسلاح ، كما شددت الاجراءات حول ودخل القاعة الاساسية للمحكمة ، وقد سبق عقد المحكمة شائعات راجت في العاصمة السودانية بأن هناك محاولات من قبل دول اجنبية لاختطاف عمر الطيب والهروب به خارج السودان ، وشائعات اخرى بأن هناك محاولات من جهة معادية لاقتحام مقر المحكمة ، فالقضية تمس جهات اجنبية هي امريكا واسرائيل ، وقد تعرض مكتب لجنة الاتهام للاقتحام مرتين حيث جرت محاولة كسر المكتب ، وقدمت هيئة الاتهام بيانا بذلك إلى المحكمة التي قامت بمعاينة المكتب وطالبت بتشديد الحراسة .. كذلك تعرض مكتب المحامي عبد العزيز شذو لمظاهرات معادية بسبب قوله الدفاع في هذه القضية وهتف المتظاهرون « مكتب شذو .. احنا نهدو » . ذلك أن رأى العام السوداني كان معبأ بالكراهية والسخط تجاه رموز النظام السابق الذي اسقطه صيحة السادس من ابريل ١٩٨٥ ، ونظر الرأى العام إلى موضوع ترحيل اليهود الفلاشا عبر الأراضي السودانية كواحد من جرائم نظام جعفر نميري الاساسية وساهمت اللجان النقاية للعاملين بمطار الخرطوم في كشف تورط جهاز أمن الدولة في هذه

الجرائم قبل أن تعقد المحكمة جلساتها .. وقد حدد الدفاع في هذه القضية خطته على اساس أن موكله لم يكن يعرف أن هؤلاء اللاجئين هم من الفلاشا اليهود المسافرين إلى اسرائيل وإنما هى تعليمات الرئيس يقوم بتنفيذها في اطار برنامج اعادة توطين اللاجئين الذي تشرف عليه الولايات المتحدة الامريكية كبرنامج انساني . ولهذا فإن اللواء عمر الطيب عندما اعطيت له فرصة حق الدفاع عن نفسه حاول أن ينفي علمه بتفاصيل العملية التي قام بتخطيطها وتنفيذها ضباط الأمن وقال « إن هناك اشياء سمعتها في المحكمة لأول مرة ولا أعرف عنها شيئا ونفى أن يكون للمخابرات الامريكية أى دور فمثل هذه الأمور من عمل مكتب شئون اللاجئين » كما نفى تكليفه لضباط من جهاز الأمن لتنفيذ العملية قائلا « أنا كرئيس للجهاز لا انزل إلى درجة رائد أو مقدم ولا علم لي بكل ما ذكر في المحكمة من شراء سيارات واجهزة اتصال ، أما سفري لأمريكا يوم ١٨ مارس فكان من أجل الحصول على مساعدات امريكية في اطار برنامج اعادة توطين اللاجئين والمواطنين الذين اصابهم التصحر ونفى أن يكون قد حصل على مبلغ مليونى دولار من الامريكيين لحسابه الشخصى وقال إن هذا المبلغ طلبه للمساعدة في انشاء مبنى جديد لجهاز أمن الدولة وهو مشروع وضع له حسابا خاصا في أحد بنوك بريطانيا وحول له مايعادل ٥ مليون جنيه سوداني هى حصيلة رسوم البطاقات الشخصية بأمر من الرئيس السابق كما كلف اللواء عثمان السيد بحمل رسائل إلى رؤساء اجهزة الأمن في الدول العربية للحصول على مساعدات تبلغ ٢٥ مليون دولار وقد وعدوه خيرا ، ولم يحصل على شىء .

لكن اقوال اللواء عمر الطيب ودفاعه عن نفسه لم يكن مقنعا للمحكمة .. ولم تفرق المحكمة في أن يحصل على اموال لنفسه أو لبناء جهاز أمن الدولة طالما أنه حصل عليه مقابل عمل يضر بسمعة ومصلحة البلاد القومية .

حرصت المحكمة على أن يأتي المتهمون من سجن كوبر في حراسة مشددة وخصصت سيارة جيب خاصة جديدة للواء عمر ومعه حارس برتبة عقيد تتقدمه سيارة شرطة وخلفه سيارة عسكرية مسلحة وكان هذا الموكب يخترق شوارع الخرطوم من سجن كوبر حتى موقع المحكمة في كل يوم تعقد فيه جلسة من جلسات المحاكمة ، بينما خصصت سيارة « ستیشن » للمتهمين الباقين أو شهود الملك .

لم يكن يبدو أى قلق على المتهمين اثناء جلوسهم في قفص الاتهام ، احيانا يتبادلون الاحاديث مع المحامين أو يجيئون الجالسين من الجمهور ورجال الاعلام ، وفي الايام الاولى من

المحاكمة كانوا يتبادلون الحديث مع اللواء عمر لكن القطيعة حلت بينهم وبينه عندما اصبح هو المتهم الوحيد وهم مجرد شهود اتهم ضده .. أما اللواء عمر فكان يحرص على أن يدخل قصص الاتهام ومعه قلما واوراقا وكأنه سيسجل اقوال الشهود أو ملاحظات ويتحدث بين وقت وآخر مع محاميه ، وفي احدى المرات ضجت قاعة المحكمة بالضحك عندما ذكر العقيد موسى اسماعيل أن اللواء عمر قال له بعد الانتهاء من نقل اليهود الفلاشا بالطائرات الامريكية « إنني كنت اسهر معكم بمسبحتي هذه » .. حتى اللواء عمر نفسه لم يمنع نفسه من الضحك .. وحدث أن انسحب احد المحامين من القضية بحجة أنه لم يطلع على كل وقائعها وتغيب المحامي أحمد دياب مرتين بسبب مرضه وتحول المحامي عبد العزيز شدو إلى نجم تليفزيوني بأسلوب طرحه للأسئلة وصوته المميز ، أما قاضي المحكمة فحاز على اعجاب الرأي العام لما يتمتع به من حزم وحيادية في ادارة المحكمة والسيطرة على النزاعات القانونية التي تنشأ احيانا بين هيئة الاتهام وهيئة الدفاع . من خلال الاعترافات والاجابة على اسئلة المحكمة واجوبة الشهود كانت الملامح الشخصية للمتهمين تبدو واضحة فاللواء عمر يبدو كأنه برىء تماما وأنه في دهشة مما يسمعه والذي لايعرف عنه شيئا رغم أنه رئيس جهاز أُمس الدولة الذي مهمته الاولى أن يكون على علم بكل شيء ، أما العقيد موسى اسماعيل فيبدو نادما من شيء ما ، مستسلما للواقع الذي وجد نفسه فيه ، فعلم على صوته الرتبة والاعياء بينما يبدو العقيد الفاتح عروة مروغا وذكيا وأكثر حيوية وثقة وخاصة في احابته على اسئلة محامي المتهم الأول ، أما المقدم دانيال فرغم أنه من الجنوب من اقليم بحر الغزال فإنه يتحدث اللغة العربية بوضوح ويلتزم بالاحابة على قدر السؤال .. وبقي الرائد فؤاد بندر الذي بدأ حياته مدرسا ابتدائيا ثم انضم إلى جهاز الأمن ليجد نفسه متورطا في هذه القضية تنفيذا لتعليمات رؤسائه ، وقد بدا طوال الجلسات ملولا ، ينصرف عن المحكمة بالتأمل حوله ، وقد منع حضوره للمحكمة مرتين بأمر الطبيب لاصابته بالمalaria .

تلك كانت وجوه المتهمين وانعكاساتها وهم في قفص الاتهام ، وقد قبل القاضي بشهادة المتهمين الشهود واعتبرهم قد اوفوا تعهدهم واصدر قراره بالعفو عنهم .

ظلت المحكمة تواصل جلساتها اربع مرات كل اسبوع لمدة خمسة اشهر استمعت خلالها إلى نحو ٤٠ شاهدا بعد أن اختصرت عدد الشهود الذين اعدتهم هيئة الاتهام وعددهم نحو مائة شاهد وكان من بينهم ضباط امن سابقين مثل اللواء عثمان السيد واللواء كمال حسن أحمد واللواء الفاتح الجيلي نواب رئيس جهاز أمن الدولة ووزراء سابقين مثل على

تمو وزير الاعلام وهاشم عثمان وزير الخارجية وعلى يس وزير الداخلية وغيرهم ، وكان ابرز التهود في هذه القضية الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب رئيس المجلس العسكري الذي ادلى بشهادته أمام المحكمة حول واقعة هبوط الطائرات العسكرية الامريكية في مطار العزاة وقد حاول اللواء عمر الطيب في الجلسات الأولى أن يزج بالقوات المسلحة السودانية في هذه العملية الأمر الذي اثار غضب الفريق سوار الذهب ، لأن اللواء عمر نفسه يعلم أن ذلك ليس صحيحا ، ولهذا فقد سعى الفريق سوار الذهب وهو رئيس المجلس العسكري لدى المحكمة أن يدلى بشهادته ، وبعد أن اقسم على المصحف بأن يقول الحق كل الحق قال إن أول معلومات علم بها حول نقل اليهود الفلاشا عندما كان نائبا للقائد العام وجاءته في معلومات من ضابط الاستخبارات العسكرية بوجود طائرات نزلت بالقرب من منطقة الشوك لتحمل افرادا واستنتج ضابط المخابرات أن يكون هؤلاء الافراد من اليهود الفلاشا ، ثم قدمت له هيئة الاتهام مستندا وهو عبارة عن تقرير رفعته ادارة الاستخبارات اليه بصفته نائبا للقائد العام في أول يناير ١٩٨٥ ومضمونه أن هناك ما يدعو للشك بأن عمليات منظمة لنقل اللاجئين في مطار الخرطوم يعتقد انهم فلاشا ، وقال التقرير إن هناك اعتقادا بأن افرادا من جهاز أمن الدولة يقومون بهذا العمل ولا بد من رفع الأمر إلى القائد العام — يقصد به الرئيس السابق — .

يقول الفريق سوار الذهب إنه قدم هذا التقرير إلى الرئيس السابق ودار بينهما حوار حول مضمون التقرير وابلغه الرئيس أن العملية ليست منظمة وانما هم لاجئون عائدون حصلوا على حق اللجوء إلى دول اجنبية يأتون في شكل اسر تضم كل اسرة من ١٥ إلى ٢٠ فردا ثم يرحلون بالطرق العادية أى يكون معهم تأشيرات دخول لهذه الدول وتأشيرات خروج ومعهم وثائق سفر وجوازات .

وقد علق على ذلك قائلا إنه اقتنع بما قاله الرئيس وطالما الأمر كذلك فهو شيء عادي لأن اللاجئين في السودان من حقهم السفر إلى الخارج طالما انهم يحملون وثائق سفر وتأشيرات خروج ودخول واستبعد اعتقاد ضابط الاستخبارات العسكرية بأن يكون الأمر هو نقل منظم لليهود الفلاشا .

كذلك في العملية الثانية في شهر مارس ١٩٨٥ طلب منه الرئيس أن يعطى تعليماته الى قائد المنطقة العسكرية في القضايف بوصول طائرات عسكرية امريكية تحمل اغاثة لا يتعرضون لها وسيتولى امرها جهاز الأمن ، وعندما حاول اللواء عمر مرتين أن

يستوضح منه عن هذه « البلاوي » ، وكان يقصد اليهود الفلاشا ابلاغه بأن الرئيس ابلاغه فقط أنها طائرات امريكية قادمة تحمل معها مواد اغاثة للاجئين .

وقد دارت الأسئلة بين القاضي والفريق سوار الذهب على النحو التالي :

هل اوضح لك الرئيس نوعية هذه الطائرات إن هي عسكرية أم مدنية ؟

— أبدا .. قال فقط إنها طائرات امريكية معها اغاثة ..

هل كان يشير إلى نقل للاجئين ؟

لا ..

بحكم خبرتك العسكرية طائرات حربية تدخل اراضي دولة اخرى ومعها ناس ترتدي

الزى العسكري الرسمي كيف تقيم ذلك عسكريا ؟

لا يمكن أن يكون هذا مسموحا به إلا باتفاق مسبق ..

والموقف بالنسبة لاسرائيل ..

بالنسبة لاسرائيل اتصور كما هو معلوم وفي ميثاق الجامعة العربية واتفاقية الدفاع المشترك أن

اسرائيل عدو للدول العربية ومن بينها السودان .

وانتهت اسئلة القاضي واعطى الاذن لمحامى المتهم الأول أن يطرح اسئلته على الشاهد

ولم يكن لديه اسئلة يطرحها وإنما سجل تقدير هيئة الدفاع لدور الفريق أول سوار الذهب

كشاهد لهذه المحكمة .

○ ○ ○

الفصل التاسع المواجهة

لقد كشفت محاكمة الفلاشا عن دور الولايات المتحدة الامريكية في نقل اليهود الفلاشا إلى اسرائيل ودور المنظمات الأوروبية التي تتخذ الاعمال الانسانية مثل اغائة اللاجئين ستارا لها وكان أن خصصت السفارة الامريكية بالخرطوم قسما خاصة بها لهذا الغرض واسمته قسم رعاية شئون اللاجئين وعينت له شخصا من رجال المخابرات الامريكية يهودي الديانة يدعى جيري ويفر ومعه اعوان آخرون ظل يعمل تحت اشراف مستر ميلتون مدوب المخابرات الامريكية بالسفارة .. كشفت المحاكمة ايضا عن الواقع السياسي والاخلاقي الذي كان يسيطر على ادارة النظام السابق في السودان الذي وجد في التسبب السياسي العام الذي يحكم المنطقة كلها ثغرة ومبررا كى يتعامل مع المخابرات الامريكية والاسرائيلية وخاصة بعد زيارة الرئيس السابق انور السادات إلى القدس واتفاقية كامب ديفيد وكشفت عن الجانب النفسي لضباط الأمن السوداني الذين شاركوا في تنفيذ هذه العملية ودلت على وجود خلافات وصراعات كانت قائمة داخل جهاز الأمن السوداني نفسه ، وقد اخترنا من وقائع المحاكمة جوانب كأثلة على هذه الحقائق منها الحوار الذي دار بين محامي المتهم الأول والعقيد الفاتح عروة ، والمناورة بين القاضي وعروة ، ورؤية اللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن السوداني الذي كانت العلاقة بينه وبين اللواء عمر يشوبها نوع من عدم الود ..

ونبدأ بشهادة الفاتح عروة التي جرت يوم ١٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٥ على السحو التالي :

محامي اللواء عمر : يا فاتح .. في اقوالك قلت إنك ماكنت مقننع انهم ماشين لاوروبا وامريكا .. على أى اساس بنيت عدم اقتناعك ؟ ..

الفتاح : أنا لم اقل عدم اقتناعي قلت عدم ارتياح .. ولم اعرف سببا لعدم ارتياحي هذا .. احيانا يكون الانسان لديه احساس بعدم ارتياح من شيء ما .
المحامي : هل نقلت شعورك هذا لاي مسئول ؟

الفتاح : ابدا ..

المحامي : في اجابة بذلك على سؤال وجهته المحكمة لماذا لم يخطر ببالك أن الموساد شغال في هذه العملية وذكرت أن دور الموساد كان يتم من وراء ظهر السلطات هل عندك علم بأن الموساد شارك في عملية موسى ؟

الفتاح : ابدا ..

المحامي : حسب الاقوال .. هل طلب اللواء عمر مساعدة لنفسه ؟

الفتاح : مانقل لى أن هذه المساعدة لبناء الجهاز وليس لشخصه ..

المحامي : مامدى علمك بالمشروع المتعلق ببناء الجهاز ؟

الفتاح : عن البناء .. اذكر أن حكاية البناء هذه وردت مرتين أو ثلاثة اذكر منهم عندما طلب مني « هاشم » سكرتير اللواء عمر أن اخصص سيارة لخبراء لفحص تربة أرض مبنى الجهاز ، وخلال عام ١٩٨٤ طلب منى اللواء عثمان السيد أن اعد خطابات موجهة لبعض رؤساء اجهزة الأمن في الدول العربية نطلب فيها دعما لبناء الجهاز الذي تقدر تكاليفه بنحو ٣٥ مليون جنيه .

المحامي : متى ذكر لك جيري ويفر موضوع المليونى دولار ؟

الفتاح : في نهاية نوفمبر أو بداية ديسمبر ، يعنى في اوائل العملية ..

المحامي : ذكرت أنه قبل السفيرة الاخيرة وهى الرحلة رقم ٢٧ اذاع راديو لندن نبأ

وصول الفلاشا إلى اسرائيل ، هل سمعتها انت شخصا :

الفتاح : شخصا ما سمعتها .. موسى بلغني ..

المحامي : اين بلغك

الفتاح : في المطار

المحامي : وكان جيري ويفر في المطار ؟

الفتاح : نعم كان موجود

المحامي : من اتخذ قرار الغاء السفيرة بعد اذاعة الخبر من راديو لندن ؟

الفتاح : المتهم الثالث العقيد موسى ..

المحامي : هل شاركت في اتخاذ القرار ؟

الفتاح : هو اتخذ القرار وأنا وافقته على ذلك .
 المحامي : قلت إن جيري ويفر كان بالمطار وابلغ بالغاء السفيرة .. كيف ابلغتموه ؟
 الفاتح : كانت الطائرة عاملة « تيك اوف » وقلنا له ماعيزين طائرات تأتي .
 المحامي : هل يستطيع الضابط المكلف بالتنفيذ الغاء مثل هذه العملية دون العودة إلى الرئاسة ؟

الفتاح : الموقف يعتمد على الظروف ، وله أن يتخذ القرار الملائم ..
 المحامي : يا فاتح .. خلال شهر مارس ١٩٨٥ عرفت أن مبلغ المليون دولار ستدفعه منظمات يهودية هل نقلت علمك هذا للمتهم الأول ؟
 الفاتح : اطلاقا ..

المحامي : هل ابلغت أحد في الجهاز بعلمك هذا ؟
 الفاتح : اخطرت عثمان السيد وقلت له إن هناك عملية أخرى ستم وأن الاموال ستدفعها منظمات يهودية وما مفروض أن اكون أنا عارف العملية .
 المحامي : ذكرت أنه بعد الغاء العملية حضرت محادثة للمتهم الأول مع الرئيس السابق .. كيف عرفت أن هذه المحادثة مع الرئيس السابق ؟
 الفاتح : « مندهشا » — كان يقول له سيادتك .. مش عايزه شرح عثمان أقول لك كيف يكون حاله وهو يتكلم مع الرئيس .. مع بهاء « وزير شئون الرئاسة » يقول له يادكتور ، ولما يكلم الفريق سوار الذهب يقول له ياشيخنا .. ولما كلم بهاء قال له .. أنا لسه كنت بتكلم مع الرئيس ..

المحامي : ذكرت أنه بعد قرار الغاء السفيرة طلب السفير الامريكي وميلتون عن طريق عثمان السيد مقابلة المتهم الأول ..
 الفاتح : لم اقل ذلك اطلاقا ..

المحامي : (يقرأ من اوراق امامه : حضر ويفر إلى عثمان السيد)
 الفاتح : قلت ميلتون ويفر شرح كيف اذيع الخبر من راديو لندن وأن السفير الامريكي يريد أن يوضح الأمر للمتهم الأول ..
 المحامي : يهوذا دومينيتر .. تحدثت عن شخص بهذا الاسم .. من اين لك هذا الاسم ؟

الفتاح : ذكر ويفر اسمه امامي ، وجاء في شريط ارسله القنصل يتضمن تصريحات ادلى بها يهوذا إلى اذاعة لندن ويفر حمله مسئولية نشر العملية .

المحامي : تحدثت عن احاسيسك بسبب توجيه تهم ربطتك أنت وموسى بعملية الترحيل ارجو أن توضح الاسباب لماذا اتهمك زملاؤك في الجهاز انت بالذات ؟
الفتاح : لأنه أنا مشارك في العملية ..

المحامي : هل اصابع الاتهام تحيطك ؟
الفتاح : أول ماطلع الكلام اشارت الاصابع لى أنا وعثمان السيد وقالوا عملوها مع الامريكان وقالوا أنا اخذت كم .. فتوجهت غاضبا وشاكيا للواء عمر .. بعد يومين ثلاثة قالوا أنا وموسى شغالين في العملية حتى قالوا عنه موسى ديان .. وهذه الاشاعات التي سرت في الجهاز تحدث عنها اللواء عمر في اجتماع تنويري لضباط الجهاز .. وأنا اتكلمت وشرحت أنه ماعدنا دخل بالفلاشا واسرائيل وأن هؤلاء لاجئين مثلهم مثل أى لاجئين آخرين لانه بعدين بكره نميري ينط من العملية دي ويقول أنا مالي ..

المحامي : جاء في اقوالك إن موضوع الفلاشا وصل لنهايته ماذا تعنيه بهذه العبارة ؟
الفتاح : قلت اعتبر أن ملف الفلاشا قفل بالنسبة لى .. وقال المتهم الأول لو الامريكان طلبوه منى سنقول لهم اذهبوا للأمم المتحدة ومنظمات اللاجئين لكن بعد اسبوع فتح ميلتون الموضوع معه مرة اخرى ..

المحامي : ذكرت انك قلت للواء عثمان السيد انك لن تشترك في اى عملية اخرى وستحرض أى ضابط الاشتراك في اى عملية اخرى .. حدث هذا قبل الاجتماع التنويري للواء عمر مع الضباط أم بعده ؟

الفتاح : اظن بعد الاجتماع .. وبعد ماجاء ميلتون ومعه تصريح نميري للصحيفة الامريكية بموافقة على نقل بقية الفلاشا .. وقال ميلتون عاوزين نواصل ..

المحامي : يافتاح .. تحدثت عن تنظيم داخل الجهاز فهل كان ذلك سابقا للعملية ؟

الفتاح : لم اتحدث امام المحكمة حول هذا الموضوع ، وإنما ادليت به في لجنة

التحقيق ..

رئيس هيئة الاتهام : اعترض على هذا السؤال لسرية الموضوع خاصة أنه لم يأت ذكره في المحكمة والمتهم مسئول عن اقواله التي اقسم عليها اليمين وهذا الموضوع جاء في لجنة التحقيق ..

المحامي : والدفاع عن المتهم الأول يصبر على سماع هذه القصة فرما كان المتهم يعمل على ترويح اشياء ضد المتهم الأول أو ضد الجهاز .

الاتهام : نحن مقيدون بنصوص اجراءات خاصة واسئلة الدفاع مقيدة بما ادلى به

المتهم امام المحكمة .

رئيس المحكمة : موجهها حديثه للاتهام : دعونا نستكشف غرض الدفاع .
المحامي : تنظيم داخل الجهاز هل كان سابق لعملية الفلاشا أو بعدها ..
رئيس المحكمة : — مت دخلا — المتهم اوضح أنه مسئول عن اقواله التي اقسم عليها .

المحامي : الشاهد مازال متهما إلى ن تصدر المحكمة قرارها .. يبقى عنده اقوال في الكاسيت الذي تلى علينا وما سجله المتحري ، ونحن في اسئلتنا له نحاول أن نسجل كل الأقوال .

رئيس المحكمة : يعترض ، لم يسمح له بتوجيه السؤال ..
المحامي : التنظيم سابق أم لاحق عن العملية .
الفتاح : سابق .. قلت التنظيم دا يكون قبل احوالى للمعاش ..
المحامي : لا اريد تفاصيل

(فترة مداولة)

المحامي : الترويج قبل العملية أم بعد العملية .
الفتاح : ترويج ايه !
المحامي : قلت الترويج ضد هذه العملية تم في ديسمبر أم في يناير ؟
الفتاح : الترويج بدأ بعد أن اتضح أن هؤلاء الفلاشا ذاهبون إلى اسرائيل وأن الرئيس نمري وراءها شخصيا .. وبالتحديد الهدف من الترويج أنه ماتجيبى الدولة تتنصل منها ..
المحامي : حماية لانفسكم أم للبلد ؟
الفتاح : كشف للنظام .. وليس حماية ..
المحامي : أنت كنت عضو في تنظيم مناوىء .
الفتاح : صح ، حصل .
المحامي : تحدثت عن اعتقال بنى عمومتهك . هل لهذا التنظيم علاقة بالاخوان المسلمين ؟

الفتاح : اطلاقا .

المحامي : وردت اشارة في أقوالك عن اجتماع تم في الصافية وحضره الدكتور الترابي هل أنت الذى أبلغ عن هذا الاجتماع ؟
الفتاح : عنده مصادره وليس أنا الذى ابلغت ..

المحامي : في اقوالك ذكرت أن اللواء عثمان العبد طلب منك أن تحصر أى اجتماع يتعلق بالفلاشا للتأريخ
 الفاتح : حصل .
 المحامي : ارجو أن توضح مايعنى ذلك ، وهل حضرت بعد هذا الكلام ؟
 الفاتح : مايعنى ذلك هذا يخصه لوحده وماقتله في الاجتماع يتصل بي فكلما يجيء ذكر عملية نقل الفلاشا يقول لي « الكرهية جاءت » كنا نصف العملية « بالكرهية » .
 المحامي : في المرحلة الثانية وبعد انتهاء المرحلة الأولى ، وبعد أن حاء ميلتون يحمل قصاصة تصريح الرئيس السابق .. مع من كانت تحرى اتصالات الامريكان ؟
 الفاتح : متسائلا — من أى ناحية ؟
 المحامي : مع من التقى وهو يحمل القصاصة ؟
 الفاتح : بعثمان السيد
 المحامي : مع من كانت تحرى اتصالات الامريكان ؟
 الفاتح : من تقصد بالامريكان ؟
 المحامي : أنت قلت الامريكان .
 الفاتح : كانت تم مع الرئيس والنائب الأول والدكتور بهاء الدين ادريس .
 المحامي : والجهاز ؟
 الفاتح : كان عثمان السيد يقول لهم روحوا للرئيس أو النائب الأول .
 المحامي : الادعاء أو القول إن الاتصالات كانت تتم .. هذا عن نقل أو عن علم ؟
 الفاتح : هم يقولوا بالامس كنا مع الرئيس أو النائب الأول .. جيروني ويفر قال إن الرئيس السابق ذكى جداً « very smart » لأنه طلب طائرات امريكية لنقل الفلاشا .
 المحامي : ليه سمات ؟
 الفاتح : ويفر قال كده وقال إن نميري وضعنا في موقف صعب لأن الامريكان كانوا يريدون نقلهم على طائرات تجارية .
 المحامي : هل تعتقد أن الطائرات العسكرية مسئولية امريكية والتجارية غير ذلك ؟
 الفاتح : الرئيس رأيه أنه مايمه فلاشا أو غير فلاشا ، يريد أن يكون تعامله مع الامريكان والامريكان يرحلونهم أينما ارادوا ..
 (رئيس المحكمة يحرص على كتابة اقوال الفاتح ويتداول مع عضوى اليمين واليسار)
 المحامي : لو كانت الاتصالات تتم عن طريق الرئيس السابق ماذا تمثل اذن اتصالات

الامريكان واجتماعاتهم مع عثمان السيد ومعك ؟
 الفاتح : الامريكان كانوا يعتقدون أن عثمان السيد عنده صلة مع النائب الأول ..
 حسب علمي أنهم متصورين أنه في الصورة ..
 المحامي : قلت إن ويفر جاء اليك في المكتب وطلب منك ابلاغ المتهم الأول رسميا
 إنهم يعتقدون أن الدكتور بهاء يلعب بهم ويحاول يعمل صفقة بمفرده مع اليهود .
 الفاتح : الجماعة دول يفتكروا أن د . بهاء يحاول يلعب بيهم .. وقال لي ويفر إن
 العملية الأولى كان بهاء بعيد .. وكنا مبسوطين .

المحامي : ما المقصود من ابلاغك بهذه المعلومات ؟
 الفاتح : لا تحصني في كثير أو قليل ، مطلوب أن ابلغه وابلعته .
 الفاتح : الترتيبات التي اتخذت لسفر المتهم الأول لأمريكا واجتماعه مع مدير المخابرات
 الأمريكية مستر كيسى من قام باعدادها وهل كنت مشارك فيها ؟
 الفاتح : أنا لم اشارك فيها .. هم الامريكان وصفوها وسلموها للمتهم الأول .. كل
 شيء كان معد ومرتب قبل سفره .. هذا ماعرفته من جيري ويفر أنهم ، أى الامريكان
 يحصلوا على موافقة الرئيس ويسافر اللواء عمر إلى امريكا للاجتماع مع مستر كيسى وذكر لي
 ويفر أن الزيارة لأن كل شيء معد من قبل .. وأن عشر طائرات من طراز « C.130 »
 ستأتى وتنزل في مطار بالقضارف وسحضر مواد تموينية للتمويه .
 المحامي : هل تستطيع أن توضح الاسباب التي جعلت ويفر ينقل لك كل هذه
 الاشياء ؟

الفاتح : لأنه كان يتصور أنه أنا وموسى مشاركين في العملية ، غير هذا شيء يخصه
 وحده .

المحامي : ماذا تقصد بهذه العبارة « شيء يخصه وحده » ؟
 الفاتح : قد يكون ثرثار وكثير الكلام .
 المحامي : يافاتح .. متى عدت للسودان ؟
 الفاتح : تقصد بعد سفري إلى بون وأمريكا أم من اثيوبيا عندما كنت ملحقا
 عسكريا ؟

المحامي : الأخيرة

الفاتح : عدت في ١١ / ٥ / ١٩٨٥

المحامي : من أين ؟

الفتاح : من امريكا عن طريق بون على خطوط سويس اير .
المحامي : كيف تم اعتقالك وبواسطة من بعد عودتك ؟
الفتاح : كان هناك علم بوصولي ، وقابلني العميد الهادي بشرى واخذوني من المطار وأمضيت الليلة في المنطقة المركزية ، وكونوا لجنة للتحقيق في قضية الفلاشا في شهر رمضان واحضروني إلى مقر لجنة التحقيق .
المحامي : متى نوقش معك موضوع العفو ؟
(الاتهام يتدخل محتجا على طرح السؤال)
القاضي : المحكمة لا تعرف أى اتجاه للاسئلة ، توفيراً للزمن على محامي المتهم الأول أن يوضح لنا الهدف من هذه الاسئلة .
المحامي : عرض العفو جعل منه شاهدا ، ومن حقنا أن نحمي المتهم الأول من اقوال المتهم الثاني كشاهد وعندنا حق في الطعن باجراءات العفو وعشان كده بنسأل هذه الاسئلة .. وكل سؤال نسأله له هدف ولست مضطرا أن اكشف ..
القاضي : المحكمة من حقها السيطرة على الاستجواب وإعادة الاستجواب ولذلك المحكمة يمكن أن تسأل الدفاع أو الاتهام عن الغرض من الاسئلة بحيث تقرر أن الاسئلة مسموح بها أم لا ..
ممثل الاتهام : كل المراجع البينية تشير أن مفاوضات عرض العفو ليست جزءا من اليمين ولا يجوز الكشف عنها . له حق الطعن في هذه الاجراءات أمام المحكمة ولا يقول نريد أن نعرف الاعراء والاكره كى يعمل به الطعن والمحامي .. قال إنه يريد أن يحدد دور المتهم ومشاركته في هذه التجاوزات التي يريد أن يطعن فيها ولايكتفي بهذا .. بل يفصح عن نيته في تجريمه .
المحامي : مع احترامي للمحكمة لا اسعى للدخول في التفاصيل أو سلطة النائب العام .. ما أريد أن اعرفه من الشاهد المتهم متى عرض عليه العفو وكيف تم عرض العفو عليه وهى عملية مشروعة ، وكان المفروض أن اجراء العفو يعرض في هذه المحكمة .. ونلتمس من المحكمة طرح الاسئلة .
(المحكمة توافق على توجيه الاسئلة ويواصل المحامي اسئلته)
المحامي : موجهها اسئلته للفتاح : من سعى للعفو هل اللجنة أم أنت ؟
الفتاح : اللجنة دعنتني وعرضت على .. لم اطلب منهم وقبلته .

المحامي : يا فاتح .. هل العفو كان يتعلق بما ادليت باقوال سابقة ؟
الفاتح : العفو يتعلق بكل شيء ..
المحامي : اين كنت خلال التحقيق معك ؟
الفاتح : في أحد معسكرات القوات المسلحة .
المحامي : هل قابلت المتهمين الآخرين ؟
الفاتح : قابلتهم اثناء المواجهة .
المحامي : طوال فترة التحقيق كنت في منزل تشرف عليه لجنة التحقيق ..
الفاتح : لا .. في معسكر بالقوات المسلحة ..
مثل الاتهام : منفعلا — اكرر للمرة الرابعة إننا نعمل بموجب اجراءات خاصة المقصود منها التعطيل فإما أننا نستعين بقرارات المحكمة أو نتعامل معها بعدم جدية ..
رئيس المحكمة : سبق أن بحث هذا الأمر وإذا كان لدى محامي المتهم الأول اسئلة اخرى فليسأل ..
المحامي : هناك معسكرات كثيرة للاجئين ، هل الفلاشا توجد في جميع المعسكرات ؟
الفاتح : هذا ليس من اختصاصي .. ماعندي علم ..
المحامي : تحدثت عن الجانب الانساني لانقاذ الفلاشا .. ماذا تقصد بالجانب الانساني ؟
الفاتح : حسب التوضيح الذي قاله المتهم الأول بتوجيه الرئيس السابق نريد أن نبرز الجانب الانساني في السودان الذي اتهم من قبل الرأي العام الامريكي بأنه نظام غير انساني يقوم بقطع الايدي ويطبق الشريعة .
الفاتح : في اقوالك التي وردت في الشريط (الكاسيت) الذي تم عرضه على المحكمة قلت طلب منك رئيس الجهاز وضع تصور أو خطة .. ماذا تعني ؟
مثل الاتهام : اقوال المتهم في الشريط ليست موضوع للاسئلة ..
رئيس المحكمة : هذا صحيح .. سمحت لك للتوضيح .. أنت تسأل اسئلة سبق أن سألتها ..
المحامي : يكتفي بأسئلته ..
ويأتي دور رئيس المحكمة :

القاضي : في العملية الأولى ماذا كان اعتقادك ؟
الفتاح : إن هؤلاء اللاجئين مسافرون إلى أوروبا وأمريكا ضمن برنامج إعادة التوطين .

القاضي : ألم يدر بخلدك انهم بعد ذلك سيرحلون إلى اسرائيل ؟
الفتاح : لا لم يخطر ببالي هذا .
القاضي : لما موسى اسماعيل المتهم الثالث قال لك نوقف الحكاية دى أنت وافقت على الفور .. لماذا ؟

الفتاح : لأنه اتضح لنا انهم ماشين لاسرائيل
القاضي : يعنى أنت تريد أن تقول لم يخطر ببالك ابدا أن هؤلاء اليهود بعد أن يرحلوا إلى أوروبا وأمريكا يرحلوا إلى اسرائيل إلا لما موسى اسماعيل ابلغك بما اذاعته اذاعة لندن ؟
الفتاح : بالنسبة للمجموعة الذين نرحلهم هناك نوعان ..
القاضي : مقاطعا — ألا أريد نوعين .. أنا اتكلم عن اليهود الفلاشا سواء رحلتوهم انتم أم غيركم — صنف اسم الفلاشا .

الفتاح : كلهم ؟
القاضي : كلامي واضح .. أنت تريد أن تقول ..
الفتاح : أنا ..

القاضي : اسمع السؤال للآخر .. لم يخطر ببالك انهم ذاهبون لاسرائيل إلا عندما ابلغك موسى ؟

الفتاح : بالنسبة لى أنا مارحلتهم .. فيه ناس مشوا من اثيوبيا رأسا وآخرون عن طريق عمليات سرية . بالنسبة لمن سافروا من اثيوبيا الى اسرائيل تم بناء على اتفاقيات مع اسرائيل واثيوبيا .. وأنا متأكد من ذلك حسب معلوماتي .. وبالنسبة للسودان عن طريق غير عملياتنا هذه من المؤكد انهم دخلوا اسرائيل .

القاضي : اذن حسب كلامك بالنسبة لمن رحلتوهم لم يذهبوا لاسرائيل .
الفتاح : نعم

القاضي : هل تشرح لنا لماذا ذهب الفلاشا الذين رحلوا عن غير طريقكم إلى اسرائيل والذين عن طريقكم لم يذهبوا إلى اسرائيل ؟

الفتاح : لقد سبق أن اوضحت المسائل الخاصة بالاتجاه الأمريكى في تعاملهم مع الفلاشا .. الضغط الذي وقع على السودان كى يرحلوا الفلاشا .. الأمريكان عاوزين يحسنوا

انفسهم امام الرأى العام في السودان يقولوا إن هدفهم هو اخراجهم من هنا وليس إلى اسرائيل .

القاضي : تريد أن تقول إن هذه سياسة امريكية ؟

الفاتح : أنا متأكد أن هذه سياسة امريكية .

القاضي : ألا توافق أن واقع الأمر أن الأمريكيين رحلوا ناس لاسرائيل فعلا ؟

الفاتح : واقع الأمر أن ..

القاضي : — مقاطعا — دقيقة .. دقيقة .. إذا كانت السياسة الامريكية يرحلوهم

لامريكا كى لا يموتوا حوفا وحدث أن رحلوهم إلى اسرائيل اذن كيف تكون سياستهم .. هل غيروا رأيهم ؟

الفاتح : أنا فهمت سياستهم حسب معطياتي وقتها .. أما اتفاقيات بين امريكا واسرائيل ، وجايز يكون تحليلي غير صحيح أو ضغوط أو غيروا سياستهم .

القاضي : أنت قلت إنك كنت عارف أن الموساد رحل كمية من الفلاشا بطريقته من السودان دون علم جهاز امن الدولة .. كنت عارف الحكاية دى ؟

الفاتح : نعم

القاضي : اذن يكون من باب اولى لو كانت سرية صحيح الا يتدخل فيها الجهاز ؟

الفاتح : أنا اعتقد أن الجهاز كله ماكان يجب أن يكون له علاقة ..

القاضي : دعنا الآن .. من باب اولى لو كانت سرية ماكان يجب أن يتدخل فيها

الجهاز ؟

الفاتح : نعم

القاضي : وقلت إن هؤلاء الناس يمضوا من المطارات بشكل عادي ويمرون دون أن

يمنعهم شىء . وقلت إن في الظروف السرية هذه إن السفير الامريكي شخصا جاء بنفسه

في احدى المرات وحضر عملية الترحيل ، وقلت إنه بحكم عملك ومنصبك تعرف أن

ميلتون رجل المخابرات الامريكية في السودان وقلت إن ميلتون هذا كان يشرف على هذه

العملية ؟

الفاتح : أنا لم أقل هذا .. علاقتنا قطعت بعد أن اوصلني لجبري ويفر .

القاضي : جميل .. اوصلكم هو .. هل كان من الممكن أن تصلوا اليه دون ميلتون

هذا ؟

الفاتح : أنا لا أقرر هذا

القاضي : من يقرر اذن ؟

القاتح : نتصل بالخارجية

القاضي : أنا اتكلم عن عمل استخبارات .. ليست هذه العملية عملية استخبارات .

القاتح : لا ليست عملية استخبارات .. بالنسبة لي اعتبرها عملية امنية

القاضي : اشرح لنا الفرق بين الأمن والاستخبارات ؟

القاتح : المخابرات تعنى المعلومات التي يتم جمعها وتصنيفها وتحليلها للوصول إلى معلومات كما تشمل النشاط الذي يتبع لجمع هذه المعلومات وكلها عمليات ايجابية ، أما الأمن فهى الاجراءات والترتيبات سواء كانت سلبية أو ايجابية لتأمين شىء ما أو الحفاظ عليه وتسمى اجراءات وقائية .

القاضي : جميل .. حسب هذا التعريف هذه العملية كانت تأمين سرية الترحيل

القاتح : نعم

القاضي : لتأمين سرية الترحيل انتم كجهاز اوكل لكم هذا الأمر ماهى حاجتكم لتصلوا بمندوب المخابرات الامريكية لتأمين الترحيل فقط .

القاتح : كى يوصلنا لمندوب اللاجئين فقط وليس هو مباشرة نحن لا نتصل بالسفارة الامريكية مباشرة .

القاضي : لماذا لم تصلوا بالخارجية كى تصلوا بمندوب اللاجئين الم يكن هذا ممكنا ؟

القاتح : لا استطيع أن احدد الاجابة على هذا السؤال لأنى لا اعرف الظروف .

القاضي : أنا قلت لك من ناحية الامريكان ؟

القاتح : أنا اتصلت عشان جاءتنى تعليمات لا أعرف الظروف .

القاضي : انتم مكلفين بتأمين العملية ولهذا تريدون الاتصال بمندوب اللاجئين ؟

القاتح : غير .. لا .. مش كده .

القاتح : تصلوا من اجل ماذا .. قبل أن تعرفوا انكم مقدمين على تنفيذ العملية ؟

انتم اصحاب الحاجة .

القاتح : لا نحن لسنا أصحاب الحاجة

القاضي : نرجع تاني .. تصلوا بمندوب اللاجئين عن طريق رجل المخابرات لماذا لم

يتم الاتصال عن طريق الخارجية ؟

الفتاح : الاتصال تم كى نعرف ماهو المطلوب منا وماهو دورنا ..
القاضي : الموضوع واضح ١ + ٢ + ٣ أنت وافقت على واحد واثنين ، تريد أن تقول أنك عرفت انكم مكلفين قبل تأمين العملية ؟
الفتاح : ليس هكذا ..
القاضي : طيب لماذا ذهبت له ؟
الفتاح : كى نعرف خططهم
القاضي : هذا معروف كى تنفذوا الترحيل ؟
الفتاح : نساهم ونشرف على عملية الترحيل ونعرف خطة الترحيل .
القاضي : من اجل ماذا ؟
الفتاح : من اجل معرفة الخطة التي وضعوها .
القاضي : اذن انتم تعرفون دوركم
الفتاح : نشرف على العملية ودورنا بالضبط لا نعرفه ..
القاضي : حكاية انكم زرتم السفارة من اجل التأمين
الفتاح : الاشراف
القاضي : طيب ماذا تعنى بالاشراف
الفتاح : تحت مظلة الجهاز
القاضي : يعنى ماذا ؟ تعطوا لهم تذاكر
الفتاح : لما مشيت فهمت أنه اشراف تحت مظلة الجهاز ..
القاضي : في تقدير كرجل أمن هذه العملية الخاصة بترحيل اليهود تعتقد من يهتم بها أكثر الموساد أو السي أى ايه .
الفتاح : اعتقد الكيان الصهيوني كله
القاضي : بالتحديد ذكرت الموساد والسي أى ايه .. من صاحب المصلحة الحقيقية ؟

الفتاح : الموساد
القاضي : ومع ذلك لم يخطر ببالك اصلا أن هؤلاء غير ذاهبين لاسرائيل ؟
الفتاح : لأن الاهتمام الذي جاءنا من امريكا .
القاضي : أنا قلت من المتهم الموساد أو السي أى ايه وقلت أنت الآن الموساد وقلت إن العمليات الأولى التي كانت تتم دون علمكم كان وراءها الموساد لم يخطر ببالك أن هذه

العمليات التي قمتم بها وراءها الموساد ؟
 الفاتح : لا .. لأنى اعرف خلفيات السياسة الامريكية .. ممكن يكون أن اسرائيل
 مهمة ..

القاضي : جميل .. يعنى أنت اقتنعت أن اسرائيل هى صاحبة المصلحة وتريد أن
 تقول إن الموساد ليس له مصلحة .

الفاتح : الموساد شغله كبير .

القاضي : تريد أن تقول إن هذه الحكاية عملت فيها المخابرات الامريكية .

الفاتح : لا .. اشتغلت فيها الحكومة الامريكية واسرائيل .

القاضي : ألا تعتقد أن جيري ويفر ليس له علاقة بالسى أى ايه

الفاتح : اعتقد أن لا علاقة له بالسى اى ايه .

القاضي : أنت قلت إن اسرائيل هى صاحبة المصلحة الحقيقية وقلت إن جيري
 ويفر قال لك العملية جاهزة ومتفقين على التفاصيل ، هل ذكر لك اين سيذهب الفلاشا
 بعد ذلك ؟

الفاتح : لم يذكر لي وأنا لم اسأله ، كنت مقتنع أن اى عملية بعد أن انكشفت
 العملية الأولى تذهب إلى اسرائيل واستطيع أن اوضح ذلك .

القاضي : وضحاها ..

الفاتح : أولا بالنسبة للمجموعة الأولى التي رحلت وعددهم ٦ آلاف وباقي هذه
 المجموعة اقل من الف هم بواقي الاسر التي رحلت من الصعب جدا في هذه الحالة أن
 اتصور انهم ضمن برنامج اعادة التوطين الخاص بامريكا ، طبيعي لازم يلحقوا باسرههم الذين
 ذهبوا إلى اسرائيل .. ثانيا بعد وصول مجموعة الفلاشا الأولى لاسرائيل عانى الكيان الصهيوني
 من بعض الغضوط مما ادى لانقطاع بعضهم عن بعض ، وكانوا الفلاشا في اسرائيل يعلموا
 أن الصحافة هى التي كشفت سفرهم إلى اسرائيل فكانوا كلما التقوا بهم يقولون لهم ابعدوا
 عنا .. أنتم الصحفيون سبب المشاكل ، في الفترة التي جاء فيها بوش للسودان بعد أن قال
 لهم نميري تعالوا انقلوهم ذكر الامريكيون أن الادارة الامريكية تواجه ضغوطا من المنظمات
 اليهودية بضرورة الحاق بقية الفلاشا المحجوزين في المعسكرات شرق السودان إلى ذوبهم في
 اسرائيل ، وهذه الضغوط كانت السبب الرئيسى الذي جعل الادارة الامريكية ترضخ لطلب
 الرئيس السابق نميري بأن ينقلوا على طائرات عسكرية ولم يكن هناك مجال كى يذهبوا إلى
 امريكا .

القاضي : يعنى كلامك هذا أن رئاسة جهاز الأمن والمتهمين يعلمون جيدا أن العملية الثانية للترحيل إلى اسرائيل .

الفتاح : اعتقد ذلك

القاضي : بالنسبة للعملية الأولى هل تعتقد أن امريكا استطاعت أن تغشكم .. وتغش جهاز أمن الدولة كله لأنكم اعتقدتم انهم سينقلون إلى امريكا واوروبا ثم نقلتهم إلى اسرائيل .

الفتاح : اعتقد أنها نجحت في ذلك

القاضي : تغشكم ؟

الفتاح : تغش القيادة السياسية والجهاز ، هذا اذا لم تكن القيادة السياسية تعلم .
القاضي : النقاش الذي دار بينك وبين المتهم الثالث موسى اسماعيل حول اختيار مطار الخرطوم أو مطار وادي سيدنا العسكري .. هل تذكره ؟

الفتاح : هذا النقاش دار في المرحلة الأولى ، عندما جاءني واخطرني بالتعليمات .

القاضي : يعنى قبل أن تذهب للسفارة الامريكية

الفتاح : نعم

القاضي : ماذا جرى في النقاش

الفتاح : وردت ذكر مطار وادي سيدنا .. نبحت كيف سيرحلهم الامريكيون عن طريق وادي سيدنا أو مطار الخرطوم وأنا استبعدت وادي سيدنا ..

القاضي : وشرحت اسبابها

الفتاح : نعم

القاضي : وماهى ؟

الفتاح : كانت هناك حملة ضدنا وكنا نخشى أن يكونوا فلاشا ونحن نعلم أنهم سيرحلون إلى امريكا في برنامج توطين اللاجئين ، إذا اتهمنا باستخدام وادي سيدنا تأخذ الحملة علينا بعدا اكبر .

القاضي : ومع ذلك تقول إنكم لم تكونوا تعرفوا قبل أن تذهبوا لجيري ويفر .

الفتاح : هو قال ::

القاضي : مقاطعا — تعرفوا أو لا تعرفوا

الفتاح : كنا نعرف أن الموضوع ترحيل فلاشا بأشراف الجهاز .

القاضي : يعنى كنتم تعلمون من قبل أن تذهبوا لجيري ويفر ؟

الفاتح : نعم
القاضي : — وعلى الرغم من كل هذه الظروف تقول ماكنت مرتاح ولا تريد أن
تقول لماذا ؟
وانتهى القاضي من اسئلته وجاء الدور على موسى اسماعيل ..

○ ○ ○

الفصل العاشر

« الاعتراف »

روى موسى اسماعيل امام المحكمة تفاصيل دوره في هذه العملية منذ أن كلفه اللواء عمر الطيب في اكتوبر « تشرين أول ١٩٨٤ » بالاشراف على عملية نقل يهود اثيوبيين إلى الولايات المتحدة الامريكية على طائرات خاصة في اطار عملية سرية وكلفه بالاتصال بزميله الفاتح عروة والذهاب معا إلى السفارة الامريكية لمقابلة جيري ويفر مسئول مكتب شئون اللاجئين بالسفارة وتوالت عليه الاسئلة من ممثل الاتهام :

ممثل الاتهام : أنت قلت استدعاك المتهم الأول .. عندما كلفك بهذا الموضوع من كان معكما ؟

موسى : لم يكن هناك احد .

ممثل الاتهام : ماذا حدث عندما توجهتم للسفارة الامريكية ؟

موسى : ذهبت أنا والفاتح إلى مكتب ويفر وعرفنى عليه مستر ميلتون ولم أكن اعرفه شخصيا وإنما فقط من الاوراق التي تأتي من معتمد اللاجئين ، قلت له إن اللواء عمر وجهنا بخصوص ترحيل الفلاشا لامريكا واوروبا ونعرف ماهى خططكم وماهو دور الجهاز فيها ، وذكر لي ويفر أن عندهم خطة جاهزة واخرج ورقة مطبوعة بالانجليزية وراح يقرأ منها وكانت هى الخطة ..

ممثل الاتهام : ماذا كنت تعرف عن ميلتون ؟

موسى : في أول الأمر لم أكن اعرف عنه شيئا ، وسألت عنه الفتح فقال لي هو مندوب المخابرات الامريكية المعتمد عندنا في الجهاز ، وكنت قد قابلته مرتين في مكتب الفاتح دون أن اعرفه ..

ممثل الاتهام : قلت إنك اتفقت مع المتهم الثاني تتوجهوا إلى المتهم الأول لمقابلته بعد ذلك ؟

موسى : كنا قد ترجمنا الخطة على هيئة مذكرة ، واذكر أن الفاتح كتبها بخط يده وارفقنا بها الخطة المكتوبة باللغة الانجليزية ، وذكرنا للمتهم الأول تفاصيل ما حدث مع الامريكيين .

ثم جاء دور اسئلة القاضي :
القاضي : ياسيد موسى ذكرت انكم مشيتم امريكا ونزلتم في ووترجيت ماذا حدث بعد ذلك ؟

موسى : في نفس اليوم بالمساء استدعاني المتهم الأول في جناحه وذكر لي أن الامريكان يريدون اخذ باقي الفلاشا بطائرات امريكية عسكرية حوالي عشر طائرات من مطار العزاة وأنهم وضعوا خططهم لهذه العملية وذكر لي أن هناك مشكلة مدهم بالوقود هل يتم ذلك في مطار الخرطوم أو مطار وادي سيدنا فقلت له تتم في مطار الخرطوم عن طريق السفارة الامريكية بواسطة وزارة الخارجية أو الدفاع وذكر لي أن العملية ستكون يوم ٢٢ مارس بحجة أنها قادمة تحمل موادا تموينية .

القاضي : اقترح انهم يتصلوا بالخارجية للوقود ، هل حصل عليه موافقة ؟
موسى : وافق على هذا الاجراء وقال العملية حدد لها يوم ٢٢ مارس يوم الجمعة لكن عنده فكرة بتأجيلها لمدة اسبوع والامريكان طالبين تكون يوم ٢٢ وإنه سيناقش هذا مع مستر كيسى في اجتماعه به غدا كى يكون لدينا وقت اكثر للاستعداد .. تانى يوم جاء مستر ميلتون في الصباح وقال سنذهب لرئاسة السى اى ايه واللواء عمر عنده مقابلة مع مستر كيسى ..

القاضي : من ذكر هذا الكلام ؟

موسى : مستر ميلتون .

القاضي : متى عرفت أنه يريد أن يبنى مقرا جديدا للجهاز أمن الدولة ؟
موسى : أول مرة عرفت به عندما قابلت المتهم الأول (اللواء عمر) عندما ذكر لي أنه سيطلب مساعدة لبناء الجهاز وفي المرة الثانية عندما دخلنا مبنى المخابرات الامريكية وقال لي عاوز اعمل نفس المدخل في المبنى الجديد .

ممثل الاتهام يتدخل :

— اريدك أن تذكر عدد الضباط الامريكيين الذين كانوا موجودين منعكم في الاجتماع داخل مقر المخابرات الامريكية ؟

موسى : خمسة أو ستة ضباط .
 ممثل الاتهام : ارجو أن توضح الرتب العسكرية للضباط الامريكان الذين كانوا
 حاضرين الاجتماع ؟
 موسى : الرتب معروفة بالنجوم ، المهم أن اعمارهم اكثر من ٤٠ ومعنى هذا انهم
 ضباط كبار بنجمة واحدة أو نجمتين .. حسب ملاحظت جنرالات ..
 ممثل الاتهام : اشرح مايتعلق بالخارطة التي وجدتموها في مكتب المخابرات الامريكية
 عن القضايف ؟
 موسى : لم يجر حولها أى نقاش .. لم يسيروا للخارطة ..
 ممثل الاتهام : من اشترك من الوفد في النقاش ؟
 موسى : كل الكلام للمتهم الأول عمر الطيب
 ممثل الاتهام : هذه الخارطة من احضرها ووضعها هنا
 موسى : عندما دخلنا وجدناها موضوعة ، لم نحضرها معنا .
 ممثل الاتهام : كيف عدتم إلى الخرطوم ؟
 موسى : على نفس الطائرة العسكرية الامريكية التي سافرنا بها وصلنا بعد الظهر
 في واشنطن ونزلنا في قاعدة جوية في صقلية ووصلنا الخرطوم يوم الأربعاء ٢٠ مارس .
 ممثل الاتهام : حدثنا عن مطار العزاة
 موسى : أول مرة اشاهد فيها مطار العزاة وكانت أول رحلة لى لمدينة القضايف .
 ممثل الاتهام : مامدى استعداد مطار العزاة لاستقبال هذا النوع من الطائرات
 موسى : المطار عبارة عن ارض فضاء « ايرستريب » مجرد شارع كبير ولا توجد
 فيه مباني ، وميزة هذا النوع من الطائرات أن تقدر على النزول في أى ايرستريب ، وكانت
 ارض صلبة ليس بها حفر بالاضافة إلى التجهيزات التي قام بها الامريكان .
 ممثل الاتهام : كم عدد الجنود الذين نزلوا من أول طائرة ؟
 موسى : حوالي ١٨ أو ٢٠ من جنود وصف وضابط .
 ممثل الاتهام : ماهو زيهم الرسمي ؟
 موسى : زى الصاعقة المبقعة
 ممثل الاتهام : ماذا كانت وظيفتهم ؟
 موسى : لاحظت انهم عاملين حراسة للمنطقة للطائرة عندما تصل لتحمل
 اللاجئين وكانوا يقفون صفين تمشى وسطهم الفلاشا .

- مثل الاتهام : من كان يتولى فرز اليهود الفلاشا الموجودين داخل الموقع ؟
موسى : نيكولا وميلتون .
- مثل الاتهام : من انزل الطائرة إلى الأرض ؟
موسى : الفنيون الموجودون في الموقع .
- مثل الاتهام : كيف تم ذلك ؟
موسى : عندما اقتربت الطائرة اطلق واحد منهم اشارة ضوئية من مسدس لتحديد موقع المطار ..
- هنا يتدخل محامي المتهم الأول لأخذ دوره في الاسئلة
المحامي : ماهى مسئوليتك ياسيد موسى في جهاز الأمن ؟
موسى : مسئول من الناحية الأمنية الخاصة باللاجئين وبالتحديد تحركاتهم إلى المدن ومن المدن إلى العاصمة .
- المحامي : وهل يحدث احصاء دقيق باعداد اللاجئين في المعسكرات ؟
موسى : نعم
- المحامي : ذكرت أنك سافرت لمؤتمر خاص في جنيف للاجئين معنى ذلك أن الجهاز عنده ارتباط بمنظمات عالمية .
- موسى : ذهبت للمؤتمر بصفتي عضو بالمجلس القومي لرعاية اللاجئين
المحامي : تقرير اسماعيل ابراهيم هل قدم ورقة للمؤتمر ؟
موسى : لا اذكر
- المحامي : ماهى معسكرات اللاجئين ؟
- موسى : في منطقة كسلا وود شريفى ، ود الخلو ، القضارف ، ام راكوبه ، الشوك ، وكل معسكر به مندوب من الجهاز صف وجندى .
- المحامي : هل تقصد أن جهاز أمن الدولة يدخل فيه اختصاص شؤون اللاجئين ؟
موسى : بالنسبة للجهاز أمن الدولة له عدة اختصاصات بشؤون اللاجئين .
- المحامي : هل هناك تنسيق مع أى جهة عالمية ؟
موسى : التنسيق الوحيد بالنسبة لفرعنا كان مع الصليب الأحمر الدولي فى اطار الاغاثة
المحامي : ومع الهلال الأحمر ؟
موسى : لا
- المحامي : المندوب السامي للاجئين ؟

موسى : ليست علاقة مباشرة ، تتم عبر معتمد شئون اللاجئين .

الحامي : بعض السفارات لها اقسام خاصة ترعى شئون اللاجئين ؟

موسى : ليس هناك اتصال مباشر مع هذه الاجهزة

الحامي : كيف تتم ؟

موسى : مع مكتب معتمد اللاجئين .

ممثل الاتهام : نرجع لبعض الاسئلة من الأول .. في معرض حديثك ذكرت أن المتهم الأول

كلفك بأن تنور وزير الداخلية السابق ومعتمد اللاجئين السابق في جنيف ، ما الهدف ؟

موسى : الحقيقة العملية لم تكن تنوير .. للعلن فقط .. تقول لهم إن الامريكان قادمون

لأخذ الفلاشا لاعادة توظيفهم في امريكا ، ولن تكون معتمدية اللاجئين مسئولة عن ذلك .

ممثل الاتهام : التقرير الذي كتبه اسماعيل ابراهيم ورد عليه المتهم الأول إنه محول لك بالعلم

والاحاطة .

موسى : مجرد التعليق المكتوب في الخطاب

ممثل الاتهام : ورد في نفس التقرير أن هناك اقتراحا بقفل الحدود الشرقية لمنع دخول

الفلاشا ؟

موسى : لم تصلني أى تعليمات

ممثل الاتهام : وبالنسبة لليهود عموماً ؟

موسى : لم يصلني أى شئ

ممثل الاتهام : قلت انكم سافرتم انت والمتهم الأول بطائرة امريكية من الخرطوم إلى امريكا

وكان المفروض أن يسافر بطائرة مدنية .. من استبدل الطائرة ؟

موسى : مستر ميلتون .

ممثل الاتهام : ما الذي جعل مستر ميلتون يسافر بطائرة الجهاز للقضارف لماذا يستخدم

طائرة الجهاز ؟

موسى : هذه الطائرة احضرها الامريكان لاستعمال المتهم الأول ونفذوا بها بعض اعمالهم .

ممثل الاتهام : فما يتعلق بسفرك مع الوفد إلى امريكا واعفاءك من السفر وطلبت ذلك من

اللواء عثمان السيد اذكر اسباب طلبك الاعفاء ؟

موسى : قبل أن اقابل اللواء عثمان كنت مع المتهم الثاني الفاتح عروة وذكر لي أن هناك

عملية ثانية لترحيل الفلاشا واعطاني تفاصيلها وكلمني جيري ويفر بكافة التفاصيل ، ولما

قال لي عثمان السيد إنني مكلف بالسفر مع النائب الأول لموضوع يتعلق باللاجئين طلبت

اعفائي لكنه قال لي هذه تعليمات .

الاتهام : لماذا تغير خط السير عن طريق فرانكفورت ؟
 موسى : ذكرت أنه كان مفروض نمشي عن طريق لندن ومن لندن إلى واشنطن بطائرة
 مدنية ، رفض المتهم الأول وطلب طائرة خاصة وجاءت طائرة امريكية « C.140 » لاسباب
 امنية .

مثل الاتهام : هل تعرف الاسباب الامنية ؟
 موسى : سمعت من المقدم صلاح دفع الله اسباب امنية .

ثم جاء دور محامي المتهم الأول عبد العزيز شدو :
 المحامي : اين تلقيت تدريبك ، وكيف تدرجت في موقعك ؟
 موسى : كانت في جزء من المخابرات البريطانية وكان معي اللواء عثمان في هذه الدورة .
 تدرجت في اجهزة الأمن حتى اصبحت مسئولا عن التحرر واللاجئين وعينت في هذا
 القسم بعد عودتي كقنصل من افريقيا الوسطى .

المحامي : اختصاصات الفرع ؟
 موسى : نوعان .. الأول يتعلق باللاجئين الذي نحن بصددده الآن والآخر بحركات التحرير
 الافريقية .

المحامي : ماهي سياسة الفرع في اللاجئين ؟
 موسى : التنسيق الوحيد بين فرعنا كان مع الصليب الأحمر الدولي وهذا كان في اطار
 الاغاثة .

المحامي : مشروع اعادة توطين اللاجئين لتخفيف العبء عن السودان هل تذكر من الدول
 التي اشتركت في هذا المشروع ؟
 موسى : اذكر برنامج اعادة توطين اللاجئين في المانيا وفي كندا وفي الولايات المتحدة
 الامريكية .

المحامي : كيف تتم
 موسى : تتم عبر مكتب معتمد شئون اللاجئين وبواسطة الدول التي تريد أن تأخذ
 اللاجئين .

المحامي : كيف يتم المشروع الكندي ؟

موسى : لا اعرف

المحامي : كيف لم تعرف عن توطين اللاجئين إلى كندا وعرفت الفلاشا ؟
 موسى : ذكرت اختصاصي .. فرعنا هو الاشراف الامني على اللاجئين وبالنسبة لعملية

الفلاشا لأن جاء ذكرها في تقرير مقدم من معتمد اللاجئين .

المحامي : قلت إنك علمت أن العملية الأولى راحت لاسرائيل ومع ذلك سافرت لامريكا ؟

موسى : كانت تنفيذ تعليمات بالسفر مع النائب الأول .

المحامي : أنت ذكرت في اجابة على سؤال أن المتهم الأول في تنوير لكبار ضباط الجهاز نفى بانفعال أن الجهاز رحل فلاشا هل تذكر هذا الكلام ؟

موسى : قال ما رحلنا فلاشا ..

المحامي : وذكرت ايضا أنك كنت تقابل المتهم الأول بسهولة وبعدين بصعوبة ماتعليقك ؟

موسى : حسب رأيي أنه في الفترة الأولى كان يسهل لنا العملية ولما تمت اصبحت مقابلته صعبة .

المحامي : قلت إن الضابط الامريكي في مطار العزاة وهو قائد العملية كان برتبة عقيد ، هل تذكر أى حديث بينك وبينه ؟

موسى : كانوا على اتصال مباشرة مع واشنطن .

المحامي : قلت إن جيري ويفر قال إن المتهم الأول طلب أن يضعوا مبلغ ٢ مليون دولار في حسابه الخاص ؟

موسى : جيري ويفر قال طلب منا أن يوضع في حساب اللواء عمر في لندن .

المحامي : ذكرت إنك لما رجعت من القضايف بعد العملية الثانية كنت تشعر بالاستياء لماذا ؟

موسى : أولا بخصوص التنفيذ .. العملية نفسها نقل الفلاشا من القضايف إلى اسرائيل .. وكنت طلبت من المتهم الأول اعفائي من هذه العملية .

المحامي : متى تم ذلك ؟

موسى : عندما قابلت اللواء عثمان السيد وابلغته أن سفر النائب الأول لامريكا يتعلق بترحيل بقية اليهود الفلاشا .. وكنت مستاء لأن الطريقة التي تمت بها العملية ذاتها لم يكن للجهاز فيها أى دور .. كنا مجرد متفرجين ، حتى لو لم نكن موجودين كانت ستم .

المحامي : بحكم عملك في جهاز أمن الدولة هل كان لديك علم قبل أن تبدأ العملية الأولى أنه حصل أن جهة ما رحلت الفلاشا بدون علم اجهزة الدولة ؟

موسى : نعم .

المحامي : كضابط جهاز أمن الدولة هل عرفت الجهة التي تعمل سرا بدون علم اجهزة الدولة ؟

موسى : اعتمد على التقرير الذي ارسل من وحدة امن القضايف وكانت معنونة « الأمن الخارجي » أن بعض المنظمات العاملة في اغائة اللاجئين تقوم بتهريب الفلاشا مثل منظمة I.C.M.C و I.M.C والطائرات التي نزلت في التسوك بالاضافة إلى العمليات التي تمت عن طريق جوبا — نيروبي .

الحامي : هذا هو التقرير ولكن ماهو تقديرك أنت ؟

موسى : لحساب اسرائيل

الحامي : إذا كنت تعلم قبل عمليتك أنه هناك من يعمل لحساب اسرائيل في تهريب الفلاشا لم يخطر ببالك أن تربط بين الموضوعين ؟

موسى : لم يخطر ببالي ، لأنها لم تكن المرة الأولى التي تتم عملية اعادة توطين اللاجئين .
الحامي : نحن لا نتحدث عن اعادة توطين ..

موسى : اقصد برنامج اعادة التوطين هذه ليست عملية جديدة .

الحامي : وبالنسبة للفلاشا ؟

موسى : بالنسبة للاجئين .

الحامي : أنا اتحدث عن الفلاشا وليس اللاجئين

موسى : ماذكر لي أنه اعادة توطين وهو موضوع غير جديد بالنسبة لي .

الحامي : أنا لا اتكلم عن اعادة توطين ، أنا اتكلم عن الفلاشا .

موسى : لم افكر أن هؤلاء اللاجئين سيرحلون إلى اسرائيل وصدقت مآلاته القيادة السياسية بأنهم سيرحلون إلى امريكا واوروبا .

الحامي : هذا بالنسبة للعملية الأولى ، بعد ذلك أنت بنفسك اوقفتها ، هل كلامك ينطبق على العملية الثانية أن هؤلاء الناس ليسوا ذاهبين الى اسرائيل ؟

موسى : كنت انفذ الأوامر .

توالى على المحكمة بعد ذلك أكثر من اربعين شاهدا قال : على شمو وزير الاعلام في تلك الفترة أنه لم يكن يصدق أن حكومته تقوم بترحيل يهود فلاشا إلى اسرائيل وأن القيادة لم تخطره كوزير بأن شيء عن هذه العملية ، وقال وزير الخارجية هاشم عثمان نفس الشيء ولذلك فإنهما كانا يحرضان على نفى هذه الانباء لعدم تصور أن القيادة السياسية التي يعملان فيها تفعل ذلك ، كذلك نفى اللواء كمال حسن أحمد نائب رئيس الجهاز علمه بالعملية وقال إن احدا من المسئولين بالجهاز لم يبلغه وأنه من الممكن في أى جهاز أمن أن يكلف رئيس الجهاز ضباطا يختارهم بنفسه لتنفيذ عملية معينة لصالح الجهاز دون علم

القيادات الاخرى وأن هناك مبدأ في عمل الجهاز هو « المعرفة بقدر الحاجة » وهذا ما أكده ايضا اللواء الفاتح الجبلي أما اللواء عثمان السيد فكان يبدو أن علاقته برئيسه السابق اللواء عمر لم تكن ودية وأنه اعتبر تجاوزه اهمالا له مما اثار ضيقه وتلمس الاسباب التي دعت رئيس الجهاز إلى عدم اشراكه في هذه العملية . وتكشف اجوبته لاسئلة القاضي شعوره تجاه القيادة السياسية وهو شعور لم يكن يجعله مسترخيا في اداء عمله بشكل عام كضابط قيادي من ضباط جهاز الأمن .

يبدأ القاضي اسئلته اللواء عثمان السيد على النحو التالي :
القاضي : هل امريكا هى المهتمة بترحيل الفلاشا أم اسرائيل ؟
اللواء عثمان : اسرائيل

القاضي : أى جهاز في اسرائيل ؟

اللواء عثمان : جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد)

القاضي : يعنى علمك أن جهاز المخابرات الاسرائيلية هو الذي كان يشرف على هذه العملية وأن الاستراتيجية الرسمية لجهاز الأمن كانت تمنع ذلك وأنت كنت مسئول كبير في الجهاز ووزير ايضا فهل اتخذت اى اجراء لمنعها أو ايقافها .

اللواء عثمان : لم يكن لي أى وسيلة لاتخاذ أى قرار ..

القاضي : لماذا ؟

اللواء عثمان : لأن القرار اتخذته قمة السلطة من الرئيس إلى نائب الرئيس .. الرئيس ذاته كان يعرف كل شئ ..

القاضي : اظنك موافق على أن المتهم الأول كان يمكن أن يقوم بالعملية دون أن يخبرك ؟
اللواء عثمان : نعم

القاضي : اشرح لنا كيف ؟

اللواء عثمان : تقديري كان مبلغ المليونى دولار التي طلبها اللواء عمر كمقابل لانه عندما طلب هذا المبلغ كان يعتقد أنه بحكم صلتى بالامريكان قد اعرف ذلك ولم يضع في اعتباره اننى سأعرف ايضا .. حتى آخر لحظة لم يكن يعرف .

القاضي : السؤال هو كيف يؤثر علمك أو عدم علمك في مسألة يعلمها بدون علمك ؟
اللواء عثمان : ربما اكتب أو اتصل بجهة عليا واقول إن هذه العملية مقابل صفقة وهو مالم يتوفر للمتهم الأول أو الثاني .

القاضي : أنت قلت إن ميلتون سلمك خطة وترجمتها وسلمتها للمتهم الأول .. متى ؟

اللواء عثمان : في ٧ أو ٨ مارس .. بعد خمسة ايام من زيارة جورج بوش .
القاضي : اذن كنت تعلم رسميا منذ ذلك التاريخ على الأقل ..
اللواء عثمان : نعم
القاضي : حسنا .. إذا كان واضح لك أن هؤلاء يهود هدفهم الوصول إلى اسرائيل لماذا
اعتقدت أن الامريكان خدعوا القيادة السياسية في ذلك ؟
اللواء عثمان : كنت اعتقد أنها ليست خدعة لأن المتهم كان يعرف .
القاضي : ولكنك قلت إنك خدعت فما هو الصحيح ؟
اللواء عثمان : المتهم الأول كان يعلم
القاضي : جميل ، بالنسبة لباقي القيادة السياسية هل تعتقد أنها كانت خديعة للقيادة
السياسية و
اللواء عثمان : القيادة السياسية هي الرئيس والمعلومات نقلت للرئيس فرما كان يعلم .
القاضي : وربما كان لايعلم أنهم ذاهبون إلى اسرائيل ، هل هذه حقيقة غامضة أو خافية ؟
اللواء عثمان : اعتقد انها كانت خافية
القاضي : اذن اين الخديعة ؟
اللواء عثمان : الخديعة في الكلام الذي قاله له المتهم الأول .. حسب مافهمه منه عندما قال
إنهم أعطوني مقابل وتحدث عن الاعلام الغربي .
القاضي : المتهم الأول بعد ذلك قال إنه لا يريد مبلغ المليونى دولار وإذا نزلت في حسابي
ساعيدها اليهم لما لم تذكر ذلك وكيف تفوت عليك واقعة هامة هكذا ..
اللواء عثمان : لا اذكر
القاضي : هل نوقش سفره لامريكا ؟
اللواء عثمان : اطلاقا
القاضي : بحكم موقعك في الجهاز عندما كان المتهم الأول رئيسك هل كنت تعلم سبب
السفر عادة ؟
اللواء عثمان : احيانا كنت اعلم وحيانا لا اعلم
القاضي : لا أقصد انك تعلم رسميا ، اقصد عندما يسافر المتهم الأول هل كنت تعلم ؟
اللواء عثمان : احيانا .. وسفر المتهم الأول لأمريكا لم يناقش
القاضي : اذن لماذا قررت إنه سافر لموضوع الفلاشا فقط ؟
اللواء عثمان : زيارة بوش واجتماعه مع الرئيس السابق والنائب الأول والضوء الأخضر أعطى

ايحاء بأنه سيسافر لهذا السبب .

القاضي : متى علمت لأول مرة بموضوع المليونى دولار ؟

اللواء عثمان : في اواخر نوفمبر أو أوائل ديسمبر .

القاضي : ما الذي منعك من ابلاغ الرئيس ؟

اللواء عثمان : لم يكن هناك وسيلة ، لأنه ابلاغ الرئيس يتم عن طريق د . بهاء .. وبهاء داخل في الموضوع .

ثم قدمت هيئة الاتهام اللواء الفاتح الجبلي نائب رئيس الجهاز كأحد شهود الاتهام وكان يشغل منصب مدير ادارة الأمن الداخلي في جهاز أمن الدولة لمدة اربعة سنوات . ومهمة هذه الادارة رصد النشاطات السياسية والنقابية الدينية والقبلية والمهنية ورصد اتجاهات الرأى العام وتقوم برفع تقاريرها إلى رئيس الجهاز ورئيس الجمهورية ووزير الدفاع ووزير الخارجية ومفتش عام الشرطة .

وبدأ استجوابه على النحو التالي :

ممثل الاتهام : متى وصل لعلمك لأول مرة موضوع ترحيل اليهود الفلاشا من السودان ؟
الجبلي : اذكر المرة الأولى عندما اثير موضوع تهريب بعض الفلاشا بواسطة اجانب ضبطوا في جوبا يقومون بترحيل لاجئين عن طريق نيروبي وتم ضبطهم في جوبا وارسلوا إلى الخرطوم وتابع امرهم فرع المخابرات المضادة في ادارة الأمن الخارجي وذلك عام ١٩٨٢ .

ممثل الاتهام : ومعلوماتك قبل نوفمبر « تشرين ثان » عام ١٩٨٤ ؟

الجبلي : كان قد ورد تقرير من كسلا بخصوص طائرات نزلت في منطقة خلوية نقلت بعض الناس حسب رواية سكان المنطقة ودار حديث حول تحليل هذه المعلومات لمحاولة حقيقة هذه الطائرات ، وكان أحد الاحتمالات أنها رحلت قبيلة الفلاشا اليهودية وكان هناك شك في بعض المنظمات التي تعمل في تلك المنطقة .

ممثل الاتهام : في المرة الثانية هل عرفت انهم فلاشا ؟

الجبلي : نعم

ممثل الاتهام : ماذا فعلت كادارة الأمن الداخلي لمواجهة ذلك ؟

الجبلي : حولت التقارير لادارة الأمن الخارجي واحطنا بها علما

ممثل الاتهام : هل وردك تقارير اخرى بعد ذلك ؟

الجبلي : نعم ، منها ما يشير إلى وجود شبكة تقوم بترحيل اليهود الاثيوبيين من السودان .

مثل الاتهام : ماهو دورك مرة اخرى الذى قمت به في ادارة الأمن الداخلي ؟
الجبلي : اعددت تقرير لرئيس الجهاز وضمنته ماورد من معلومات من الاقليم الشرقي وماورد في تقريرنا اليومي حول تدفق الفلاشا اليهودية الاصل واقتרכת تكوين لجنة تضم ممثلين من الجهاز والخارجية والداخلية لدراسة ظاهرة تدفق الفلاشا إلى السودان .

مثل الاتهام : وهل وافق رئيس الجهاز على تشكيل اللجنة ؟
الجبلي : وافق لوضع الاجراءات المناسبة ولكنها لم تتم ولم تفعل شيئا .

مثل الاتهام : وكيف سمعت بعملية موسى ؟
الجبلي : لم اسمع بها بصفة رسمية بحكم وضعى في الجهاز ، لم احط بها علما ولم اعرف اى تفاصيل عنها إلا بعد أن نشرت المعلومات عنها واذيعت في اجهزة الاعلام .

مثل الاتهام : متى سمعت عنها ؟
الجبلي : لا اذكر التاريخ ولكن بعد انتهاء العملية نفسها .

مثل الاتهام : ماهو الانعكاس داخل جهاز امن الدولة بعد اذاعة تفاصيل العملية ؟
الجبلي : كان يتردد في اوساط الضباط أنه تم في عملية سرية ترحيل بعض الناس عن طريق مطار الخرطوم إلى الخارج وتردد أن ذلك يتم باجراءات محدودة على اناس معينين في الجهاز لتأمين العملية وتكلموا أنهم فلاشا . وكان ذلك مبعث عدم رضا داخل الجهاز .

مثل الاتهام : في هذا الاجتماع هل نفى حدوث العملية ؟
الجبلي : لا اذكر أنه نفى ولكن اشار إلى أن العملية تتم بموافقة وعلم رئيس الجمهورية .

مثل الاتهام : كيف تتم وضع ميزانية الجهاز ؟
الجبلي : ميزانية الجهاز تضعها لجنة برئاسة نائب رئيس الجهاز وتبحث في مقترحات الميزانية وترفع توصية بمجمل ماتتوصل اليه لرئيس الجهاز .

مثل الاتهام : في بنود الميزانية هل هناك اشارة لتمويل الميزانية بالمعونات الاجنبية ؟
الجبلي : ابدأ ..

مثل الاتهام : الاعانات الخارجية للجهاز اذكر ماتعلمه عنها كيف تتم ؟
الجبلي : الجهاز يتلقى معونات من اجهزة أو دولة صديقة في شكل معدات ووسائل اتصال أو السيارات .

مثل الاتهام : بحكم طبيعة عملك .. هل وصلت إلى اعانات مالية نقدا ؟
الجبلي : لم اعلم بها .

مثل الاتهام : إذا كنتم في حاجة إلى اعانات مادية كيف يتم الطلب ؟

الجبلي : يطلبها الجهاز من الدولة .. من ادارة المالية
ممثلا الاتهام : اعطينا فكرة عن مبنى جهاز أمن الدولة المقترح انشاؤه وماتعلمه عن هذا
المبنى .

الجبلي : كان رئيس الجهاز يتحدث في كثير من الاجتماعات بأنه بصدد انشاء مبنى جديد
لأن المباني الحالية غير مناسبة وفي بداية مشروع رسوم البطاقة الشخصية اشار إلى أن رئيس
الجهاز وافق على تمويل هذه الرسوم لحساب خاص تخصص لبناء الجهاز وكنا نرى أن يتولى
ذلك وزارة الداخلية ولكن ذكر أنه حصل على موافقة رئيس الجمهورية .

○ ○ ○

الفصل الحادي عشر

« النطق بالحكم »

ازدحمت قاعة المحكمة بالصحفيين واقارب المتهم الأول وصغار المحامين فجلسة اليوم حاسمة وفي نهايتها سيصدر الحكم ، اقتربت الساعة من الحادية عشرة صباح يوم السبت ٨ مارس ١٩٨٦ عندما دخل اللواء معاش عمر محمد الطيب القفص في حماية الجنود ، كان بمفرده واصبح هو المتهم الوحيد في القفص بعد أن حصل المتهمون الأربعة الآخرون على العفو واعتبرت المحكمة أن اقوالهم مطابقة لما جاء في التحقيق الذي اجري معهم وكان النائب العام قد اتفق معهم على أن يتحولوا إلى شهود اتهام ويقولون كل ما يعرفون مقابل العفو عنهم بوصفهم شركاء في تنفيذ عملية ترحيل اليهود الفلاشا من السودان ذلك أن النائب العام ولجان التحقيق لم يكن بين ايديهم الادلة الكافية غير هؤلاء وهو اجراء قانوني سليم يلجأ اليه النائب العام في حالة عدم وجود الادلة الكافية لقضية تبدو ابعادها واضحة وتنقصها القرائن .

دخل عمر محمد الطيب المتهم الأول القفص بملايس السجن حيث كان حكما قد صدر عليه بالسجن لمدة خمس سنوات في قضية كان هو فيها المتهم الثاني تتعلق بالفساد الاقتصادي والمالي وسوء استخدام السلطة لجهاز أمن الدولة الذي كان يرأسه ، جلس وتبادل التحية مع اقربائه الجالسين في قاعة المحكمة الذين جاءوا من منطقة الزيداب بالاقليم الشمالي من قبيلة الجعليين التي ينتمي اليها .. عيناه زائقتان ويبدو عصيبا ، وضع ساقا على ساق .. اشار إلى محاميه بيديه علامة أنه متأسك ، قدم اليه محامية أحمد دياب اوراقا راح يقرأها ، اعتدل في جلسته وراح يتبادل الحديث مع محاميه وضحك بدأ كأن الأمر لايعنيه ، ثم جلس عاقدا يديه وهو يهز ساقه ثم يضرب الأرض بقدمه ضربات خفيفة .. وقد ارتدى حذاء من جلد النمر غالي الثمن .

دخل القاضي وخلفه هيئة المحكمة .. وصاح الحاجب محكمة ..

اكتملت قاعة المحكمة تماما من المحامين وهيئة الاتهام والصحفيين وإقارب المتهم وصغار المحامين ، ساد القاعة صمت إلا من أزيز المراوح التي كان تشغيلها ضروريا لتخفيف سخونة المكان والتي زادت اضاءا كاميرات التليفزيون .. قلب القاضي في اوراق امامه ثم تداول مع عضو اليمين وعضو اليسار .. وبدأ يتحدث ..

استهل حديثه بآيات قرآنية ثم صلى على رسول الله وصحبه وخص بالذكر الفاروق عمر ثم اعرب عن تقديره لهيئة الاتهام واشاد بقدرتها في انتزاع مبلغ المائة وخمسين الف دولار من بقايا المبلغ الذي قدمته السفارة الامريكية لجهاز امن الدولة لشراء بقية المعدات من اجهزة واتصالات وغيرها كما اعرب عن تقديره للمحامين الذين قاموا بواجبهم خير قيام وهم يعلمون سلفا موقف الرأى العام من الوقائع والاشخاص وقد اجتازوا الامتحان الحقيقي للمحامي الملتزم باخلاقيات مهنته وهى التصدي للدفاع عن المتهم الأول الذي حكم الرأى العام بتجريمه ومثوله امام المحكمة .

ثم قال :

« تتلخص وقائع القضية أن الفلاشا وهى قبيلة يهودية تعيش في منطقة جونداد بدأوا هجرة منظمة منذ مايو ١٩٨١ وتشير الدلائل أن جماعات منهم تسللت إلى السودان ثم غادرت خفية عن طريق الخرطوم — جوبا — نيروبي ، وعن طريق مجموعة غامضة من الأوروبيين كانت تستأجر قرية عروس ، كما سافرت مجموعة اخرى بطائرات كانت تهبط مطار كرساجو بالقرب من أركويت ، ومنطقة اخرى بالقرب من الشوك بالاضافة إلى مجموعة غادرت الخرطوم علنا .. وفي عام ١٩٨١ تنهت اجهزة الأمن لتحركات مريبة سبق أن تلقى جهاز أمن الدولة من جهاز الأمن الاثيوبي مايفيد بأن لديهم معلومات بأن الموساد الاسرائيلي يعمل في ترحيل الفلاشا من اثيوبيا عبر السودان واليونان وأن هذه العملية مرتبطة بجهاز الموساد .. شاركت الشرطة والاستخبارات العسكرية وأمن الدولة في التقصى والمتابعة واعتقل اثنان في جوبا عام ١٩٨٣ بتهمة تهريب فلاشا إلى نيروبي عبر جوبا واستدعى المتهم السفير الامريكى وابلغه رفض السودان لهذا العمل واعتذر السفير واعدا بعدم تكرار ذلك . وفي اوائل اكتوبر ١٩٨٤ تغير جهاز امن الدولة من الموضوع وامر المتهم شاهدى الاتهام الأول والثاني بالاشتراك في خطة رسمت في السفارة الامريكية على يد المدعو جيري ويفر مهدت إلى ترحيل من ٩ إلى عشرة آلاف من الفلاشا الموجودين في معسكر تواوا إلى الخرطوم بواسطة ٤ باصات ودفع جيري ويفر ٣٢ ألف جنيه نقدا ريثما يتم استيراد اربعة

باصات جديدة لهذا الغرض ، ومن الخرطوم يغادرون عن طريق الجو ووفر الاتصالات السلكية والنفقات اللازمة لخطّة الترحيل ودفع ستة آلاف جنيه لمنزل في القضايف واستأجر منزلا وضعت فيه ٣٠٠ برميل جازولين .. ووجه المتهم العقيدين بوجوب تنفيذ الخطّة الأمريكية والاقتصار على اعضاء الجهاز فقط بما في ذلك سائقي الباصات شريطة ألا تدخل الخرطوم قبل منتصف الليل وألا تهبط الطائرات إلا بعد منتصف الليل وأن يتم تحميلها من مكان يقع في جنوب المطار دون جوازات أو اجراءات صحية أو جمارك ، ومبالغة في الاحتياط طلب منهما الاتصال به مشافهة وعدم الكتابة اليه إلا في حالة الضرورة القصوى ويشار إلى العملية باسم « الشرق » كشفرة .

يواصل رئيس المحكمة حيثاته :

« سارت الأمور حسب الخطّة الموضوعة وكان جيري ويفر يتابعها شخصيا بعد أن يشرف على الترتيبات في القضايف ، وصاحب أول ناقلة تحركت في ٢١ نوفمبر ١٩٨٤ ، وتولت شركة الخطوط البلجيكية نقل الفلاشا وبلغ عدد السفريات ٢٨ سفرية في ٤٥ ليلة نقلت فيها ٦١٥٠ يهوديا ، تهبط ليلة وتغيب ليلة أخرى ثم صارت تهبط كل ليلة بناء على الحاح جيري ويفر وبناء على اوامر الدولة الى سلطات المطار لم تدون في سجل حركة الطائرات عن نوعية الطائرات أو مالكيها أو البلد القادمة منه والمسافرة اليه ، ولم تدون في سجل تحركات الطيران عن طريق الشركة أى معلومات عن الركاب ولا أى تفاصيل عما تحمله من أمتعه ولا شئ عن مواعيد اقلاعها أو هبوطها ولم يوقع مدير الشركة على الدفتر بتاتا كما هو المفروض . وكان جنود أمن الدولة يضربون سياجا مسلحا حول الطائرة لمنع كائنا من كان من الاقتراب منها أو ملاحظة مايجرى فيها .

وفي ليلة ٤ — ٥ يناير ٨٥ غادرت مطار الخرطوم الرحلة رقم ٢٨ وحدث ما لم يكن في الحسبان .. اذاعت محطة لندن تفاصيل القصة عن عملية الشرق وأكدت أن اليهود وصلوا اسرائيل من السودان بخط مباشر واوقفت العملية .

يواصل القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن قراءة حيثياته وقد سيطر السكون على قاعة المحكمة :

« وفي ٤ مارس ١٩٨٥ حضر جورج بوش نائب الرئيس الامريكى وكان المتهم مضيفه الرسمى وأثناء تلك الزيارة حصل بوش على استفتاء ترحيل اليهود بطائرات امريكية هذه المرة ، وفي ١٨ مارس سافر المتهم الى الولايات بطائرة عسكرية بصحبة ميلتون بيرون

رئيس المخابرات الامريكية في السودان واجتمع بضباط سلاح الطيران الامريكي وفي خلال عشر دقائق وافق على خطتهم التي تقضي بارسال طائرات عسكرية إلى العزارة لنقل اليهود من السودان وعندما عاد المتهم خابر القائد العام ووزير الدفاع وابلغهم أن هناك طائرات امريكية تحمل مؤنا للاجئين وطلب عدم تعرض الدفاع الجوى لتلك الطائرات وحضر فنيون امريكيون ومعهم وسائل الاتصال ..

وفي ٢٣ مارس ١٩٨٥ هبطت في مطار العزارة طائرات ونزلت من احداها فصيلة من البحرية الامريكية تولت أمن المطار وحملت ٤٥٠ من الفلاشا واقلعت بهم إلى غابة مجهولة .

بعد أن استعرض رئيس المحكمة وقائع العملية على هذا النحو قال إن المتهم يقف الآن وحيدا بعد أن منح الضباط الذين تولوا الاشراف على نقل اليهود العفو وهو يواجه تسع اتهامات .

(١) مخالفة المادة ٩٥ من قانون عقوبات السودان لسنة ١٩٨٣ وتنص على أنه يعد مرتكبا جريمة الخيانة ويعاقب بالاعدام أو السجن المؤبد وجواز التجريد من جميع الأموال أى شخص يحرض انخراط الجنود في دولة اجنبية أو يسهل لهم ذلك بما يضر مصلحة البلاد أو يتدخل في جمع الرجال والجنود والأموال لمصلحة دولة اجنبية بما يترتب عليه الاضرار أو يحتمل الاضرار بمصلحة البلاد .

والتهمة تتعلق بمدى مسئولية المتهم عن طريق ترحيل اليهود عبر السودان عن طريق جنود وضباط جهاز الأمن الذي يرأسه فقرر عدم وجود بيانات كافية للربط بين الجهاز ورئيسه وبين عملية النقل عبر ساحل البحر أو كرساجو أو المحرق أو جوبا — بيزوني إذ اجمع شهود الاتهام السابع والحادي عشر والرابع والثلاثين على أن جميع اجهزة الأمن قد استنفرت لايقاف تلك العمليات السرية واعتقال مدبريها حتى قبل أن تتضح حقيقة العمليات إن كانت تهريب بضائع أو فلاشا منظمة ووضح شاهد الاتهام الثاني أن جهاز امن الدولة بادر باعتقال اثنين من جوبا والتحقيق معهما لمدة شهرين فإذا اخلى سبيلهما لا تتفق مع الاتهام أنه سهل للأمريكيين ترحيل اليهود من جوبا أو منع الأجهزة المختصة من وقف نشاطهم ، ولم يقل أحد إنه تدخل بأى صورة لاخلاء سبيل الفلاشا في هذه العملية .. عثمان السيد (الشاهد السابع) الذى لايمكن اتهمه بالتحيز للمتهم حلف أن المتهم استدعى السفير الأمريكى ولفت نظره أن تهجير اليهود الفلاشا أمر مرفوض ولا تحمد

عقباه ، كل ما اورده الاتهام بترحيل اليهود عبر البحر الأحمر أو كرساجو أو المحرقات لا يعدو الاشارة إلى السلوك المريب للعاملين بقرية عروس ، ولم تقف رئاسة جهاز الأمن مكتوفة الايدى .. الشاهد ٣٤ مدير الاستخبارات العسكرية أكد أنه كان هناك تنسيق بين ادارته والبحر الأحمر والمحرقات ولم يعرف بترحيل الفلاشا إلا في ٣ فبراير ١٩٨٢ في منطقة المحرقات فإذا كانت المادة ٤/ ٢ من قانون الاثبات لعام ٨٣ تنص على أن الأصل براءة المتهم دون شك مقبول والقاعدة الراسخة عندما لا يصح استنتاج جرم المتهم من الوقائع فقط إلا إذا كانت القرائن تتعلق ببراءة المتهم وفيما عدا ذلك من واجب المحكمة اعطاء المتهم فائدة الشك وهى سابقة فى السودان عام ١٩٥٠ ، والاتهام لم يقدم إلا واقعة وحيدة من ١٩٨١ — ١٩٨٤ ، هذه الواقعة لا ترقى إلى تحريم المتهم وعليه فإننا ننفى مسؤولية المتهم حتى فبراير ١٩٨٤ .

هكذا برأت المحكمة اللواء عمر الطيب من العمليات التي كانت تتم في الظلام من وراء ظهر اجهزة الأمن واعتبر أن ما قدمه الاتهام لا توجد فيه بينة بل أن استدعاء المتهم للسفير الأمريكي ولفت نظره اعطى للمحكمة شكاً في الجريمة مما جعل المتهم يستفيد من هذا الشك فبرأته المحكمة لكن عندما جاء ذكر تفاصيل العملية التي عرفت باسم « عملية موسى » ادانته المحكمة فهو يقول إنه امر بالاشراف على نقل ٢٥ ألف لاجيء اثيوبي من القضايف إلى الخرطوم لترحيلهم إلى أوروبا وأمريكا وكندا ضمن برنامج إعادة توطين وبالتنسيق مع السفارة الأمريكية التي ستقوم بدفع النفقات وعلل تصرفه هذا بأنه تنفيذ لأوامر الرئيس السابق . ونفى علمه أن المقصودين بالترحيل كانوا من اليهود دون غيرهم من اللاجئين وفسر المتهم السرية لاسباب منها أن اعلان ترحيل ٢٥ ألف لاجيء قد تؤدي إلى خفض العون للسودان واغراء مزيد من الشباب الاثيوبي بالهروب بغية الحصول على فرص الهجرة مما يخلق حساسيات وتعقيدات سياسية مع اثيوبيا .

ويتبادل القاضي بالتفصيل والتحليل الاتهامات حتى يأتي حكمه دقيقاً وعادلاً فهو يقول إن المادة ٨٧ د عقوبات تتكون من شقين اركان كل شق على حدة العكس هو الصحيح فعدم ثبوت أى ركن في الشق الأول يبرئ المتهم وفي الجزء الثاني من المادة ادين المتهم بصرف النظر عن تبرئته ، فالقسم الأول من المادة ٩٧ د « هل حرض جنوداً من القوات النظامية على الانخراط في خدمة دولة اجنبية أو سهل ذلك ؟ وإذا ثبت ذلك فهل يترتب على التحريض اضرار بمصلحة السودان ؟ بالنسبة للسؤال الأول لاند أن تحدد معنى التعبير الاساسي وهو « الانخراط » في خدمة دولة اجنبية ولم نجد لكلمة الانخراط هذه

تفسيرا في صلب قانون العقوبات فبحثنا عن المعنى في اللغة العربية استنادا على المادة ٧٠ في قانون تفسير القوانين لسنة ١٩٧٤ . في باب (خرط) ص ٥٢٥ من الجزء الأول من قاموس محيط المحيط ١٩٧٠ لبطرس البستاني — « انخرط الخرزة في السلك .. أى انتظمت » ، والانخرط في دولة اجنبية يعنى الانتظام في قوانين تلك الدولة ونظمها والانضواء تحت لوائها والانتماء لها مثل الخرزة تصير جزءا لا يتجزأ من العقد .. ولذا نعتقد أن تكليفه لضباط وجنود لمهمة محدودة لصالح دولة اجنبية لا يمكن اعتباره تخريبا للوجود على الانخرط في دولة اجنبية ، وبذا عدم انضباط الشق الأول من المادة ٩٧ د .

الشق الثاني من المادة ٩٧ د

الاسئلة هي :

- ١ — هل كان الذين يتم ترحيلهم بأمر المتهم من القضايف إلى الخرطوم ومن الخرطوم إلى الخارج هل كانوا يهودا اثيوبيين أم مجرد لاجئين اثيوبيين بصرف النظر عن معتقداتهم ؟
- ٢ — لو كانوا يهودا فهل كان المتهم يعلم بهذه الحقيقة ؟
- ٣ — هل ترتب اضرار بمصلحة السودان ؟

٤ — هل يصح القول إنه عمد إلى ترحيل اليهود من السودان لمصلحة دولة اجنبية ؟
تحميل الاجابة على السؤالين الأول والثاني معا وأول ماتبينه على لسان المتهم عند تكليفه الشاهد الثاني والثالث قال له إن هناك توجيهات قد صدرت لأمريكا بتجهيز اللاجئين في الاقليم الشرقي ضمن برنامج اعادة التوطين وابدى الثاني والثالث اعتراضهما باقحام برنامج اعادة التوطين وابدى الثاني والثالث اعتراضهما باقحام جهاز أمن الدولة في تلك المهمة المريبة فقال لهما إن القرار صادر من رئيس الجمهورية وأنه لايعارض في خروج اليهود من السودان .. اوضح لهما أن اقرار المتهم لهما التوجه إلى السفارة الأمريكية وعادا إلى المتهم بخطة كاملة في ورقة مطبوعة اعددها الامريكيون مسبقا ٩ إلى ١٠ آلاف لاجيء يتمركزون في ود الحليو وتواوا وأم راكويه وود شريفى ، واعتبار تواوا نقطة التحرك واعداد اربعة باصات ومعدات لاسلكية ونقل جوي من مطار الخرطوم ورفض المتهم اجراء أى تعديل في بنود الخطة وتنفيذها بحذافيرها وأن الأمريكيين وحدهم سيتولون النفقات وتأكد من قناعة ماورد على لسان الرائد فؤاد بندر عندما ذكر أنه عندما وصل معسكر تواوا وجد ويفر ونيكولا في اقصى المنطقة القريبة من المعسكر وهى مخصصة لسكنى الفلاشا في المعسكر .

وتقول حيثيات رئيس المحكمة « لكل ذلك وقر في انفسنا أن اللاجئين الاثيوبيين الذين يتم تهجيرهم من مطار الخرطوم في عملية موسى كانوا يهودا وأن المتهم كان يعلم منذ

بداية التخطيط .

ثم يقول :

السؤال الثالث هو حول أثر تهجير اليهود على السودان ، وهذا يقود إلى العلاقة بين اليهود ودولة اسرائيل والعلاقة بين امريكا واسرائيل وانعكاس ذلك على العلاقة بين اسرائيل ودول الشرق الأوسط .. المعروف أن اليهود كانوا يعتقدون أن الرب وعدهم بالعودة بعد فرقتهم وأنهم سيبنون هيكل سليمان وقيمون دولة اسرائيل ويسيطر سلطانهم على المعمورة ، هذا الحلم احد الاسباب الذي حدا بهم إلى الانعزال عن الآخرين في أى مجتمع وجدوا فيه فانفردوا بحياتهم وملبسهم ومأكلهم ولغتهم وحرمتهم مما اوجد عندهم ما يعرف بعقلية الجيتو وعداء نحو الآخرين وباستثناء العرب ، بادلهم الآخرون نفس الشعور وضربوا عليهم الذلة خارج الدولة الاسلامية وتشبثوا بحلم العودة إلى الأرض التي تستقبلهم باللبن والعسل والسيادة على الآخرين خاصة بعد كارثة اوروبا ودفعهم اليأس إلى اعتناق الصهيونية واساسها عنصري وتأسيس دولة يهودية في أى بقعة من العالم استقرت على فلسطين ، وجاء وعد بلفور وانفقوا الأموال الطائلة في شراء الأراضي تحت ستار الاستيطان الزراعي وهى في الواقع مستوطنات عسكرية حشدوا فيها شباب اليهود واستغلوا الحرب العالمية الثانية وتطوعوا في صفوف الحلفاء للحصول على ميزة عسكرية ضد العرب والمصريين بالذات ، اختاروا المعارك في اراضي صحراوية تشابه الصحراء العربية وقرسوا بالحرب قيادة وضباط وجنود وانقلبوا على الانجليز حلفاء الأمس وانكبوا على قتال العرب ، ولم يكن حظ القوات العربية احسن من حظ الفلسطينيين واجتاحوا مصر وسوريا والاردن ولبنان وشنوا الغارة على العراق وتونس .. ومازالوا يتلمظون . وكان لهم دور في تدريب المتمردين في جنوب السودان في اسرائيل من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٢ .

واصل القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن حيثياته قائلا :

هذا هو حال العرب ومنهم السودان ، واسرائيل حريضة على أن تظل يدها هى العليا وبذا تحتفظ بقوى عسكرية هائلة بحيث تضمن التفوق العسكرى على كل الدول العربية مجتمعة معتمدة على امريكا اقتصاديا وسياسيا وعسكريا منذ اعلان انشائها وهم يخشون من تفوق العرب وما تجربة حرب رمضان ببعيدة عن اذهانهم ولدى العرب ميزة التفوق البشري واسرائيل غير قادرة على مجاراة التفوق البشري العربي والعرب يتعلمون من هزائمهم واسرائيل غير قادرة على تعويض خسائرها البشرية والزمن ليس في صالحها وهى تعى ذلك جيدا ولذا تسعى لاستقطاب يهود الدنيا قبل أن يهاجمها العرب المسلحون يوما ما .. وهنا تكمن

القضية :

هؤلاء المعزولون من أهل ملتهم منذ ١٥٠٠ عام هم الرصيد البشري الذي تلهف عليه اسرائيل لخلق حد ادنى من التوازن البشري بين اسرائيل والعرب وسياستها تسهل لهم التسلل إلى افريقيا وابوابها تفتح لها التجسس والتخريب في أكثر بلد افريقي بتهريهم .. والمتهم سمح بسفرهم وإذا كان نفى علمه بذهابهم إلى اسرائيل بل يكفي احتمال ذهابهم إلى هناك ، إن مجرد الاحتمال يترتب عنه تلك الاضرار فإذا كان ذهابهم إلى اسرائيل يعتبر اضرارا بالأمن السوداني حسب قول الدفاع وإذا لم يذهبوا فهل كان واردا ذهابهم إلى اسرائيل الرد بالانجباب ويقال عن الفعل إنه يحتمل أن تكون له نتيجة معينة إذا كان حدوث الفعل لايبعث الدهشة عند الرجل العادي ، الكل يعرف حاجة اسرائيل إلى القوى البشرية وظروف اليهود الاثيوبيين ومعتقداتهم ليست بعيدة عن اسرائيل ويبدو لنا أن الرجل العادي لن تصيبه الدهشة بأن جماعة من اليهود قوامها ٦١٥٠ فردا سافروا من السودان في جو سري إلى اسرائيل ، يجدر بنا أن نلاحظ أن الشاهد الثالث والعشرين وهو وزير الداخلية الذي تتبعه ادارة اللاجئين اقر بالسماح لهجرة اللاجئين بشرط عدم التوجه إلى اسرائيل وجنوب افريقيا فإذا كانوا من اليهود الفلاشا فقط فمن الذي در خروجهم .. لماذا لم تستخرج اوراق السفر ويسافرون جهارا ودون ادنى أى تدخل من جهاز أمن الدولة أو جهة اخرى ولايفيد قول الدفاع أن وجهتهم بلجيكا ..

لهذه الاسباب قررنا أن قيام المتهم بتهجير اليهود يحتمل أن يسبب ضررا للسودان باحتمال ذهابهم إلى اسرائيل .

ويشير رئيس المحكمة نقطة هامة في حيثياته وهو يتساءل لماذا حرص المتهم على كتمان ترحيل هؤلاء اللاجئين عن اللجنة الفنية داخل الجهاز وعن مجلس الامن القومي ولجنة تنسيق العمل الاستراتيجي التي تضم مدير الأمن الخارجي والخابرات الخارجية والمتابعة والتنفيذ والتحرر واللاجئين ومديري الادارات السياسية ووزارة الخارجية ، ثم كتمان الأمر على جميع قيادات الأمن بمن فيهم اللواء كمال حسن أحمد وعثمان السيد مسئول الأمن الخارجي والفتاح الجبلي مسئول الأمن الداخلي ومطار الخرطوم ، وحتى بعد افصاح الأمر لماذا غرر بوزير الخارجية والاعلام ولماذا فرض على وزير الخارجية اذاعة بيان صيغ في جهاز أمن الدولة ولماذا انكر في مؤتمر تنويري لضباط الجهاز حدوث أى ترحيل للفلاشا من السودان .

ثم يقول :

خلاصة ما توصلنا اليه أن امريكا ليست هى الدولة التي دبر المتهم نقل اليهود

لمصلحتها لأنها لم تكن في حاجة إلى طاقة الاحفاء هدف برىء فالسودان واثيوبيا ملتزمتان بتوطين اللاجئين يهودا أو غير يهود ومازالوا يفعلون دون أى عائق ، لماذا بذل المتهم والامريكان جهدا للمحافظة على سرية العملية وهو يعلم كما يعلم الامريكيون أن وجهتهم اسرائيل وليس أى مكان آخر في الأرض ولعلنا نذكر نداء الرئيس السابق بترك يهود السودان اسرائيل والعودة إلى السودان ، مبالغة في السرية في وقت تستضيف فيه السودان جيش التحرير الفلسطيني .

تتلور الصور وتسقط كل الأقنعة عن جميع الوجوه عندما نأتي إلى ذكر العملية الثانية التي عرفت بعملية سبأ .. يقول المتهم إنه سافر في ١٨ مارس ١٩٨٥ بهدف الحصول على معونات من الامريكيين لمواجهة ظروف التصحر والاجتاعات تمت مع مستر جورج بوش ومقابلة مستر كيسى مدير المخابرات الامريكية عرضا لكنه يقر أنه اجتمع بضابط سلاح الطيران الامريكى واتفق معهم على خطة ترحيل الفلاشا من العزارة رأسا بطائرات امريكية وقد صحب معه ميلتون بيرون في الطائرة .. وموسى اسماعيل اقسام إن المتهم ابلغه في واشنطن بترحيل بقية اليهود الفلاشا ولم يبق غير تحديد المكان المناسب لتزويد الطائرات بالوقود والامريكان يريدون الموعد ٢٢ مارس وهو يريد بعد اسبوع — ثم شهادة الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب أن المتهم اتصل به تليفونيا شاكيا من « البلاوي التي وقعنا فيها » وسؤاله هل عندكم خبر أن فيه طائرات امريكية ستنقل فلاشا .. وأكد الشاهد موسى اسماعيل أن الاجتماع في امريكا لم يكن في بيت أو مكتب بوش وإنما كان في مكتب مدير المخابرات الامريكية وحضره كيسى واقتصرت العملية على ترحيل ٤٥٠ من الفلاشا بواسطة ١٠ طائرات نقل حربية . خطة اعدت سلفا بواسطة ميلتون وسلمت للمتهم قبل مغادرته الخرطوم .

ثم يقول رئيس المحكمة :

« إن عملية سبأ كانت وصلا لعملية موسى بنفس الاسلوب ونفس الجهاز والاشخاص والهدف منها ترحيل نفس الفلاشا إلى نفس المكان الذي سافرت اليه المجموعة الأولى إلى اسرائيل .. قبل عملية سبأ تكررت زيارات الامريكيين للجهاز وقام الامريكان بفرز الفلاشا من بين بقية اللاجئين ومنذ يوم ١٨ مارس نقلوا بباصات وفي ٢٢ مارس بدأ هبوط الطائرات الستة وحصلت كل طائرة على ٩٠ فردا من الفلاشا ونزلت طائرات وانزلت ١٥ طن مواد تموينية وكراتين مياه معدنية .

من كل ذلك يتضح أنه مخطط لجهاز الموساد قام بالتنفيذ نيابة عنهم السي إى ايه لاعتبارات عملية لاتخفى على احد .. جييري ويفر كمنسوب للموساد أو السي إى ايه هو واعوانه نيقلوا وشارلز وغيرهما ويبدو جليا دور المتهم وقصته من الضباط .. تتفق مع دانيال دينج أن الأمريكيين لم يكونوا غير وكلاء لاسرائيل .

وإذا كان المتهم يقول إنه كان ينفذ تعليمات الرئيس فكما يقول الحديث الشريف « لا طاعة لمخلوق على معصية الخالق » فبنفس القدر تقول لا طاعة لمروؤوس لمخالفة القانون مخالفة بينة ، وقد ثبت لنا أن المتهم كان يعلم بهوية المهجرين . وأن طريقهم إلى اسرائيل ، وإننا في حالة حرب مع اسرائيل وأن قانون جهاز الأمن على « محاربة الصهيونية واجهزة مخبراتها سواء كان ذلك داخل الجمهورية أو خارجها » وكتان الأمر يجعله مسئول مسئولية شخصية ..

ولذلك قررنا ادانة المتهم في المادة ٩٧ ..

التهمة الثانية :

مخالفة المادة ٩٧ د وقانون مكافحة الثراء لسنة ١٩٨٣ « أى شخص يطلب من دولة اجنبية لنفسه أو لغيره اموالا .. »

استبعدنا النقود التي دفعها جييري ويفر لاستئجار المنزل والخزن ولم يثبت أن ذلك كان لصالح المتهم ، تبقى مسألة المائة وخمسين الف دولار التي سلمها جييري ويفر في اواخر فبراير وتسلمها مدير مكتب المتهم واحتفظ بها في الخزنة الخاصة باوراق المتهم الشخصية كأمانة ولم يدرج في دفتر العهدة أو يسلمه لجهاز الأمن الجديد بعد الانتفاضة وإنما اخذه الى منزله ، وهذا المبلغ عبارة عن بقية مبلغ دفع كمعونة من المخابرات الامريكية لجهاز أمن الدولة بغرض شراء سيارات منذ ١٩٨٤ ولم يأتي إلا في مارس ١٩٨٥ ، وكان ميلتون قد دفع ١٥٠ ألف دولار في نهاية عام ١٩٨٣ واشترى بها ١٥ سيارة من لندن وصلت في النصف الأول من عام ١٩٨٤ .

وفي هذه التهمة اعطينا المتهم فائدة الشك رغم سلوكه المريب .

يواصل رئيس المحكمة حيثاته :

يبقى مبلغ المليونى دولار .. وهو المبلغ الذي طلبه المتهم لبناء الجهاز حول هذا الموضوع ثبت أنه تم تحويل مبلغ ٥٥٠ ألف جنيه استرليني من حساب البطاقة الشخصية إلى حساب رقم ١١٩٤٥٠٠ بنك لويديز في لندن باسم مشروع مباني النيل الأزرق وقد تم

احالته إلى بنك لويدز في بروكسل للحصول .. البنك العربي في لندن واضيف إلى حساب المستفيد والمستفيد هو مباني مشروع النيل الأزرق .. وذكر المتهم أنه حول المبلغ على حساب ١٦٦٦٢٢ بنك لويدز بلندن وهو حساب مدير مشروع البناء المعين من قبل شركى ومبى وبالنسبة للمشروع ببناء الجهاز لانعتبره مشروعاً وهمياً ففي ابريل ١٩٨٤ حمل المتهم رسائل الجهاز إلى رؤساء الدولة العربية يطلب العون لاستكمال المكون الاجنبى للمشروع وحمل رسائل مماثلة لرؤساء اجهزة الأمن وكانت تكلفة البناء « ٢٠٠ مليون / جنيهه) ولن تدرج في الميزانية لأنها ليست من الاسبقيات . وعلى هذا تقرر المحكمة أن المادة ١ من قانون مكافحة الثراء الحرام لاتنطبق على المتهم .

واصل رئيس المحكمة حيثياته :

التهمة الثالثة :

وهى مخالفة المادة ٩٧ ج من قانون العقوبات وعناصر الجريمة هى تعمد من يكلف بالتفاوض مع دولة ما في شأن من شئون السودان مما يضر مصلحة السودان ..

ورأينا أنه لم يكن مكلفاً باجراء اية مفاوضات لا مع امريكا أو اسرائيل وإنما كان يؤدي دوراً مرسوماً اعده « السى إى ايه » والموساد لتهريب يهود اثيوبيا إلى اسرائيل .

التهمة الرابعة :

مخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات — ارتكاب أو الاشتراك والتحريض والمساعدة بأى وسيلة على ارتكاب ما من شأنه أن يؤدي إلى المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة اراضيها أو سيادتها ..

وفي هذا نرى أن سيادة دولة ما يعتمد على الزاوية التي ينظر اليها الباحث فحتى الدول الكبرى ليس كاملة السيادة إذا نظرنا اليها من ناحية اتفاقاتها الدولية مثل اتفاقية التجارة الحرة التي تلزم الدولة السماح لدولة اجنبية بمناقشة السلع المحلية ، ومنها عدم خضوع السلك السياسي لقوانين الدولة ، ويفترض في هذه الاتفاقيات على قاعدة المعاملة بالمثل ومصلحة الدولة الموقعة . ويرى « ابان براولى » أن الدولة التي تكون تابعة هى التي تقبل تدخل دولة اخرى في شئونها وأن لم تكن هيئة الدولة تامة أو دائمة .

وهنا نرى أن تكليفه لجنود جهاز الأمن بتنفيذ تعليمات ميلتون وويفر هى مخالفة في اجدييات عمل المخابرات فقد هباً لجهاز السى إى ايه وربما جهاز الموساد فرصة اقتران جهاز

الأمن السوداني وتجنيد عناصره كعملاء مزدوجين حين سمع باستلام نقود من عملاء المخابرات الأمريكية أو الاسرائيلية بحجة استئجار منازل أو سيارات ووفق المخطط الاسرائيلي أو الامريكى بهبوط طائرات امريكية في عمليات خاطفة يتعارض مع مبادئ السودان وتعاقداتها مع الدول العربية بالنسبة للصراع الاسرائيلي العربي وتضع السودان إلى جانب اسرائيل ضد العرب ووضعها في موضع دولة عملية للولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل .

ويمثل هذا ادانة للمتهم بمخالفة المادة ٩٦ ب من قانون العقوبات ..
التهمة الخامسة :

وهي مخالفة المادة ٩٦ د وهي الاتصال بدولة اجنبية أو التخابر معها للقيام بأعمال عدائية ضد السودان بما يضر بمركز البلاد الحربي والاقتصادي والسياسي أو معاونة الدولة في العمليات الحربية ضد البلاد والاضرار بهذه العمليات .

ترى المحكمة أنه ليس في بينة الاتهام أن المتهم تأمر بهدف قيامه في المستقبل بأعمال عدائية ضد السودان وعلى هذا تبرئ المتهم من المادة ٩٦ د .

التهمة السادسة :

مخالفة المادة الثانية من قانون مقاطعة اسرائيل « يحظر على أى شخص أن يعقد بالذات أو الوساطة اتفاقا من أى نوع من أى اشخاص في اسرائيل أو يعملون لحسابها » والثابت أنه عقد اتفاقا مع اشخاص يعملون لحساب اسرائيل وعلى هذا تدين المحكمة المتهم لمخالفة المادة السابقة .

التهمة السابعة :

مخالفة المادة ٤٥٧ عقوبات وهي المشاركة في ادارة أو مساعدة أو ادارة في شبكة منظمة لارتكاب أى جريمة يعاقب عليها بحيث يشكل بالفعل خطرا على النفس أو الأموال أو افساد الحياة العامة .

ترى المحكمة أن هذه المادة لاتنطبق على أفعال المتهم وتنطبق على عصابة من المجرمين .

التهمة الثامنة :

مخالفة المادة ٧٠ من قوانين الطيران والمادة ١٤ التي تحظر على الطائرات الاجنبية إلا بترخيص من الطيران المدني ووزير الخارجية بعد التشاور مع أى وزير آخر يهمه الأمر في

حالة الطيران الحربي ، والمتهم اتفق سرياً مع مدير المخابرات الامريكية على انزال الطائرات العسكرية في مطار العزازة رأساً دون ابلاغ الجهات المعنية وساعد عن طريق عدم تبليغ تلك الجهات لذلك قررنا ادانة المتهم لمخالفته المادة ٧٠ من قوانين الطيران مرقرة مع المادة ٧٤ من قانون العقوبات .

التهمة التاسعة :

مخالفة المادة ٤٢ من قانون حوازات السفر التي تمنع العور إلى المناطق الخاصة بالدخول والخروج والمادة ١١ التي تمنع المعادرة دون حيازة تأشيرة خروج وكان يجب أن تتم السفريات من مطارات الدولة التي تتوفر فيها خدمات الجوازات والصحة والعزازة ليس بها مطار اصلاً وإنما فسحة من الأرض غير مسورة ولا تحمل أى انية أو انشاءات . والعزازة ليس مكاناً مخصصاً للخروج من السودان والمتهم دبر سفر اليهود من الخرطوم والعزازة دون علم الطيران المدني ، ولهذا تدين المحكمة المتهم لمخالفته المادة ٤٢ من قانون حوازات السفر والهجرة مرقونة بالمادة ٨٤ من قانون العقوبات .

بعد أن فند رئيس المحكمة كافة الاتهامات وموقف المحكمة منها قال إن المحكمة راعت نص المادة ١٤٨ من قانون الاجراءات الجنائية الذي يمنع عقوبة الاعدام إذا كانت الادلة في هذه القضية جاءت على لسان المتهمين الأربعة باتفاق مع النائب العام بمنحهم العفو فإن المحكمة تقرر العقوبات التالية على المتهم عمر محمد الطيب :

- (١) مخالفة المادة ٩٧ من قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣ — السجن المؤبد
- (٢) مخالفة المادة ٩٦ من قانون العقوبات — السجن المؤبد
- (٣) مخالفة المادة ٩٧ د من قانون الثراء الحرام — سجن ٣ سنوات وغرامة ٢٤ مليون جنيه و ١٢٠ ألف جنيه وفي حالة عدم الدفع السجن ١٤ سنة .

تحصل الغرامة عن طريق المادة ٢٤٩ من قانون الاجراءات الجنائية بالاستيلاء على منقولات المتهم وعقاراته وهى قطعة ارض رقم ٢٦ — ٥ ج د في كوبر — قطعة أرض رقم ٣٣٦ مربع ٣ بحلفا الجديدة — قطعة ارض رقم ٣٣ — ٢٢ الدامر ساقية ١ بالزبداب ١٦٠٠ بربر ، قطعة ارض بمنطقة السبيل الساقية ١٦ مركز بربر .

السيارات : ثلاث سيارات روفر رقم ٣٦ ، ٥٧ ، ٥٨ وثلاث سيارات مرسيدس ارقام ح ز ٣٨١٦ ، ح ب ٧٧٣٧ ، ح ب ٧٧٦ وسيارة لاند كروزر رقم ٣ خ ٥٢٨ .

- (٤) لمخالفة المادة ٧٠ من قانون الطيران — السجن لمدة سنة وغرامة الف جنيه وفي

حالة عدم الدفع الحبس سنة اخرى .
(٥) مخالفة المادة ٤٢ — ٢ لقانون جوازات السفر والهجرة السجن لمدة ستة اشهر
والغرامة مائة جنيه .
تصادر مبلغ المائة والخمسين الف دولار المعروضة وتسلم اجهزة اللاسلكي لأجهزة
الأمن ..
ساد هرج داخل القاعة وخرج عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة السابق
والنائب الأول للرئيس السابق من القفص إلى السجن ليقتضي عقوبة قدرها ٥٤ عاما ..

○ ○ ○

الفصل الثاني عشر

وضع الفلاشا داخل اسرائيل

في أول أكتوبر عام ١٩٨٥ أى بعد وصول افواج من افراد قبيلة الفلاشا الاثيوبية كتبت صحيفة «محمية» الدينية اليهودية تطالب بإعادة اليهود الاثيوبيين الذين لا يريدون أن يدخلوا في اجراءات تهويدية بإسرائيل إلى بلادهم الأصلية اثيوبيا ، والصحيفة قد تكون غير واسعة الانتشار لكنها تعكس اتجاهات خامات إسرائيل إذ يغلب عليها الطابع الدينى ويحررها الحاخام « إسرائيل ابجتلر » .

قالت الصحيفة فى مقالها الذى جاء تحت عنوان « السود إلى افريقيا » أن من فكر بتهجير السود الاثيوبيين إلى إسرائيل قد ارتكب فعلة شنيعة بهم وبنا لاننا لانعرف من الذى حدد أن هؤلاء يهود .

تعترض الصحيفة ذات الاتجاه الدينى على وجود هؤلاء الفلاشا فى المجتمع الاسرائيل لأنه على حد قولها « هناك شعور بأن من الممكن احضار يهود بالملايين من نيجيريا والهند وحتى من افغانستان يقيمون طقوسا وشعائر قريبة من اليهودية ولسنا نحن الذين نحسم الأمر لكن الأمر الواضح هو أنه إذا كانت هناك امكانية لجعل هؤلاء يهودا فإنها ستكون طريقة التهويد ولهذا فإن من يريد التهويد بالحياة اليهودية فى الأرض المقدسة فإننا نرحب به ، ولكن من يريد محاربة الحاخامية ومن يريد أن يفرض على اليهود دينهم ومن يريد أن يضيف مصيبة إلى مصائبنا فليرجع إلى أرض السود وسوف نبعث له بكميات الغذاء التى يريد بها بشرط ألا يأقنى هنا وألا يهدد حياته وينغص علينا حياتنا ففي أرض السود هناك سيكون أكثر امانا فهناك عاش آلاف السنين ، ومن الممكن هنا أن ينقلب إلى عداء لليهودية ويجب أن نعيد إلى اثيوبيا من لا يريد أن يعيش كاليهود فى بلادهم » .

وفي اعتقادنا أن هذه الصحيفة ومن يحررها عبرت عن الاتجاه الحقيقي داخل إسرائيل بصدق تجاه هؤلاء الفلاشا فلم تخف العنصرية الاسرائيلية التى يتميز بها يهود الاشكناز عن يهود السافروديم . وقد عانى اليهود السود الذين يبلغ عددهم ١٤ ألف داخل

إسرائيل حتى قبل وصول الفلاشا اليهم فهم يسكنون مناطق صحراوية جنوب إسرائيل بالقرب من مدينة بئر سبع ، وقسم قليل منهم يقيم في احياء فقيرة جدا إلى الشمال من ديمونا ، وتفشي البطالة فيهم بنسبة ٩٠ بالمائة وهؤلاء اليهود السود هاجر معظمهم من الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية وجنوب افريقيا ويحتلون المرتبة الدنيا في المجتمع الاسرائيلي وقد بلغ بهم الشعور بالاضطهاد إلى حد أنهم حاولوا الانتحار الجماعي عام ١٩٨٠ فقد خططوا للتوجه إلى اقصى الجنوب في صحراء النقب من أجل الانتحار للفت انظار العالم اليهم لكنهم عدلوا في اللحظات الأخيرة بعد أن كشفت الشرطة أمرهم . ويعيش في إسرائيل منذ أكثر من ١٥ عاما الفا يهودي اسود جاءوا من أمريكا لاتعترف بالحامية بهم ولذلك لايتحق لهم البقاء أو الحصول على الجنسية الاسرائيلية ويقول زعيمهم « بن عامى » إنهم من قبيلة واحدة انتقلوا إلى افريقيا عام ٧٠ قبل الميلاد ثم نقلوا إلى أمريكا كعبيد عام ١٤٤٢ .

لهذا لم يكن غريبا أن تتظاهر مئات من اليهود الاثيوبيين بعد وصولهم إلى إسرائيل امام الكنيست الاسرائيلي في فبراير ١٩٨٥ احتجاجا على المعاملة المهينة التى يلاقونها من كبير حاخامى إسرائيل ، وسار المتظاهرون في مسيرة من الكنيست إلى وسط المدينة وقالوا إن ما أثار غضبهم بصورة خاصة مطالبة كبير الحاخاميين بوجوب اجراء عملية ختان لهم فور وصولهم إلى إسرائيل مما يعتبر إهانة لهم تتجاهل حقيقة محافظتهم على يهوديتهم خلال البقاء في مدن افريقية منعزلة وقال هؤلاء المتظاهرون إن اليهود المتدينين طردوهم عندما حاولوا الصلاة مقابل حائط المبكى .

تقول الحقائق إن اليهود الفلاشا بعد وصولهم إلى إسرائيل عوملوا أسوأ.معاملة لاتتفق مع الدعاية الصهيونية التى احيطت بها عملية ترحيلهم من اثيوبيا بطرق سرية بعد اكتشافها حيث صورت هذه الدعاية أنهم نقلوا لاسباب انسانية وانقاذا لهم من المجاعة وتخفيفا للضغط على الدول التى تستضيف اللاجئين ، لقد وضعوا في معسكرات في عسقلان ثم نقلوا إلى ماطق صحراوية وحرى تدريب القادرين منهم على العمل العسكرى ، ولم تخف المشرفة الاجتماعية بوديت ابراهام تأففها منهم حيث قالت « لم اعرف كيف اتصرف معهم فهم يرفضون انتعال الاحذية ولا يعرفون استعمال الأواني المنزلية ويظنون إلى كل شئ عصرى بغرابة » وبنفس القدر لم يخف الشباب الذي اتيح له قدر من التعليم شعوره تجاه المعاملة التى قوبل بها فقد قال شاب من الفلاشا بعد وصوله إسرائيل « نحن اليهود السود سعداء لاكتشافنا أن هناك يهودا بيض لكننى لست متأكدا على الاطلاق ما إذا كان اليهود البيض

سعداء لاكتشافهم أن هناك يهودا سود .

وقد أثار وصولهم جدلا في الأوساط الاسرائيلية وخاصة داخل الكنيسة حيث احتج بعض الاعضاء على تهجير اليهود السود القادمين من معسكرات افريقيا إلى اسرائيل بل طالب بعضهم بطرد جميع اليهود السود في اسرائيل ، وكانت وجهة نظر هؤلاء أن يهودية الفلاشا غير مؤكدة فلدتهم تعدد الزيجات والقانون اليهودي يمنع الزيجات المختلطة ولا يمارسون الشعائر الدينية طبقا لتعاليم الحاخامات ولا يعرفون من اللغة العبرية شيئا ، ومن بين الذين عارض تهجيرهم يوسف بورج وزير الاديان ووصفهم « بالاخوة » بينما تحمس لهم الحاخام « اومفاديا يوسف » ودافع عن يهوديتهم واعلن في بيان له إنه على استعداد لتحويلهم إلى مواطنين باعادة تعليمهم الطقوس الدينية الحاخامية وختانهم واعتبارهم يهودا منفيين حسب قانون العودة .

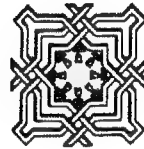
وتقول بعض الآراء إن اليهود المتطرفين هم الذين كانوا وراء كشف سر ترحيلهم من السودان لاحراج السودان أمام العالم العربي واجبار القائمين بعمليات الترحيل على وقفها ومن هؤلاء « يهودا دومتيز » رئيس الوكالة الصهيونية الذي كشف عملية موسى وسرب البأ إلى اذاعة لندن ، « ودومتيز » هذا عضو في حزب ديني يتزعمه يوسف بورج الذي عارض تهجيرهم .

وقد بلغ الأمر برئيس بلدية ايلات « داني هوفمان » تعبيرا عن رفضه لاستقبال هؤلاء الفلاشا في اسرائيل أن اعلن « انهم إذا اتوا إلى هنا سأقطع عنهم الماء والكهرباء فالمدينة غالية بالنسبة لهم ولدينا بطالة ، لكنني ارجب فعلا بمجىء مجموعة منهم لتشكيل فرقة فولكلورية للرقص أمام السائحين .

وكان موسى ديان .. الداعية إلى رفض استقبال هؤلاء الفلاشا في اسرائيل عندما كشف الاتفاق السري بين مناحم بيجن والحكومة الاثيوبية في تصريح له بسويسرا عام ١٩٧٨ ونجح في أن يوقف الرئيس الاثيوبي مانجستو هذا الاتفاق الذي يضمن له الحصول على معدات عسكرية واسلحة قيمتها عشرين مليون دولار مقابل السماح بخروج اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل ثم لجأت اثيوبيا إلى تهريبهم سرا قبل أن تبدأ عمليات الترحيل من السودان .

وقد تبين بالفعل مدى المعاناة التي يلاقها اليهود الفلاشا في اسرائيل مما يلفت النظر أن بعضا منهم كان يعرف المصير الذي ينتظره في اسرائيل حيث قال لأحد المراسلين

الصحفيين الذي التقى به في معسكر اللاجئين « مد عامين سافرت مجموعة إلى اسرائيل
تم هرب قسم منها عائدا إلى البلاد وأخبرنا أن أحد اقربائنا شفق نفسه .
وفي رسالة بعث بها أحدهم إلى اقربائه من اسرائيل « إن الحياة في اسرائيل صعبة
وإنه حتى الآن لم يتمكن من الحصول على عمل » .
ورغم ذلك اقتيد الآلاف منهم إلى اسرائيل في عمليات سرية خططت لها اجهزة
الانخبارات الامريكية والاسرائيلية وانفقت عليها ٣٥٠ مليون دولار .
ولانزال هذه العمليات السرية تجرى ولازال المنظمات اليهودية خارج اسرائيل
تطالب بترحيل البقية الباقية من اليهود الفلاشا في اثيوبيا كما نقل حانام ايطاليا « ايليا
هوطواف » عندما طالب الحكومة الايطالية في ١١ مارس ١٩٨٦ بأن تذلل مآلديها من
أحل مساعدة الآلاف من اليهود الفلاشا الاتيوبيين للهجرة إلى اسرائيل للمحاق باقربائهم
الذين تم تهجير الدفعة الأولى منهم في العام الماضي .





المرحلة الأولى من التهجير .. من مواقعهم في جبال انبوسا إلى
معسكرات اللاجئين في الأراضي السودانية



في المؤتمر الصحفي الذي عقده جورج بوش بالقصر الجمهوري
بالخرطوم رفض أن يتحدث عن موضوع تهجير يهود الفلاشا
وكان قد حصل من الرئيس السابق نميري على موافقته بترحيل
دفعه جديدة على طائرات أمريكية عسكرية



اطفال الفلاشا مع فتاة اسرائيلية تلقىهم الدروس ليكونوا مواطنين
اسرائيليين



حورج عوش يتشدد اللاعندين



فتاه من يهود الفلاشا



جورج بوش وزوجته في مؤتمر صحفي بعد أن زار مواقع اللاجئين



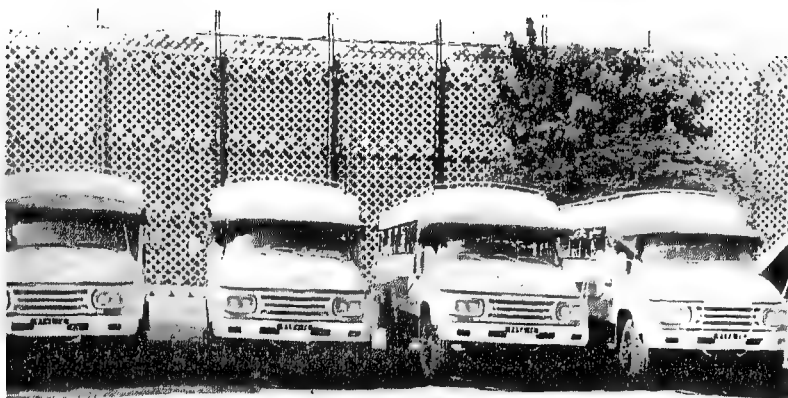
جورج بوش نائب الرئيس الامريكى أثناء زيارته لمواقع اللاجئين
شرق السودان عندما زارها في أوائل مارس ١٩٨٥



اسرائيلي يرحب بأحد القادمين من الفلاشا



شاب من الفلاشا وزوجته بعد وصولهم إلى اسرائيل



الباصات الأربعة التي اشترت خصيصا من حساب السفارة
الامريكية لنقل اليهود الفلاشا من معسكرات اللاجئين بالقضارف
إلى مطار الخرطوم



«نحن أيضا يهود مثلكم» .. لافتة حملها اليهود الفلاشا بعد
وصولهم إلى إسرائيل في مظاهرة سيروها إلى مقر الكنيست
احتجاجا على سوء المعاملة



هيئة المحكمة



غير مذنب .. قالها اللواء عمر الطيب التهم الأول



اللواء عمر الطيب يتابع باهتمام وقائع المحاكمة



الرائد دانيال وتيج المتهم الرابع يدلي بشهادته — تحول إلى شاهد
اتهام وحصل على عفو المحكمة



اللواء عثمان السيد نائب رئيس جهاز الأمن يدلي بشهادته



الاستاذ عبد العزيز شد رئيس هيئة الدفاع أمام المحكمة



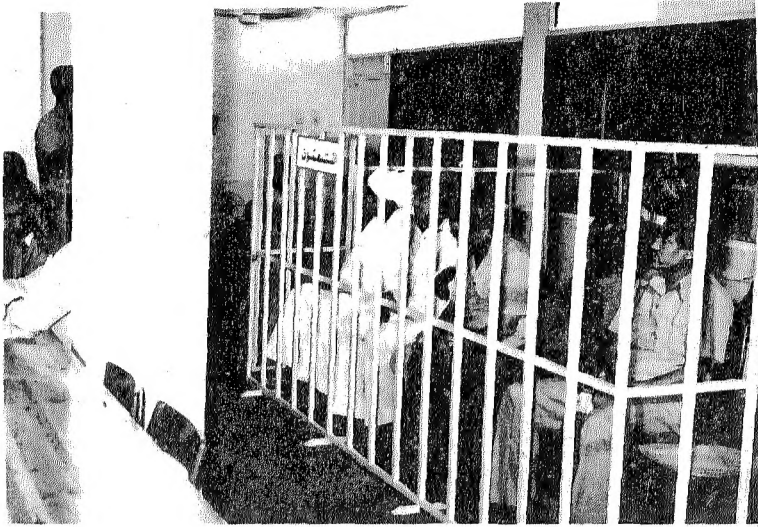
١٥٠ ألف دولار .. أمام المحكمة حصل عليها جهاز الأمن من
السفارة الامريكية وتم شراء اجهزة اتصال للجهاز



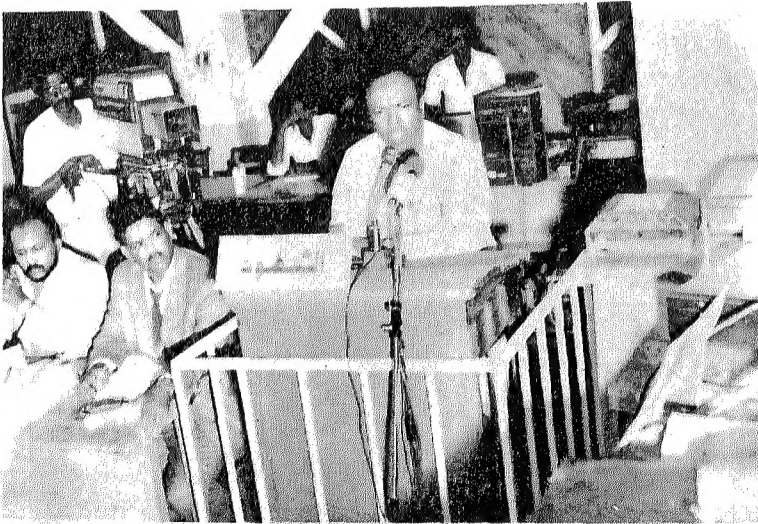
هيئة المحكمة برئاسة القاضي عبد الرحمن عبده عبد الرحمن .. كان
مماثلة أحد حكماء افريقيا وهو يرأس المحكمة



اللواء معاش عمر الطيب مع أحد محاميه وخلفه دانيال فريج
المتهم الرابع المرائد بوحدة أمن القضاة



عمر الطيب وضباط جهاز الأمن قبل العفو عنهم في قفص
الانهاام أمام المحكمة



اللواء كمال حسن أحمد نائب رئيس جهاز الأمن السابق قال إنه لم
يكن يعرف شيئا عن العملية كلها



الفتاح عروة - أحد ضباط جهاز الأمن السوداني الذي اشرف
على العملية الأولى (عملية الشرق) يدلي بأقواله تحول إلى شاهد
اتهام وحصل على العفو



العقيد موسى إسماعيل المتهم الثالث الذي أصبح شاهد نفى
وحصل على العفو من المحكمة يتحدث مع الاستاذ كمال الجزولي
عضو هيئة الاتهام



المؤلف

- صلاح عبد اللطيف
- مدير مكتب وكالة انباء الشرق الأوسط بالخرطوم منذ ١٩٨٢
- ماجستير في الاعلام عن وكالات الانباء في الدول الافريقيه عام ١٩٨٣
- عمل مراسلا لوكالة انباء الشرق الأوسط في عمان (الأردن) في الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٩ وتخصص في الشؤون العربية .
- حصل على ليسانس الصحافة من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٢
- يعد حالياً رسالة دكتوراه بكلية الاعلام جامعة القاهرة حول النظام الاعلامي العالمي الجديد .
- من مؤلفاته «عشرة أيام هزت السودان» عن انتفاضة الشعب السوداني في ابريل ١٩٨٥ و«محاكمات الخرطوم» .
- حصل على الجائزة الأولى في التغطية الصحفية لعام ١٩٨٥ من لجنة الحريات بنقابة الصحفيين